المعاد فی الکتاب والسّنة

تألیف:

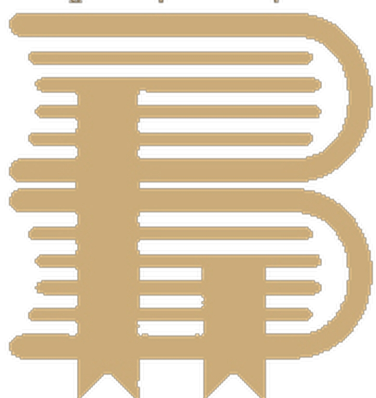
آیت الله محمّد المحمّدی الجیلانی

تقدیم: حسین انصاریان

(RECAP)

وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ

الأنبياء ۴۷



اسم الكتاب : المعاد في الكتاب والسنّة

المؤلف : آيت الله محمد محمدی گیلانی

تقديم : حسين انصاريان

التعداد : ۲۰۰۰

قطع الكتاب : الوزيری.

آی بی ام : مؤسسه الخدمات المطبعی

المطبه : مطبعه المروی

الاهـداء

الى العالم الربّاني والحكيم الصّمداني ، العارف بمعارف الالـهيّة ، والخائض في بحار الحقائق الاسلاميّة ، مدرّس الحكمة و العرفان ومعلم التربية والاخلاق ، الذّى صرف عمره الشريف في العلم والعمل ونوّر الحوزات العلميّة بنورعلمه وفكره ، صاحب تفسير الميزان الكبير و موءلّفات الاسلاميّة القيمة ، استادي ومعتمدي آية اللّه الحجّة الفيلسوف الكبير الاسلامي ومفسّر القرآن العظيم السّيد محمّد حسين الطّباطبائي الشّهير بعلاّمة قدّس سرّه الشريف

والشّكر : لفضيلة مفخر الخطباء العظام حجّة الاسلام الشيخ حسين انصاريان دامت افاضاته الشّريفة لاهتمامه بمراجعة الكتاب واشرافه وطبعه.

محمّد المحمّدي الجيلاني

تقدیم

حسین انصاریان

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

المقدّمـة

الانبياء

ما من شكّ من ان ابرز الظّواهر التارّيخية، التّي واكبت الحياة الانسانية جمعاء هي الرّسالات الالهية التّي جاء بها الانبياء المرسلون، اولئك الذين منحهم الله الرّشد والكمال، واختارهم لينقذبهم البشرية من مختلف المهالك والاخطار.

وهولاء الانبياء هم اكمل الناس وامثلهم من وجهة العقل والبصيرة و الايمان، ومن وجهة العمل والاخلاق والسلوك وقد اعطاهم الله ميزة العضمة في جميع ابعاد حياتهم الرسالية المثقلة بالمعضلات.

وقد جعل اللّه سبيل الانبياء هو السّبيل الاقوم، والصراط، المستقيم الذّي هدى اليه الناس ووصّاهم به.

ولم تستطع البشرية ـ عبر التاريخ كلّه ـ ان تثبت استغناءها عن الانبياء كما لم تستطع ان تثبت ذلك الي آخر يوم من حياتها اذ الانبياء هم المصابيح التي تضيئي طريق الناس، وتنير نفوسهم

وتحيي فيهم الحبّ والحياه .وهم الّذين يستجيبون لحاجاتهم المعنّويه:
و التربوّية ،ويعلّمونهم الحكمة ويزكّونهم ،ويهدونهم الي طريق الحقّ و
الصّواب والانبياء هم الذين وهبوا الناس الحياة ، وصقلوا ارواحهم ،و
شحذوا مواهبهم ، وايقظوا فطرتهم ،وامروهم بالمعروف ،ونهوهم عن
المنكر .

فالحياة الّتي لاتتّصل بمنبع النبّوة ليس لها قيمة ،والتّاريخ الّذي
لايستنير بهدايتهم قدملاءت بالظّلمة .

والمجتمع الّذي حرمت اعماقه من الدّين ،وخلا محتواه من الوحي ،
فانّ الانسان الّذي يعيش فيه دابتربه شريرة ،و حيوان مفترس ، بل
هو اضلّ من ذلک .

و فی ايّة مدرسة رسالّية توجد النماذج المثالّية من النّاس ،
كمايتواجدون فی ساحة الانبياء ،وفی مدارسهم الالّهية .

وانّی توجد معالم الفضيلة والنّور ،والاصالة والشّرف ،والمعرفة و
الواقّعية والوعي والبصيرة والصدّق والفلاح ،والحكمة والانسانية المثلی :
مالم يكن مبدءه ولامنتهاه الانبياء ورسالاتهم .

فانّ الانبياء هم معين العلوم المادّية والمعنوّية واذاما استثنينا
هولاء العمالقة ،و نحّينا بآثارهم و دورهم ، ورسالاتهم السماوية الّتي
بعثوا لها ــ عن حياة المجتمعات فی العالم فاننا لم نجد حضارة انسانيّة

تستحّق الذّكر والبقاء .

ويستحسن بنا ان تستشهد ــ فيهذاالصدد ــ باقوال سيّد الموحدين ،وامام العارفين ، و قطب رحي الواصلين : اميرالموءمنين عليهالسلّام في تمجيدالانبياء ، و تثمين دورهم في اعداد البشّرية صياغتهم و " تغذيتهم بالوحي والهداية :

(واصطفي "سجانهمنولده انبياء ، اخذعلىالوحي ميثاقهم و على تبليغ الرسالةامانتهم ،لمّابدّلاكثر خلقه عهداللّه اليهم ، فجهلواحقّه ، واتخّذواالانداد معه ،واحتالتهم الشياطين عنمعرفته ، واقتطعهم عنعبادته فبعث فيهمرسله ،و واتراليهم انبياءه ، ليستادوهم ميثاق فطرته ،ويذكّروهم منسّي نعمته ،ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ ، و يثيروالهم دفائنالعقول) (١) .

اجل . . انّالانسان ــكماصوّره امام العاشقين ــ حينمالايرتبط باللّه فانه يستوثق بالشيطان ، وحين لايكونلهنصيب منالمعرفة الالّهية فانهيصاب بركود العقلوجموده ، حيث يكون عمله اذ ذاك عملا شيطانّياً ، وسلوكهسلوكاحيوانّياً لامحالة .

فانّالامام علي عليهالسّلام انمّايعلن . في نهجه مايرجوه ــ

---

١ ــ نهج البلاغة : الخطبهالاولى

للبشرّية من خيرو صلاح حين يقول :

(نسئال اللّه منازل الشهداء، و معايشة السعدّاء و مرافقة الانبياء) (٢)

وحقّاً انّ السعادة تكمن في طريق الشّهادة ،فانّ الحياة الواقعّية وحياة السعداء انمّاهو في مرافقة الانبياء واتباّعهم ،والانقياد لهم .

وقد خطب سيّد الشهداء والمظلومين ،وقدوة المبارزين ،وروح المجاهدين ،وعشق العاشقين ونور العارفين ،ومقصد السّالكين .الامام الحسين عليه السلام – ليلة عاشوراء في صفوة اصحابه المجاهدين في سبيل اللّه وفي خلال خطبته تلك الّتي صدح بها، وهي لم تكن الاّ قول الحقّ ،وقد خرج من فم الحسين عليه السّلام وهو يجسّد فيها انّ كرامته على اللّه، وكرامة اهل بيته واصحابه ماهي الاّ من كرامة النبّوة والرسالة ، صادعا بذلك وهو يومذاك على قمّة التاريخ ، وقُلّة الانسانية المثلى :

(اثني "على اللّه احسن الثنـــاء ،واحمده على السرّاء والضرّاء اللّهم انّي احمدك على ان اكرمتنا بالنّبوة، وعلمتنا القرآن ،وفقّهتنا في الدّين ،وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة ،فاجعلنا من الشاكرين) .

و قد بعث الانبياء ليعالجوا امراض المجتمع المادّية والمعنوّية ، الفردية منها والاجتماعيّة ، من حيث الاسرة والمحيط العام وليصلحوا عقائد الامم ويصحّحوا اعمالهم ويهذّبوا اخلاقهم ونفوسهم ،ولم يالوا جهداً في اداء

---

١ – نهج البلاغة الخطبه ٢٣

رسالتهم هذه ولم يدّخروا وسعاً في ان يضحوا من اعماقهم في انتشال البشرية من براثن الجهل والشقاء اذ وقفوا مواقفهم الصلدة امام الاحداث، الجسيمة والقوى الشرّيرة المضادة لحركتهم ، فدكوا صروح الجبابرة من امثال : قارون ، وسلاطين الجور والشياطين الماردين ،وعبدة الدّنيا في حين لم يتوقّعوا جزاء ولا شكوراً حيال خدماتهم هذه ، و ما بذلوا في سبيل انقاذ البشرية من هوّة الذلّة والمسكنة والاسر وكان الاجر الوحيد الذي يتوقعونه من الناس هو اتّباع سبيلهم ،والجري على هديهم ،واحياء دين الله ،والاستقامة في العقيدة : (قل لا اسألكم عليه اجراً الّا من شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلا) .

وقد جاء في نهج الامام علي عليه السّلام ما يرجع الى الانبياء عليهم السلام قوله :

(بعث الله رسله بما خصّهم به من وحيه وجعلهم حجّة له على خلقه لئلّا تجب الحجّة لهم بترك الاعذار اليهم ،فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق) .

كما صوّر للمسلمين معطيات البعثة النبوية ،وما كانت عليه الناس من الشقوة والضلالة والانحطاط قبل ذلك ، حيث يقول .

(واشهد انّ محمداً عبده ورسوله ،ارسله بالدّين المشهور والعلم الماثور ، والكتاب المسطور والنّور الساطع ، والضّياء اللّامع ،والامر

الصّادع ، ازاحة للشّبهات ،واحتجاجاً بالبيّنات وتحذيراً بالايات ، وتخويفاً بالمثلات ،والنّاس في فتن انجذم فيها حبل الدّين ،وتزعزعت سواري اليقين ،واختلف النجر وتشتّت الامر وضاق المخرج ، و عمى المصدر فالهدى خامل ،والعمى شامل ، عصي الرّحمن ،ونصر الشّيطان وخذل الايمان ،فانهارت دعائمه ،وتنكّرت معالمه ،ودرست سبله ،وعفّت شركه اطاعوا الشّيطان ، فسلكوا مسالكه و وردوا مناهله . . . .)

اللّه والمعاد

ولم يالوا الانبياء جهداً في تبليغ ما ير شد الناس الي اللّه ، ومايصل بهم الى رشدهم وكمالهم ،وكان من اهمّ هذه العلل و العوامل : تلكم التوجيهات والهدايات التهذيبيّة ،والقوانين الالهية البنّاة التي ظلّت تلمع في حياة الانسان وتاريخه ، ذلك :لانّ الانسان كماهو مهدد من جانب المخاطر الخارجيّة التي تحيط به فانّه مهدّد ـ كذلك ـ من جانب المخاطر النفسيّة الكامنة فيه ولذلك فهو بحاجة ملحّة الي قوّة قاهرة تيكئي ، عليها في سبيل الوصول الي سعادته الدنيويّة والاخرويّة والي ما ينجيه ، على ضوء ماجاء به الانبياء الكرام ، ودعوا اليه .

ولهذا :فانّ الانبياء قدركزوا علي مسألتين اساسيّتين لصيانة البشريه عامه " و هما :

المبدا " : اى وجود الله تبارك و تعالى ، و ما يتصف به من صفات

ب ـ المعاد : وما يترّتب عليه من الثّواب والعقاب على الاعمال

المسالة الاولي : انما تبتني على اساس انّ انبياء اللّه قد بيّنوا الرشد من الغّي ، وميّزوا الحقّ من الباطل ، والحلال من الحرام ، وما يرجع الى ذلك في الشوءن المادّية والمعنوّية وكان الضّمان لكلّ ذلك هو الاعتقاد باللّه ، والاذعان بالرقابة الالهّية وانّ العباد مالم يجعلوا اللّه نصب اعينهم لايمكنهم التعّبد بماجاء به الانبياء ، ولاادا ء ماحملوا بها من واجبات ، اجل . لايمكن ان تتعبّد وابكلّ ذلك مالم يعتقد وا باله سميع بصير محيط شهيد وهو علي كلّ شي قدير ، وهو يحيط بعلمه وقدرته لايخلو منه مكان ، لئلاّ يجد الانسان مايخرجه من سلطانه وحكمه ، ليتسنّي له ان يعصي اللّه تعالى ، اويضرب بفروضه تلك عرض الجدار .

ذلك اله عالم بكلّ مايرتبط بالانسان من شئون ذاتيّة وخارجيّة لايعزب عنه شي من ذلك ، وهو يراقب افعاله وحركاته كما يقول امير الموءمنين في دعاء (كميل) .

(وكلّ سيّئة امرت باثباتها الكرام الكاتبين ، الذّين وكلّتهم بحفظ مايكون منّي ، وجعلتهم شهودا " علّي مع جوارحي ، وكنت انت الرقّيب علّي من ورائهم ، والشاهد لما خفي عنهم . . .)

وكان من هذا المنطلق ضرورة الشّخوص الي اللّه ، و ذكره في كلّ لحظة من لحظات الحياه ، حيث قال الامام الساّدس عليه السلام في جواب

رجل يسأله: (على ماذا بنيت امرك) اذا جابه باجوبة اربع، كما احدها (علمت ان الله مطلع علي فاستحييت). اجل كنت اجد انه لا يخلو منه مكان ولا يعزب عنه شي، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ويحصيها، فصدني حيائي عن ان اعصي الله طرفة عين ابدا.

ولهذا.. فقد وردت في الاحاديث المعتبرة مسألة ذكر الله تعالى في احسن تفاسيره: ان ذلك امنع حصن، واقوى ضامن لامتثال الطاعة، وترك المعصية.

وعن ابي عبد الله ـ عليه السلام ـ حيث قال:

(من اشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيرا) ثم قال: (لا اعني سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله اكبر، وان كان منه، ولكن ذكر الله عندما احل وحرم، فان كان طاعة عمل بها، وان كان معصية تركها) (١).

وعلى اساس هذا الواقع القرآني الملموس: ادلى الزعيم القائد امل المستضعفين والمضطهدين في العالم، امام الامة الخميني الكبير روحي فداه ـ في كلمة عرفانية تربوية: (العالم ماثل امام الله لا تعصوا الله امامه).

---

(١) الكافي ج، ص ٦٥

وذلك كما يقول القرآن الكريم : (وان كلّ لمّا الدنيا محضرون)
اذ لو وجد الانسان في كلّ حين نفسه محضرا عند اللّه فسوف لا يسمح لنفسه ان تفوته طاعة من طاعاته ، او يتأتّى له ان يقترف شيئا من حرماته .

والمسالة الثانية : التّي صدع بها الانبياء وهي تكفّل وتضمّن شؤون الانسان التربوّية وتقيده بمعرفة الحلال والحرام ، هو توجيه الانسان الى الاذعان بالمعاد ، ذلك الذى اخبر عنه البارى تعالى في جميع كتبه السماوّية ، وعلى الاخصّ في القرآن الكريم ، الذّى بسط فيه هذه العقيدة ، بعد ان صدع به جميع الانبياء تباعاً ، و هم ١٢٤/٠٠٠ نبّي عدا الائمة المعصومين عليهم السّلام .

ومسألة العدل القائم باللّه نتلمس آثاره في عالم الخليقة كلّها ولذلك يقتضي ان يكون من وراء هذا العالم المادّي المحدود عالما " ابدّ ياً يجزي فيه المحسنون على احسانهم ،و يعاقب فيه المسيئون على اساءتهم .

وما من شكّ : انّ انكار المعاد هو انكار لكلّ الشوءن والمعطيات الالهّية بل المثل الانسانيّة العليا جمعاء .

فهل هناك من يرتضي للانبياء العظام من امثال ابراهيم ، وموسى ، و عيسي والرّسول الاكرم وامير المؤمنين ، والائمه الميامين عليهم السّلام ان يجزون على عظيم سعيهم و عبادتهم ، وما تحملوه من الاذى في سبيل

انقاذ اممهم من شرك الشيطان، وشرور النّفس الامّارة بالسوء ، ومن الهكلة والتردّي، اجل هل يجد ربّهم من بعد هذا العنت والجهاد ان تطوي صفحات حياتهم، وهم لايجزون على قليل من اعمالهم ، او يجزون قليلا " على اعمالهم الجبّارة تلك .

وهل هناك من يقنع بهذا .. ان يهلك فرعون ونمرود و شدّاد ، و هيروديس، وقوم عاد وثمود و اشباههم ، وابولهب وابوسفيان ، ومعاويه ويزيد ، وبهلوي وهتلر ، وجنگيز و تيمور ، وآتيلا ونرون ، وماكياولي ، وكارترووريگان ، وبگين وصدّام ودايان وغيرهم ، ممن عاشوا في الملذّات وجمعوا الثروات ، وافظع من ذلك انّهم نهبوا اموال العباد ، وسفكوا دماءهم وهتكوا اعراضهم ، وقدطويت صحائف حياتهم ، ولم ينالوا جزاء ماقترفوا من ذلك .

اجل : بماذا توازن اعمال النّاس وتضحياتهم ، ممن نذروا انفسهم للّه وهل تسع الدنيا كلها ظرفا لجزاء بعض اعمالهم ما اضف الى ذلك الشهدا الذّين سلكوا سبيل الحقّ ، والتضحية ، وكذلك الجبابرة والجناة الذين قتلوا الناس ، واستعبدوهم ، فهل يمكن ان يجزون على سفك دم واحد من الابرياء في هذا العالم الضيق المحدود .

المعاد في القرآن وادلّتها .

وحقاً انّه لم يبق موضع لانكار المعاد ، ويوم القيامة . وفي القرآن

الكريم دلائل جليّة محكمة في ايمان النّاس به ،وهذه الآيات انمّاهي نماذج حيّة من القرآن تجسّد لنا حقيقة المعاد و ماهيّته

وهذه الآيات دلائل متينة في مسألة المعاد في القرآن :

(يا ايّها النّاس ان كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثمّ من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم و نقرّ في الارحام مانشاء الى اجل مسمّى ثمّ يخرجكم طفلاً "ثمّ لتبلغوا اشدّكم ومنكم من يتوفي ومنكم من يرّد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الارض ها مدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزّت ور بت و وانبتت من كلّ زوج بهيج ذلك بانّ اللّه هوالحقّ وانه يحيي الموتي وانّه على كل شي قدير وانّ السّاعة آتية لاريب فيها وانّ اللّه يبعث من في القبور) (١) .

ولقد علمتم النشاءة الاولى فلولاتذّكرون) (٢)

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين . . .

ثمّ انّكم بعد ذلك لميتّون ثمّ انّكم يوم القيامة تبعثون (٣) .

---

١ ــ الحج ٥ــ ٧   ٢ ــ الواقعه ٦٢

٣ ــ الموءمنون ١٢ ــ ١٦

(كيف تكفرون باللّه وكنتم امواتاً فاحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ اليه ترجعون) (١) اولم يرالانسان انّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا "ونسيي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذّى انشاءها اوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم الذّى جعل لكم من الشجرالاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون اوليس الذّى خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلّاق العليم) (٢).

لااقسم بيوم القيامة ولااقسم بالنّفس اللوّامة ايحسب الانسان الّن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوّى بنانه (٣).

(قتل الانسان مااكفره من اى شئّي خلقه من نطفة خلقه فقدّر ثمّ السبيل يسّره، ثم اماته فاقبره ثم اذاشاء انشره)

و كثير من امثال هذه الايآت الكريمة التّى تطرح مسالة المعاد والقيامة على اساس متقن و متين من الاستدلال والبداهة ،حيث لم يبق اىّ مجال لانكار حقيقة العدل بعد انقراض هذا العالم ونهايته.

موقف الانسان من فناء العالم و مابعده

---

١ - البقرة ٢٨ ٣ - يس ٧٧ - ٨١

٢ - القيامة ١ - ۴

لاريب : انّ اولئك الذّين يلازمون الصراط المستقيم ولا يشاققون اللّه تعالى والذّين يجتنبون كبائر الاثم والعصيان ، ويجعلون انفسهم عباد اللّه ، وهم بامره يعملون ويؤدّون ، مسئولياتهم الفرديّة و الاجتماعيّة والعائليّة وهم كما تقول هذه الآيات يرون يوم مماتهم يوم حياتهم ، ينتقلون به من عالم محدود الى عالم ابدّى ويرون انفسهم يسيرون الى الحقّ واليقين ، فانّ ساعة الموت عندهم هي نهاية الهجران وغاية وصول العاشق الى معشوقه .

وقد المح القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في عدة آيات ، وعلى هذا الاساس نرى انّ عباد اللّه المخلصين ، وعشّاق الفضيلة يتوقون الى لقاء هذه السّاعة الحبيبة اليهم .

(واللّه لابن ابي طالب آنس بالموت من الطّفل بثدى امّه ، فزت وربّ الكعبة ، اذاً لا انبالي بالموت) .

وغير ذلك من امثال هذه الكلمات التي اثرت عن اولياء الله ، وهي تدّل على مسيرتهم في لقاء الموت .

ويصرح القرآن الكريم على هذا الصعيد :

(وبشّر الذّين آمنوا وعملوا الصالحات انّ لهم جنّات تجرى من تحتها الانهار) (١)

---

١ ــ البقرة ٢٥

(واتقوا اللّه واعلموا انّكم ملاقوه و بشّر المؤمنين) (١) وبشّر المؤمنين بانّ لهم من اللّه فضلاً " كبيراً) (٢) و بشّر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربّهم) (٣) .

وامّا موقف المسئي غير التائب والمتوغّل في غيّه وعماه ، ومن ظلّ اسير الهوى و النّفس .

الامّارة بالسّوء فانّه يشعر الفناء بالموت ، و يفر منه فرار المعزي من الذئب كما يذكر ذلك القرآن الكريم ، والا حاديث الماثورة ، وهي الّتي تصوّر شعور المؤمن وغير المؤمن بالموت .

وقد ورد في الحديث انّه سئل عن الحسن بن علي عليهما السّلام ما الموت الّذى جهلوه فقال : اعظم سرور يرد على المؤمنين اذ نقلوا عن دار النكد الى النّعيم الابد ، واعظم ثبورا " يرد على الكافرين اذ نقلوا عن جنتهم الى نار لا تبيد ولا تنفد) (٤) .

وقال الحسين عليه السّلام : (انّ ابي حدّثني بذلك عن رسول الله ص ـ الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر ، والموت جسر هولاء الى جنّاتهم ، و جسر هولاء الى جحيمهم ، ماكذبت ولاكذبت) .

---

١ ـ البقرة ٢٢٣ ٢ ـ الاحزاب ٤٧

٣ ـ يونس ٢ ٤ ـ معانى الاخبار ٢٨٨

وقيل لعلّي بن الحسين عليهما السّلام : ما الموت ؟ قال : للموء من كنزع ثياب وسخة قملة ، وفكّ قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بافخر الثياب واطيبها روائح ، واوطاء المراكب ، وآنس المنازل ، وللكافر كخلع ثياب فاخرة ، والنّقل عن المنازل الانسنه والاستبدال باوسخ الثياب و اخشنها ، واوحش المنازل واعظم العذاب (١) .

وقيل لمحمّد بن علي الباقر عليهما السّلام : ما الموت : (قال هو النّوم الذّي ياتيكم في كلّ ليلة الّا انّه طويل مدّته لا ينتبه الي يوم القيامه ، فهم من راى في منامه من اصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومنهم من رآى في منامه من اصناف الاهوال مالا يقادر قدره ، فكيف حال فرجه في الموت و وجله فيه هذا هو الموت فاستعدّوا له) (٢) .

وقال رجل لابي ذر – رحمة اللّه – ما بالنا نكره الموت فقال : لانّكم عمّرتم الدّنيا وخرّبتم الآخرة ، فتكرهون ان تنقلوا من عمران الي خراب و قيل له كيف ترى قدومنا على اللّه قال :

امّا المحسن فكالغائب يقدم علي اهله، وامّا المسيئي فكالابق يقدم علي مولاه قيل فكيف ترى حالنا عند اللّه : قال : اعرضوا اعمالكم علي الكتاب ، انّ اللّه عزّوجل يقول : وانّ الابرار لفي نعيم وان الفجّار لفي

---

١ – المحجّة البيضاء ج ٨ ص ٢٥٥

جحيم ، قال الرجل : فاين رحمة الله ، قال ، رحمة الله قريب من المحسنين (١)

(اجل . . . ان ذكر الموت ، والامعان فيما بعد الموت والبرزخ وعقباته واهواله ، ونفخ الصور والخروج من القبور ، واهوال المحشر والورود فيه ، والمثول بين يدي الله ، والوقوف امام المحكمة الالهية العادلة انما هو افضل داع للعبودية ، وامتثال اوامر الله ، والتنكب عن معاصيه .

ولذلك نقرأ في كلمات الحكماء : ان التفكير في الموت من اهم العوامل التهذيبية المؤثرة في وجود الانسان .

(فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الارض مستقره ، والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ، ولا ذكر الا لاجله ولا تطلع الا اليه ، ولا تعرج الا عليه ، ولا اهتمام الا به ، ولا حوم الا حوله ، ولا انتظار ولا تربص الا له .

وحقيق ان يعد نفسه من الموتى ، ويراها في اصحاب القبور ، فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت . وقد قال عليه السلام : الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشي الا عند تجدد ذكره على القلب ، ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات

---

١ ـ الاعتقادات ص ٧٧ ـ ٨١

له ، والنّظر في المنبّهات عليه) .

وقال النبّي ـ ص ـ اكثر واذكرها دم اللّذات الموت ، وقال عطاء الخراساني : مرّرسول اللّه ـ ص ـ بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شـــوبوا مجلسكم بذكر مكه اللذّات قالوا : وما مكدّر اللذّات ، قال : الموت

وسئل صلّى اللّه عليه وآله : من اكيس النّاس واكرم النّاس يا رسول اللّه فقال : اكثرهم ذكراً للموت ، واشدّهم استعداداً له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدّنيا وكرامة الآخرة (١) وفي الكافي عن ابي عبيده قال : (قلت لابي جعفر عليه السّلام : حدّثني ما انتفع به ، فقال : يا ابا عبيده اكثر ذكر الموت ، فانّه لم يكثر ذكره انسان الّا ز هدّ في الدّنيا) (٢) .

وعن ابي بصير، قال شكوت الى ابي عبدالله عليه السلام الوسواس ، فقال يا ابا محمدا ذكر تقطع اوصالك في قبرك ، ورجوع احبّائك عنك اذا د فنواك في حفرتك ، وخروج بنات الماء من منخريك ، واكل الدود لحمك ، فان ذلك يسلي عنك ما انت فيه ، قال ابو بصير فواللّه ما ذكرته الّا سلى عنّي ما انا فيه من همّ الدّنيا (٣) .

---

١ ـ الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٣٨

٢ ، ٣ ـ الكافي ج ٣ص ٢٥٥

اعلم انّ الموت هائل وخطره عظيم ، وغفلة النّاس عنه لقلّة فكرهم فيه ، وذكرهم له ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا ، فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطّريق فيه يفرغ العبد قلبه عن كلّ شئي الّا عن ذكر الموت الذّي هو بين يديه كالذّي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانّه لا يتفكّر الّا فيه ، فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يوءثر فيه ، وعند ذلک يقلّ فرحه وسروره بالدّنيا و ينكسر قلبه .

واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه ، الذّين مضوا قبله فيتذّكر موتهم ومصرعهم تحت التّراب ، ويتذّكر صورهم في مناصبهم واحوالهم و تيتفكّر كيف محا التراب آلان حسن صورتهم ، وكيف تبدّدت اجزاءهم ، في قبورهم ، وكيف ارملوا نسائهم و ايتموا اولادهم وضيّعوا اموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ولنقطعت آثارهم ، واوحشت ديارهم ، فمهما تذكر رجلاً "رجلاً" وفصّل في قلبه حاله وكيفية حياته ، وتوّهم صورته ، وتذكر نشاطه ، وتردّده وامله في العيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخداعه بموء آتاه الاسباب ، وركونه الى القوة والشّباب ، وميله الى الضحک واللّهو ، وغفلته عمّا بين يديه من الموت الذريع ، والهلاک السريع ، وانّه کیف یتردّد ، والان قد تهدّمت رجلاه ومفاصله ، وانّه كيف كان ينطق و قد اكل الدّود لسانه وكيف كان

يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، و كيف كان يدبّر لنفسه مالا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الاّ شهر ، وهو غافل عمّا يراد به ، حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة الملك ، وقرع سمعه النداء ، امّا بالجنة او بالنّار ، فعند ذلك ينظر في نفسه انّه مثلهم ، و غفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم !!

الثّواب والعقاب

وقد اسلفنا انّ من الضروة ان تقوم من بعد عالمنا هذا نشأة اخرى تقتضيه العدل لتجزى كلّ نفس بما كسبت من خير حسن الثّواب وبما اقترفت من شرّ سوء العقاب ، وانّ جحود ذلك العالم جحود لكل القيم ، والمثل العليا .

وانطلاقا من تلك الايات الكريمه ، و ماجاء به الانبياء المرسلون ، والائمّة المعصومون ، لم يبق شكّ ولا ترديد في معطيات الموت ، و ما يستتبعه من اهوال وعقبات .

وفي القرآن الكريم آيات عظيمة يتبيّن منها اجر العاملين ، وعذاب المجرمين تملأ الانسان عبوديه وزلفى و تمنحه القدرة على مقاومة الذّنوب كما تتضمّن الاحاديث الماثورة ما يلفت النظر اليها ، كاهو في كتاب (ثواب

الاعمال وعقاب الاعمال) (١) . نقرء في القرآن،

(يوم يات لاتكلّم نفس الّا باذنه فمنهم شقيّ وسعيد فامّا الذّين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير وشهيق) (٢) .

(يوم نحشر المتقّين الي الرّحمن وفدا ونسوق المجرمين الي جهنّم وردا) (٣) .

(انّ الذّين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الذّين آمنوا الهم عذاب اليم في الدّنيا والاخرة .واللّه يعلم وانتم لاتعلمون) (٤) .

(واذا قيل لهم اتبّعوا ما انزل اللّه قالوا بل نتّبع ما وجدنا عليه آباء نا او لوكان الشيطان يدعوهم الي عذاب السّعير) (٥) .

(انّ الذّين يوء ذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدّنيا والآخرة و اعدّ لهم عذاباً مهينا " (٦) وما اموالكم ولا اولادكم بالّتي تقرّبكم عند نا زلفي الّا من آمن وعمل صالحاً " فاولئک لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون) (٧) .

---

١ ــ من تاليفات شيخنا العظيم الصدوق ره

٢ ــ هود ١٠٥ــ١٠٦ ٣ــ مريم ٨٥ــ٨٦ ٤ ــ النور ١٩

٥ ــ لقمان ٢١ ٦ ــ الاحزاب ٥٧

٧ ــ سباء ٣٧

(انّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلا "

(١) .

(خالدين فيها لايبغون فيها حولاً و اصبر فانّ اللّه لايضيع

اجرالمحسنيـــــن (٢) .

(لكن الرسول والذّين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك

لهم الخيرات واولئك هم المفلحون . اعدّ اللّه لهم جنّات تجرى من تحتها

الانهار خالدين فها ذلك الفوز العظيم (٣) . .

ومن الندرة ان نستقصي سورة من سور القرآن ولم نجد فيها مايركز على

مبداء ثواب المحسنين وعقاب المسيئين .

وحيث لاتسع هذه المقدّمة ان نسرد فيها آيات اخرى يتعرّض هذه

الحقيقة . . . فما اجدر بالقراء من ان يمتزجوا بالقرآن ، وان يتدبّروا آياته

وان لايغفلوا عن العمل بها . هدانا اللّه الى طاعته ، وعصمنا عن معصيته

والحقيقة انّه لايمكن التوّصل الى حقائق المعاد ، ولا استثمار الا

عتقاد به الا الترابط بالقرآن المجيد ، والتّطلع الى الا حاديث التّى

تجسّد مسيرة الانسان من اوّل مراحل الموت الى ساحة المحشر ، من

---

١ ــ الكهف ١٠٧ ــ ١٠٨ ٢ ــ هود ١١٥

٣ ــ التوبة ٨٧ ــ ٨٨

المحشر الى الوقوف على ابواب الجنّة اوالجحيم .

فكان دأب الانبياء والائمّة والاولياء في صدد دمعا لجتهم للمنحرفين ان يقيموا اودهم في شخوصهم الى المبدء والمعاد ،وان يعطوا على ابعادهم بذلك عن التّهاون في العبوديّة ،ومن التلّوث بالذنوب .

اذ من الممكن ان يستمع احد من النّاس الى آية العمل في قوله تعالى :
(فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يرّه ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يرّه) ويذعن اليها ،ويستيقن بها ،ثم يبتلي بالضعف با لعبوديّة والعتو في المعصية والظلم والتجاوز والخيانه . .

فان الخوف من العذاب ،والامل بالثّواب في سبيل نيل الرّحمة الالهيّة ، والفرار من غضب اللّه جناحان يطير بهما العبد الى اللّه ، ويستعين بهما في الصعود الى مدارج الرقي والكمال .

واذا وجد لزاما علي ان ابسط هذه الحقيقة في هذه المقدّمة اليسيرة فانني ادعو القرّاء الى ممارسة سطور هذا الكتاب لمعرفة حركة الانسان منذ رحيله من الدّنيا الى آخر منازل الآخرة ومايعطى من اجر ومكافاة

"ماهو الكتاب"

ولا اكتم الحقّ اذا قول :سوف يواجه القاري الكريم كتـابا " من افضل ماكتب في مسألة المعاد من كلّ ابعاده وجوانبه .

والكتاب المذكور فضلاً عن انّه مليئي بالحقائق الفلسفية فانّه يبحث المعاد على اساس الكتاب والسنّة والعقل ، ومن زاوية الحكمة الالهيّة تلك الّتي انعكست في كتاب اللّه المجيد ونهج الامام علي عليه السّلام ومن هذا المنطق ايضاً يرد المؤلّف على متجّهات الطاعنين والمشكّكين بالبراهين القرآنيّة الساطعة مما يثبت تخرصهم ، ووهن ادلّتهم واقوالهم .

والكتاب بمكانة من العلم لا يدع ان يستفيد منها عامّة القرّاء بيدا نّه اذا ما طرحت المسألة على اساس نهج القرآن ومفاهيم فهو كثير الفائدة للذّين يمارسون الكتب الاسلاميّة ، و يتعاهدون منطقها .

وبصورة عامّة فانّ الكتاب المذكور ـ في حدود ما اطّلعت عليه انّما كتب للعلماء ، والخصّيصين في العلوم القرآنية والا سلاميّة ، وهم وحدهم يستطيعون ان يستلهموا ابحجاثه القيّمة ويستكنهوا دقائقه وحقائقه على انّ اسلوبه البياني يكاد يجذب كلّ قارى و ياخذ بلبّه وقلبه .

من هو المؤلّف ؟

ومؤلّف هذا الكتاب الخالد هو آية اللّه الشيخ محمّد الجيلاني ، احد الشخصيّات الاسلاميّة الّتي يتمتّع بالشهرة العلميّة الفذّة ، وهو من المع الاساتذة في الحاضرة الاسلاميّة الميمونة (قم) ومن المجتهدين القلائل فيها ، تلك الحاضرة العلميّة الّتي كانت ولا تزال بعين اللّه والائمّة الاطهار

عليهم السّلام وقد وردت في مكانتها اخبارهم اذ صرّحوا بما مضمونه : انّ العلم والاسلام ينتشران منها الى انحاء العالم ، وقد اعطيت اليوم هذه الحوزة ذلك المحتوى الواقعي الذي المع اليه الائمة الاطهار عليهم السّلام اذا انتشرت منها ببركات المرجع الفذ للشيعة الامام القائد روح اللّه الخميني حيث كان منبع هذه الكرامة ومنشاء الحياة الاسلامية التّي .
نفخت في جسم العالم الاسلامي كلّه ، و هو قائد الثورة الاسلامّية الكبرى روحي فداه ، اذ ذوصل دوّى دعوته الى جميع انحاء العالم وسوف يحقّق بثورته هذه محتوى فذاء من هذه الآية الكريمة : (انّ الأرض يرثها . " عبادي الصّالحون) .

وقد قضى آية اللّه الجيلاني شطراً من حياته الكريمة وهو ينتهل المعارف الالهّية والعلوم الاسلامّية متلمّذاً " على يد امام الامّة ومحطّم الاصنام ، بعد ان استفاد من العلماء الربّانيين ـ وخاصة الامام القائد ـ اتّجه الى تدريس العلوم الدينّية وبخاصّة الحكمة والفلسفة الاسلاميّة ومع اشتغاله المتواصل بالعلم اخذاً واعطاءً كان يبث تعاليم الاسلام في انحاء البلاد من على منبر التبليغ والارشاد وكان قبل نجاح هذه الثورة الاسلاميّة الى جانب الاساتذة المرموقين ساعداً " قويّاً لنجاحها وانتصارها ، وذلك في البيانات النّاريّة الّتي كان هو واخوانه العلماء يعلنونها ضد النظام الحاكم (نظام پهلوى) ففضح خياناته و

جناياته .

وان كان (آية الله الجيلاني واجداً " لجميع شرايط الاجتهاد و القضاء بعد نجاح هذه الثورة المباركة : انتخبه الامام الكبير قائد الثورة الاسلاميّة رئيساً "للقضاة ، لاستتباب العدالة وعقوبة المجرمين الـذّين طالما د أبوا على تحكيم الاستعمار ، وقد ساهم مساهمة فعاله عن هذه الطّريق في ضمان بقاء الانقلاب الاسلامي العارم .

وله تاءليفات قيّمة اخرى نشر بعضها في سلسلة مقالات في المجلّات الاسلاميّة .وكان احدها ، الامامة والولاية في (القرآن) الكريم وقد طبع بمشاطرة عدّة من العلماء الآخرين .

وبعد ان اقيمت المحاكم الاسلاميّة في سائر انحاء ايران الّحت الحاجة الي تبسيط مسائل القضاء الاسلامي مشئمرا عن ساعد الجدّ مع مسئوليّاته العظيم ـ فوضع كتابا فريدا "في احكام (القضاء والقضاوة في الاسلام) .

و قد شملت الطافه الابوّية هذا التلميذ فاوعز اليه تنظيم ذلك الكتاب وطبعه فكتبت بدوري مقدّمة في القضاء الاسلامي جهد المستطاع وتعرّضت فيه الي مصادر البحوث الّتي وردت فيه ، وتوجيه رجال الكتاب واعلامه بما ارتضاه استادي الكريم .

ثّم اولاني ـ مشكورا ـ مسئوليّة اخرى كهذه ان عهد الى طبع كتاب (المعاد في الكتاب والسّنة) ومع انّي لااجد في نفسي هذه

الاهليّة وقد استجزته ان اقدّم لهذا الكتاب تعريفاً به للقرّاء الكرام وقد سمح لي بذلك فخراً وكرامة.

على انّ مستوي هذه التقدمة لايمكن ان يسانخ محتوى هذا الكتاب و مستواه العلمي الفذّ بوجه من الوجوه. و مايصنع التلميذ على بضاعته المزجاة حيال استاذه الذّى يتفجّر من جوانبه العلم الّا ان يقدّم جهده اليسير، وفاءً لحقّه، وتقديراً لشانه.

والماٴمول من القرّاء الكرام ان يستفيدوا من هذا الكتاب افضل الابحاث العلميّة واجمل المسائل التربويّة.

وانّي اجد لزاما على ان ادعو اللّه تبارك وتعالى ان يمنح المؤلّف الكريم مزيداً "من العمر والتّوفيق لخدمة الاسلام، والجهاد في سبيله واطلب منه تعالى مايطلبه عامّة الشعب الايراني الّذي انجب الشهداء والمجاهدين ـ من اعماق قلوبهم هذه الامنية الكريمة:

الهى الهى: حتّى قيام المهدى احفظ لنا الخميني

طهران ٦١/٢/٢

حسين انصاريان

المقصد الاوّل :

فی الموت الی اشراط السّاعة وفیه فصول

الفصل الاوّل : فی رجوع الامور

کلّها الی اللّه تعالی

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم "

الحمد للّه الّذى اليه مصائر الامور، ذلك بانّ اللّه هو الحقّ و انّه يحيي الموتى، و انّ السّاعة آتية لاريب فيها، وانّ اللّه يبعث من في القبور.

والصّلاة والسّلام على رسول اللّه المنذر يوم الآزفة، اذ القلوب لدى الحناجر فليس الظّالم هناك بمنصور، و على اهل بيته المطّهرين عن الرّجس الى يوم النّشور، و اللّعن على اعدائهم حلفاء الباطل والزّور

و بعد فيقول العبد محمّد بن محمّد جعفر الشّهير بمحمّدي الجيلاني. هذه مذكّرات حول المعاد تستند الى كتاب اللّه تعالى والرّوايات المحكية عن بيت النّبوة و قدير مق فيها عند الحاجة الى البيان و البرهان، و هي مترتّبة على ثلثة مقاصد.

المقصد الأوّل: في الموت الى اشراط السّاعة.

المقصد الثّاني: في اشراط السّاعة و مقدّماتها.

المقصد الثالث: في المعاد و ما يتبعه.

امّا المقصد الاوّل فيتّم في فصول :

" الفصل الاول في رجوع الامور عموماً " والانسان خصوصاً " الى اللّه تعالى "

اعلم انّه قد تكرّر في القرآن المجيد ، ذكر رجوع الامور و صيرورة الاشياء الى اللّه عزّوجل عموما " ، و رجوع الانسان اليه تعالى خصوصا " ، كقوله سبحانه .

الا الى اللّه تصير الامور[1] ، وقوله تعالى : انّ الى ربّك الرجعى[2] .

و قوله : وله اسلم من في السماوات والارض طوعا " و كرها " و اليه يرجعون[3] و قوله : و اتقّوا يوما " ترجعون فيه الى اللّه[4] .

ثّم انّه عزّ اسمه يبيّن في غير واحدة من الآيات ، انّ هذا الرجوع اليه تعالى هى الغاية الصحيحة المترّتبة على الخلقة ، وانّه لولا ذاك الرّجوع لكان الخلق عبثا " و باطلا " ، وحيث كان التاّلي ممتنعا " على اللّه تعالى كان المقدّم ـ عدم الرجوع المذكور ـ ايضاً ممتنعاً

---

١ ـ الشّورى ٢٣ ٢ ـ العلق ٨

٣ ـ آل عمران ٨٤ ٤ ـ البقرة ٢٨١

فمن تلك الايات قوله تعالى . افحسبتم انمّا خلقناكم عبثاً " وانّكم الينا لا ترجعون [1] ، حيث انّ بالتحليل ترجع هذه الكريمة الى التقابل بين عبثية الخلقة . وهي انتفاء غاية صحيحة " و بين الرّجوع الى اللّه تعالى ، فيستنتج من هذا التّقابل ، انّ رجوع الامور و الاشياء اليه سبحانه ، هي الغايةالصّحيحة المترتبة على الخلقة ، و انّه لولاه لكان الخلق عبثاً " و باطلاً " و ذلک محال عليه تعالى ،

و منها ماوقع فيه التّصريح بنفي البطلان والعبثية عن الخلقة في مواضع عديدة : مثل قوله تعالى : و ماخلقنا السّماوات والارض وما بينهما باطلاً " ذلک ظنّ الذّين كفروا [2] ، و قوله : ربّنا ماخلقت هذا باطلاً " [3]

ومنها ماتكّررفيه مشفوعيّة الخلق بالحقّ المستلزمة لانتفاء البطلان ، مثل قوله سبحانه : ماخلقنا السّماوات والارض و ما بينهما الاّ بالحق و اجل مسّمى [4]

و قوله : و ماخلقنا السماوات والارض و ما بينهما الاّ بالحقّ و

---

۱ ـ المؤمنون ۱۱۵ ۲ ـ ص ۲۷

۳ ـ آل عمران ۱۹۱ ۴ ـ الاحقاف ۳

انّ الساعة لآتية [١]، وقوله: وماخلقنا السّماوات والارض و ما بينهما لاعبين ماخلقنا هما الّا بالحقّ [٢]

فتلك الآيات كماترى، تبيّن محدودية السماوات والارض و ما بينهما باجل معيّن وانّ خلقتهما تلازم الحقّ. و انّه لولاذلك الحقّ المشقوع بالخلقة لكانت الخلقه عبثاً "و لعباً"، فتبيّن من ذالك انّ المراد من هذا الحقّ هي الغاية الصّحيحة لها، و قد قرن هذا الحقّ بالجزاء في قوله تعالى خلق اللّه السّماوات والارض بالحقّ ولتجزى كلّ نفس بما كسبت و هم لايظلمون [٣]، و من هذا القبيل قوله سبحانه. و ما خلقنا السماء و الارض و ما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتّخذ لهواً "لاتخذّناه من لدنا ان كنّا فاعلين. [٤]

حيث نفى اللّعب و اللّهو عن الخلقة روماً لاثبات الحقّ و الغاية الصّحيحة للخلقة بحكم التقابل، فانّ اللّعب هو الفعل الذّى له غاية خياليّة مثل ملاعب الصبيان، و نفس هذا الفعل بما انّه شاغل للانسان عمّا يهمّه يسّمي لهواً، والباطل هو الفعل المنقطع عن الغاية المطلوبة و لاريب في انّ الغاية الخياليّة ممّا يدفع به عن الفاعل

---

١ ــ الحجر ٨٥
٢ ــ الدّخان ٣٨
٣ ــ الجاثية ٢٢
٤ ــ الانبياء ١٦ ــ ١٧

نقص مآ و يستكمل بها نحواً " من الا ستكمال من نقص ملال و كلال و شبه ذلک ، و هذا يستحيل على اللّه تعالى فانّ الاشياء تستفيض منه عزّوجل جميع كمالاتها وبه سبحانه يجب كلّ شيئي وجودا " و كمالا " ، و لايعقل استكماله بشيئي من خلقه ، فانّه لايعقل تاثير شيئي فيه ، و ولو فرض تلّهيه والعياذ بالله ، بل هو لم يجز ان يكون ذلک الملهيّ خارجاً " عن ذاته ، لاستلزامه كونه تعالى ممكنا "متاثّرا " عن غيره وعنه تفصح قوله تعالى . لواردنا ان نتّخذ لهوا " لاتّخذناه من لدنا ان كنّا فاعلين . و هذا برهان و ثيق من طريق التّلازم ، على وجوب المعاد ،وانّه لولم يكن معاد و غاية صحيحة للخلقة ، للزم اللّهو و اللّعب في فعله تعالى كلعب الصبيان ، حيث يبنون في زوايا السلک والزقاق بالطّين والاحجار والاخشاب صورا "فرضية للابنية ، و بعد برهة يطفقون يخربونها ، ثمّ يجدّدون بها صورا "اخرى ، ولايزالون يعملون كذلک ،الى ان يجّن عليهم اللّيل فير جعون الى اوكار هم منتظرين لطوع النّهار ،فيستانفون ذلک من الغدو هكذا وهكذا ، ،كلّ ذلک للالتذاذ بها و الاستكمال بغاياتها الخياليّة.

و لولا المعاد ــ وهي الغاية الصحيحه ــ للزم مثل ذلک في فعله وخلقه تعالى ، فانّه عزوجل كلّ يوم ،

في شان ولايزال يوجد و يأتي بخلق جديد ، ثمّ يعدم ،فيحيي

و یمیت و ینبت ثم یجعله حطاماً ، و یعمّر ثمّ یخرب و هکذا ، فلولا غایة صحیحة حقةٌ لکان ــ العیاذ باللّه ــ لاهیا " و لاعبا " و ذلک ظنّ الذّین کفروا فویل للذّین کفروا من النار .

فقد استبان ممّا تقدّم انّ اللّه تعالی هو الغایة ، کما انه تعالی هو المبدء والفاعل ایضا " فانّا للّه و انّا الیه راجعون .

و قد برهن فی محلّه علی اتّحاد الفاعل و الغایة ، و انّ التّغایر بینهما ببعض الوجوه ، فانّ الجائع مثلا " اذا اکل لشیبع ، فانّما اکل لانّه تصوّر الشبع فوجده کمالا " لنفسه ، فتوسّل بالاکل لتحقیق الشبع من حدّ الذّهن الی حدّ العین ، فالشبعان تصورا "و ذهنا " صار مبدءً و فاعلاً للشبعان عینا " بتوسّط الاکل ، و ان شئت قلت . انّ الغایة هی مرتبة کمال الفاعل ، فلوجود الفاعل مرتبتان . احدیهما مرتبة ناقصة ، والاخری کاملة ، فالمرتبة الاولی طالبة للمرتبة الاخری و مستکملة بها وهذا فی الموجودات الامکانیة واضح ، واما الواجب تعالی فحیث انّه یمتنع استکماله بشي فهو الفاعل من حیث هو الغایة ، فلا غایة و لاداعی له تعالی فی الایجاد غیر ذاته المقدّسة ، والّا لزم کونه عزّوجل ، مستکملا " بغیره ، فیکون ممکنا " محتاجا " الی الغیر و هذا خلف ، فهو الاوّل والاخر .

وما قد یقال : بانّ افعال اللّه تعالی غیر معلّلة بالغایات و

الاغراض ، فان عنوا بنفي الغاية عنه تعالى بما هي غير ذاته المقدّسة فهو كذلك ، ولاينافي ذلك ماوجد في كلامهم كثيرا " من انّه تعالى غاية الغايات ، فانّه عزّ اسمه كما هو غاية بالمعنى المذكور ، فهو غاية للموجودات بمعنى انّ جميع الاشياء طالبة له وانّ الغايات الوسطى لاتكون مقصودة بالاستقلال ، فالى اللّه تصير الامور واليه الرّجعى والمنتهى .



الفصل الثّاني :

في انّ الموت حقّ

فی انّ الموت حقّ

ثّم انّه‌تعالی بیّن انّ اوّل یوم هذاالرجوع ، هویوم‌الموت ، وانّه‌یوم‌السوق‌الیه‌سبحانه‌بقوله . کلّا اذا بلغت‌التّراقی ـ الی قوله ، الی ربّک یومئذالمساق .[1]

و قد تکّرر فی‌القرآن‌المجید انّ‌الموت لیس باطلا " بل هوحقّ کمافی‌قوله‌تعالی .وجاءت‌سکرة‌الموت‌بالحّق ذلک ماکنت منه تحید[2] .

الباءفی‌قوله .بالحّق ،للتعدیة‌نظیرالباء فی قوله . ان‌جاءکم فاسق‌بُنبا "[3]وقوله .و جئتک من سبا " بنباء " یقین[4] ،فیصیرالمعنی . جاءت غمرة‌الموت‌و شدّته التی تغشی‌الانسان بالحّق الذّی هوالموت فهو حقّ کائن ، و لیس باطلا " یظّنه‌ الذّین کفروا فویل لهم‌من النّار .

---

١ ـ القیامة ٢٦ـ ٣٠ ٢ ـ ق ١٩

٣ ـ الحجرات ۶ ۴ ـ النحل ٢٢

و عبّرعنه باليقين في قوله تعالى . و اعبدربّک حتّى ياتيک اليقين ، [1] فانّ المراد باليقين بملاحظةّما احتّف به الكلام من قبل و هوقوله عزّوجل ، فوربّک لنسئلنّهم اجمعين عمّا کانوا يعملون [2] ، هو عالم الآخرة الذّى يتبدّل الخبربه عيناناً " ،و مثله قوله تعالى حکاية عن المسلوکين في سقرحتّى اتانا اليقين [3]، و في التعبير بلفظة الاتيان ، ايماء الى ذلک ، فانّ اليقين الذّى ياتي الانسان ويطلبه هو غاية وجوده و نهاية سيره و هي النشأة الاخرى .

والموت بهذا المعنى کان بيانه على عهدة الانبياء والرّسل صلوات عليهم ، حتّى عدّمن العقائد الحقّة ، لاالموت الذّى بمعنى تعطّل الحوّاس ،وبطلان المشاعر ،فانّ المعنى الاخيرممّا يفهمه بعض الحيوانات العجم ايضا " ،وهذا المعنى حيث کان بمعنى الانعدام المحض و بطلان الصّرف ،کان من اکبرما يفزع منه الانسان ، و يحيد قديما " و حديثا " ، ويتخوّف منه اشّد الخوف ،فانّه حيث يرى ، طّروالفساد على الجسد ، و انحلال ترکيبه بعد تعطّل الحواس والمشاعر ، زعم انّ الموت هو بطلان وانعدام !!

---

١ ــ الحجر ٩٩

٢ ــ الحجر ٩٢ ــ ٩٣

٣ ــ المدّثر ٤٧

و قد حكي اللّه سبحانه وتعالى :عن مشركي الحجاز ، انّهم كانوا يتعجّبون من الانباء بــــبقاء الانسان ، و انّ الموت ليس الّا الانتقال من نشأة الى نشأة اخرى بقوله. و قالواء اذا ضللنا في الارض ائنّا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربّهم كافرون قل يتوفّيكم ملك الموت الذّى و كّل بكم ثّم الى ربّكم ترجعون. [۱]

و هذا كما ترى في مقام نقل بعض شبهاتهم في امر المعاد و هو : انّا بالموت ينحلّ تركيب ابداننا ، و تتفرّق اجزائها ، فتذروها الرياح شرقا "وغربا" ، شمالا" وجنوبا" الى اماكن بعيده ، فنضلّ في الارض و تعدم بالتّلاشي ، فكيف يمكن اجتماع تلك التّفرّقات وانضما مها حتّى نكون في خلق جديد ؟!!

فابطل سبحانه هذه المزعمة بقوله. " قل يتوفّاكم " يعنى : ليس الموت هو الانعدام و البطلان بل هو التّوفي ، و هو اخذ الحقّ بتمامه و كماله ، وانّ هناك ملكا " موكّلا " بكم هو يتو فّاكم و ياخذكم حقّ الاخذ ،ولا يدعكم ان تضلّوا ، و امّا الذّى ينحلّ و يضلّ في الارض فهو ابدانكم التّي هي القشور لكم و ليست هي انفسكم المدلول عليها بلفظة " كم "

---

۱ ــ السّجدة ۱۱

ثمّ انّه تعالی یقرّر فی موضع آخر، بانّ جمع المتفرّقات من اماکن سحیقة وضمّها و ترکیبها بصور بدیعة لم یزل ولایزال من صنع اللّه الّذی کلّ یوم هوفی شان " فیقول "افرأیتم ماتمنون أ ءنتم تخلقونه ام نحن الخالقون الی قوله. متاعا " للمقوین [1]

فانّها وقعت جوابا " عن شبهات الّذین کانوا یقولون ءاذا متنا و کنّا ترابا " و عظاما "ا ءنّا لمبعوثون او آبائنا الاوّلون. [2]

فبیّن تعالی فی مقام ردّ هذه المزعمة، بانّ المنّی الّذی تمنون وتصبّون الی الارحام انما یتکوّن من انواع الاغذیة الّتی فی اماکن متباعدة فی ارجاء العالم، و قد جمعها اللّه لکم بماافطرّکم الیه من الاجتماع والمدن و لوازمه من المعاشرة والمبادلة وغیر هما، فتنا ولتم من تلک الاغذیة، فتحصل منها المنّی الّذی تمنون بما سلّط اللّه علیکم من الشهوة الجنسیة، فیجعله فی قرار مکین، فیصوّرکم فی الارحام مایشاء.

فهذا الجمع والتصویر بمرای و منظر منکم، و انتم تلمسونه فی کلّ یوم، فلاوجه للاستبعاد والاستیحاش من الجمع و التّصویر بعد الانحلال والتفرّق " و لقد علمتم النشأة الاولی فلولا تذّکرون [3].

---

۱ ـ الواقعة ۵۸ ـ ۷۲ ۲ ـ الواقعة ۴۷ـ۴۸ ۳ ـ الواقعة ۶۱

يعني : لقد علمتم ابتداء خلقكم من اجزاء الاغذية المتفرّقة، في اطراف المعورة المتقاصية، فهلّا " تذكّرون و تعتبرون و تستدلّون بالقدرة عليها على القدرة بالثانية، و هوالذّي يبدء الخلق ثمّ يعيده و هوا هون عليه . [1]

والحاصل : انّ الموت ليس بطلانا " و فناء كي يحيد منه الانسان ويضطرب بذكره ، و يستوحش بنزوله ، فيقول قولا " لايتفوّه به الّا السّو فسطي اوالزنديق و هاک قول الشاعر الفارسي .

ترکیب پیاله ای که در هم پیـــوست

بشکستن آن روا نمیدارد مســـت

چندین قد سرو نازنین و سرو دســـت

از بهر چه ساخت وز برای چه شکست

یعنی :

هل الجام مهما تمّ صنعا "و دقــــة

يرى كسره من كان منتشيا " سكــرا "

ففيم يرى الخلاق ساقـــا " لطيفــــة

وراسا " و كفّا ثمّ يكسرهــــا كســرا "

---

١ ــ الروم ٢٧

وله ایضاً

از روی حقیقتی نه از روی مجـــــاز
بالعبتگانیم و فلـــک لعبـــت بــاز
بازیچه همی کنیم بر نطع وجـــود
افتیم بصندوق عـــدم یک یک بــاز

یعنی :

غدونا لذی الافلاک العاب لاعــــب
اقول مقالات لست فیه بکـــاذب
علی نطع هذا الكون قد لعبت بنـــا
وعدنا لصندوق الفناء بالتعاقـــب

بل الموت هو ارتقاء النفس ورجوعها الى بارئها و حقیقته التّوفي في لسان القرآن الكريم والمتوفیٰ – باسم المفعول – و هي النّفس هو حقیقة الانسان و هـي غیر بنیته البدنیّة الّتي يعرضها الفساد والانحلال بعد الموت ، و لعلّ اصرح الآیات في الباب هو قوله تعالی . اللّه يتوفّی الانفس حین موتها والّتي لم تمت في منامها فیمسک الّتي قضی عليها الموت ويرسل الاخری الی اجل مسمّی انّ في ذلک لآيات لقوم يتفكّرون [1]

---

١ – الزمر ۴۲

فانّ التعبير بالاخذ والامساك صريح في انّ حقيقة الانسان هي نفسه دون بنيته البدنيّة ، و انّ النفس غير البدن ، و الآيات الّتي تعبّر عن النوم والموت بالتوفّي كثيرة .

فما ورد في الادعية في مقام الاقرار بالعقايد الحقّة حتّى في تلقين الموتى ، من انّ الموت حقّ ، يراد منه هذا المعنى ، اى التّوفي وانتقال الروح الى عالمها كمالا يخفى .

و هذا المعنى هو المراد من خلق الموت في قوله تعالى . الّذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايّكم احسن عملا "[۱] .

فان حياة البدن انّما تكون بانبساط اشعّة النّفس عليه ، فبقبضها و توفيها عن البدن يرجع البدن الى ما يرجع ، و هذا المعنى ايضا " من مصرّحات الرّوايات المرّوية عن آل البيت عليهم السّلام في — ابواب مختلفة من القبر والمسائلة ، و لاسيّما ما ورد من الآثار ، في احوال الروح والنفس وحقيقة الرّؤيا ، فليراجع الطالب الى الباب ۴۳ من السّماء والعالم من بحار الانوار ، و سيمّر بك لمحة منه في مستقبل الابحاث انشاء اللّه تعالى .

---

۱ ــ الملک ۲

الفصل الثالث :

في لميّة اختلاف اسناد التوفي

في لميّة اختلاف اسناد التوّفي

وحــــيث تبيّن ممّا تقدّم انّ حقيقة الموت ، هوتوّفي النّفس و قبضها ،وانتقالها الى ماينا سبها من العوالم فينبغي ان تعلم وجه اختلاف نسبة التّوفي في القرآن الكريم ، حيث يسنده تارة الى اللّه عزّوجل كمافي قوله . اللّه يتوّفي الانفس حين موتها [1] ، و قوله حكاية عن عيسى عليه السّلام " فلمّا توفيّتنى [2] " الى غيرها من الآيات .

و مرّة اخرى ينسبه الى ملك الموت عليه السّلام و هو قوله . قل يتوّفاكم ملک الموت الذّى و كّل بكم [3] .

و ثالثة . الى الرّسل الذّين هم ملائكة اللّه لقوله تعالى : اللّه يصطفي من الملائكة رسلا " [4] ، كمافي قوله . توفتّه رسلنا وهم لايفرطون [5]

---

١ ــ الزّمر ٤٢ ٢ ــ المائدة ١١٧ ٣ ــ السّجدة ١١
٤ ــ الحّج ٧٥ ٥ ــ الانعام ٦١

و قوله . فكيف اذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم [۱]
و غيرها من الآيات .

و نظير هذا الاختلاف ، اختلاف اسناد الاضلال في القرآن الكريم ، فانّه يسنده تارة الى اللّه سبحانه كقوله تعالى . اتريدون ان تهتدوا من اضلّ اللّه [۲] ، ويقرب منه قوله عزوجل . فلمّا زاغوا ازاغ اللّه قلوبهم [۳] ، و غيرها من الآيات .

واخرى يسنده الى الشّيطان كقوله . ولقد اضلّ منكم جبّلا "كثيراً" [۴] ،
و ثالثة ينسبه الى الطّغاة من ابناء البشر مثل قوله : و اضلّ فرعون قومه و ماهدى [۵] ، و قوله : واضلّهم السامري [۶] .

ورابعة الى الاصنام كما في قوله تعالى . حكاية عن دعاء الخليل عليه السّلام . و اجنبني و بنيّ ان نعبد الاصنام ، ربّ انّهن اضللن كثيرا " من الناس [۷] ، و غيرها من الآيات الناسبة للفعل تارة الى

---

۱ ــ محمّد ۲۷ ۲ ــ النّساء ۸۸
۳ ــ الصّف ۵ ۴ ــ يس ۶۲
۵ ــ طه ۷۹ ۶ ــ طه ۸۵
۷ ــ ابراهيم ۳۵ ــ ۳۶

اللّه عزّاسمه واخرى الى غيره.

اقول : هذه المسئلة تستقي من مسئلة اخرى، لها بالنّسبة اليها والى مسائل اخرى امومة، وتلك الامّ هي كيفية ربط الموجودات الامكانيّة بالواجب بالذّات عزّوجل ،و من اهمّ تلك المسائل المرتضعة من ثدى هذه الامّ، مسئلة الجبروالتّفويض التّي هي من اقدم المشاكل الشاغلة

لافكار الفلاسفة و رجال الدّين، من نواح مختلفة، ناحية الاخلاق ، و ناحية القانون، و ناحية التاريخ، و هي. هل نحن مجبورون على ما نعمل فلانستطيع ان نعمل غيره. اونحن مختارون في العمل وانّ الواجب تعالى خلقنا وفوّض الينا اعمالنا فلنا الاستقلال في مقام العمل و بهذا يستصّح مسئولية الانسان العاقل في قبال عمله.

توضيح ذلك : انّه قد فرغ في موطنه انّ احتياج المكن "المعبّر عنه باللّيسية الذاتيّة واستوائيّة الجانبين اوسلب ضرورة الطّرفين" الى المرجّح الايجابى، من الاوليّات ، لوضوح بطلان التّرجح بلا مرجّح، و امتناع الصدفة والاتّفاق ،فكلّ ممكن مالم يترجّح وجوده بغيره لم يوجد، و ذلك السّبب المرجح مالم يبلغ ترجيحه الى حدّ الوجوب وامتناع عدم المقابل لم يكن مرجّحاً، بل هو باق بعد

في حدّ الامكان ، فيستوي اليه الطّرفان ، فيستنتج من ذلك انّ الممكن في خروجه من ظلمة اللّيس الى ساحة نور الايس ، محتاج الى السّبب الايجابي ، وهذا واضح لا يقبل النكيرة .

وانّما الكلام والسّؤال في انّ هذا الاحتياج والا فتقار هل ينقطع بعد الايجاد ام هو باق بعد ؟ و بعبارة اخرى : احتياج الممكن الى العلّة الموجدة هل هو مقصور في الحدوث ؟ ام يعمّ الحدوث و البقاء ؟

زعمت طائفة من المتكلّمين ان افتقار الممكن الى المرجّح الموجد مقصور في الحدوث ، و منهم من قال بانّ الحدوث ، مناط الحاجة ، فاذا حدث فقد استغنى ، حتّى صرّح بعضهم بانّ الباري لو جاز عدمه العياذ باللّه لما ضرّ عدمه وجود العالم بعد الحدوث !! ويترّتب عليه انّ الافعال الصّادرة عن الفواعل مجرّدة كانت ام مادّية ، و الآثار و الخوّاص المترتّبة على الاشياء ، و بالجملة كلّ ما يتفرع على ايّ شيء كان ، فهي صادرة عنها على سبيل الاستقلال ، و ليس للواجب تعالى تاثير فيها !!

و هذا القول كما ترى ماخوذ من معتقدات اليهود المشار اليها في قوله تعالى : قالت اليهود يد اللّه مغلولة [1] ، و عليه فافعـــال

---

١ ــ المائدة ٦٤

العباد مخلوقة لهم و باختيار هم المحض ، و في مقدرتهم ان يفعلوها وان يتركوها من غير دخل لارادة اللّه تعالى و قدرته .

فاللّه سبحانه وتعالى اوجدهم وبعد الايجاد فوّض اليهم اعمالهم ، هذا هو القول بالتّفويض والقدر ، واوّل من قال بهذا القول من المسلمين . معبد بن عبد اللّه الجهني البصري ، فافسد عقايد المسلمين فكانت نهاية امره ان اخذه عبد الملك بن مروان فقتله وصلبه بدمشق في سنة ثمانين من الهجرة .

ثمّ تربّى هذا القول المتهود في حجر المعتزلة ، واثار عند المعتزلة وخصومهم مسائل كثيرة متفرّعة عليها ، فمنها مسئله التولّد ، و قد تشعب آرائهم فيها ، فمن اراد البسط فليراجع الى مظانها .

وقابلهم قوم فقالوا . بانّه تعالى كما هو خالق للفواعل ، خالق لآثار ها ، و الخواصّ المترتّبة عليها ، و انمّا جرت عادة اللّه تعالى بخلق الآثار و الخوّاص عقيب و جود تلك الفواعل و المبادي ، كاشراق الشّمس عقيب طلوعها ، واحراق النّار تلووجودها ، فاخترع من هولاء القوم ابوالحسن الاشعرى مسلكاً سمّاه " الكسب " بمعنى ان اللّه تعالى اجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته ، لا بقدرة العبد وارادته فهذا الاقران "هو الكسب" و هو كما ترى شكل آخر في التعبير عن الجبر مع كونه مختصا " بفعل الانسان ظاهرا " .

فالجبّرية تعتقدبانّ الاشياء كلّها منعزلة عن السّببية والتّأثير ، وانّ الانسان مجبور ، و ليس له اختيار ولاقدرة على خلق افعاله ، و هوكالريشة في مهّب الريح ، او الغثاء الملقى على الامواج ، و انمّا يخلق اللّه الاعمال على يديه .

واوّل من اشتهر في الاسلام بهذا القول رجل من اهل خراسان يقال له جهم بن صنوان المقتول في سنة ١٢٨ من الهجرة ، ثمّ ترعرع ذاک الرّأی حتّی بلغ اشدّه في حجر الاشعرّية وما ربمّا يقال . ان الاشعرّية هم اهل السّنة والحديث ، فلايقولون بالجبر والتفويض ، فشطط من الكلام ،لانّ شيخهم اباالحسن الاشعرّي ـ المتوفیٰ سنة ٣٣٠ قدصرّح في كتابه المسّمی بمقالات الاسلاميّين ، بانّ العباد لايقدرون عـــلى خلق شيئٍ من اعمالهم ، و انّ اعمالهم كلّها من الحسنات و السيّئات مخلوقة للّه ، تعالى عمّا يقول الظّالمون علوا " كبيرا "

و هذا القول كماتری ، هوالقول بالتشبيه حيث اخرج الواجب عزّوجل عن علّو الوجوب الى حضيض الامكان كما انّ القول بالتفويض تعطيل و اخراج للمكن عن حدّه الی الوجوب الــذّاتی ، فــتلــک اغاليطهم الضّالة المضّلة بما نكبوا عن الصّراط المستقيم .

لقد صدق ولّی اللّه تعالى مولينا الرّضا عليه الصّلوة والسّلام حيث قال : في جواب من سئله عن الجبر والتفويض: فالقائل بالجبر

كافر، والقائل بالتّفويض مشرك.[1]

امّا كفر القائل بالجبر، فلانّه تعالی بسیط الحقیقة غایة البساطة، فلایشوبه مایغایره من عدم او عدميّ فهو تعالی واجد لكلّ حقیقة وجودیّة، فله عزوجلّ كلّ صفة كمالیّة حیثیّتها حیثیّة الوجود، بمعنی كونها منتزعة عن موجود من حیث انّه موجود كالعلم والقدرة والحیاة، فانّها بصرافتها ثابتة للواجب بالذّات فله الاسماء الحسنی، و كلّ من هذه الصّفات الكمالیه عین ذاته المقدّسة، و بالعكس و لولا ذلک لكان الذّات المقدّسة محدودة بالنسبة الیها و قد ثبت انّها غیر محدودة، و هذا خلف ولازم بساطة الذّات و صرافة الصّفات انّ ما یصدر منه یكون من حاقّ ذاته و صرف حقیقته، فلو صدر المتجدّدات و المتصرّمات عنه تعالی بالمباشرة و بلاوسط، یلزم منه التصرّم و التغیّر فی ذاته و صفاته، و بالتّالی یلزم حدوث القدیم بالذّات، او قدم الحادث، و ثبات المتغیّر بالذّات.

وربّما یقال: انّ ذالک فی غیر الفاعل المختار و امّا الفاعل المختار فله ان یفعل مایختار و یشاء، فشطط من الكلام فان مشیّته و ارادته علمه تعالی، و علمه عزّوجلّ عین ذاته و حدوث الارادة والعلم هو بعینه حدوث الذّات و منشاء تلک الاغالیط هو قیاس ارادة تعالی

---

١ ــ البحار ج ۵ ص ١٢

وعلمه وفعله الاختياريّ على ارادتنا و علمنا و فعلنا الاختياري التّي كلّها حادثات فاين الانسان المتغيّر السيّال الوجود والواجب بالذّات ؟

و ماقد يذهب الى الاوهام من انّ ذلك مستلزم للقصور في قدرته، ومغلوليّة يده ،واحتياجه في الافاضة والخلق الى الواسطة، فاغلوطة اخرى، فان اقتضاء الغاية الربّانية ، الترتيب الاقوم والنظام الاتمّ في الموجودات الامكانيّة، من حيث الرّبط والتعلّق بالواجب القيّوم بلاوسط اومع وسط ، اواوساط ، ليس لقصور في قدرته تعالى بل النقصان في القابل والمستفيض، و كيف يتوّهم النقصان والاحتياج فيه تبارك وتعالى ،مع انّ الاوساط عين الربط والتعلّق بالقيّوم المطلق .

فالقيّوم المتعالي لاينسب الى العجز والنقصان ، بل المستفيض ، ناقص لايكاد يتلقّى الفيض من الجواد المطلق الّابوسط ، او وسائط، والى ذلك الاصل يشير قول سيّد الموحّدين اميرالموءمنين عليه السّلام حين سئل هل يقدر ربّک ان يدخل الدّنيا في بيضة من غير ان تصغر الدّنيا او تكبّر البيضة ؟!!

قال عليه السّلام . انّ اللّه تبارک و تعالى لاينسب الى العجز ، والّذى سالتني لايكون [1] ، و يقرب منه الخبر ۹ و ۱۱ في ج۴ من البحار ص ۱۴۳

---

۱ ــ البحار ج ۴ ص ۱۴۳

و في توحيد الصدوق ره باسناده عن محمّد بن ابی عمير عن ابي عبدالله عليه السّلام قال : انّ ابليس قال لعيسى بن مريم ع . ايقدر ربّک علي ان يدخل الارض في بيضة لايصغر الارض ولايكبّر البيضة ؟

فقال عيسى عليه السلام . و يلک انّ الله لايوصف بعجز ، و من اقدر ممن يلطف الارض و يعظم البيضة[۱] ؟ يعني انّک في طيّ سئوالک انّه تعالي قادر علي كذا من تصغير هذه و تكبير تلک ، قد اذعنت بالقدرة علي ذلک مع التصغير والتكبير وايّ قدرة اقوى من ذلک ؟

فبيّن من ذلک كفر الجبرية ، حيث انزلوا الواجب تعالى عن علوّ مقامه الي حضيض الامكان ، و سجن الزمان و المكان ، تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّا " كبيرا " .

وامّا اشراک المفوّضة ، فلانّ القول باستقلال الممکن في التاثير والايجاد ، و هو القول بانقلاب الامكان الي الوجوب الذّاتی ، و خروجه عن الليّسية الذاتيّة الي الغناء الذّاتی ، فجعلوا الله شركاء ، فهولاء واليهود القائلة "يدالله مغلولة" سواسيّة ، و قولهم هذا افحش من قول المجوس ، فانّ المجوس قالوا بالمبدئين . مبدء الخير و سمّوه

---

۱ ــ توحيد صدوق ۱۲۷

یزداناً " ، و مبداء الشّروسمّوه اهرمنا " ، ولکن مجوس الامّة المرحومة قالوبمبادغیرمتناهیة ، فهولاء کهولاء ، ماقدروااللّه حقّ قدره و لم یحفظوامقام الربوبیّة والحقوق الامکانیّة ، فالجبریّة عورت عینها الیمنی ثم سری عور ها الی الیسری ، والمفوّضة بالعکس ، و ذوالعینین هوا لقائل بالامربین الامرین ، حیث اعطی کلّ ذی حق حقّه ، وهذاهو مذهب الامّة الوسط ، المصرّح به فی القرآن العظیم ، والمستنتج من البرهان القویم .

فانّه بعدما علم انّ استقلال الممکن فی الایجاد ، و صدور المتغیّرات عنه تعالی بلاوسط ممتنع ، استبان طریق الامّة الوسطی ، و هوکون الموجودات الامکانیّة موءثرات لکن لابالاستقلال ، والفاعل بالاستقلال فی دارالوجود لیس الّا اللّه تعالی ، والموجودات الامکانیه کما انّ وجوداتها عین الربط والتدلّي بالحيّ القیّوم کذلک آثارها وافعالها عین الرّبط والتعلّق به تعالی ، بآثارها وافعالها مع کونها آثارها و افعالها ، آثاراللّه تعالی وافعاله ، والی ذلک یشیر قوله تعالی . و مارمیت اذرمیت و لکن اللّه رمی [1] ، فاثبت الرّمی له من حیث نفاه ، لانّ رمیه لم یکن منه بالاستقلال ، بل بحول اللّه وقوته ،

---

۱ ــ انفال ۱۷

فذلک الرّمي بعينه هورمي اللّه .

و مثل قوله . و ماتشائون الّا ان يشاء اللّه [۱] ، فنفس مشيّتهم هي مشيّة اللّه تعالي ، فليس هناک مشيّتان موثّرتان بالاشتراک ، بل مشيّة الممکن هو ظهور مشيّة اللّه عزّوجل فمشيّة الممکن مع کونها مشيّته هي مشيّة اللّه تقدّست اسمائه ، و يفصح عن ذلک کلّه قوله عزّ اسمه : افمن هو قائم علي کلّ نفس بما کسبت [۲] .

فانقدح مما ذکرنا انّ المتوفي للانفس بالاستقلال ليس الّا اللّه ، مع کون التّوفي فعل ملک الموت واعوانه من الرسل والملائکة عليهم السّلام ، کذلک الکلام في امر الضّلال والخداع و المکر و نحوها ، و قد ورد في بعض الاخبار ما يفسّر التوفي بنحو ما اوضحنا لک .

فمنها ما رواه في الاحتجاج والتوحيد في خبر من اتي امير المومنين عليه السّلام مدعيا " للتناقض في القرآن قال عليه السلام . اما قوله . يتوفّيکم ملک الموت الّذی و کلّ بکم ، ثّم ذکر سائر الآيات في التّوفي الي ان قال .: فانّ اللّه تبارک و تعالي يدّبر الامور کيف يشاء ويوکّل من خلقه من يشاء بما يشاء ، امّا ملک الموت فانّ اللّه عزّوجل يوکّله بخاصّته من يشاء من خلقه ، و يوکّل رسله من الملائکة خاصة بمن يشاء من خلقه تبارک و تعالي ، والملائکة الّذين سمّاهم اللّه عزوجل

---

۱ ـ الانسان ۳۰ ۲ ـ الرّعد ۳۳

وكلّهم بخاصّة من يشاء من خلقه، انّه تبارك و تعالى يدّبر الامور كيف يشاء و ليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسّره لكلّ الناس لانّ منهم القوّي والضّعيف . لانّ منه ما يطاق حمله و منه ما لا يطاق حمله الّا من يسّهل اللّه له حمله و اعانه عليه من خاصّة اوليائه وانمّا يكفيك ان تعلم ان اللّه المحيي والمميت وانّه يتوّفى الانفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكة و غيرهم [1] .

هذا الخبر الشريف مضافا " الى كونه يفسّر اختلاف اسناد التوّفي ويصحّحه بما ذكرنا ، يشير الى لطائف آخر : فمنها انّ اختلاف المتوّفي " بالكسر " على حسب اختلاف مراتب المتّوفىٰ " بالفتح " فانّ قوله عليه السّلام . امّا ملك الموت فانّ اللّه عزّوجلّ يوكلّه بخاصته من خلقه ظاهر " في انّ ملك الموت عليه السّلام موكّل في توفي نفوس الخوّاص و منه يستشّم انّ توّفي نفوس الاخّص من اولياء اللّه تعالى لعلّه يكون بتوكيل من هو اقرب الى اللّه عزّوجلّ من ملك الموت وان كان الكلّ من عند اللّه كما علمت آنفا " من ثبوت الوسائط في الاستفاضة من الجواد المطلق ، و ماربمّا يسبق الى الوهم من كون توفّي نفوس الاخّص من اللّه تعالى من غير وسط مدفوع بما بيّنا لك من قبل ، و ما اسند اليه

---

١ ــ البحار ج ٦ ص ١٤٢

من‌قوله تعالي . ب عيسى انّي متوفّيک "لاسناد له فانه سبحانه نسب الي نفسه توّفي الانفس كلّها في موضع آخر بقوله. اللّه يتوّفي الا نفس حين موتها [1].

و منهاانّ قوله عليه السّلام انّه يتوّفي الانفس علي يدى من يشاء من خلقه من‌ملائكته و غيرهم ظاهرا " يبلغ الصّراحة في انّ قبض الارواح و توفي النّفوس ربّمايقع بغير ايدى الملائكة عليهم السّلام من سائر مخلوقاته ولعمرک هذا من لطائف الاخبار الناطقة بتمكّن البعض في اسمه القابض و فنائه فيه.

ان قلت . انّ البيان المذكورقدانحلّ به عقدةاختلاف نسبة التّوفي ،واما اسناد الاضلال والخداع والمكر والختم والطبع والكيد والاستدراج و نحوهااليه تعالي من غير تاويل ، فربمّالا تطيب نفس المؤمن بل يمتلئ غضبا " اذا سمع احدا " يقول .انّ اللّه ماكروكائد و مضّل ، و ربمّا يريدان يبطش بالّذى يقول مثل هذاالقول ، حيث يحمل قوله علي سوء الادب لولم يذكر تاويلا ".

والحاصل انّ المذكور من البيان غيركاف في تصحيح اسناد امثال تلک العناوين من غير تاويل الي اللّه تبارک و تعالي عن كلّ نقص و

---

۱ ــ الزّمر ۴۲

شین ، و حیث قداسندت الیه تعالی فی القرآن المجید فلابدّ من تاویل فی ذلک الاسناد ، فما ذلک التاویل اللازم فی تنزیه ساحته الرّبوبیّة عن کلّ نقص و عیب ؟

قلت . ان الامعان فی البیان المذکور کاف فی حلّ تلک العقدة ایضا " ، فاسناد الاضلال و اخواته الی اللّه تعالی علی سبیل الحقیقة دون المجاز مع تجریدها عمّا لایلیق بعلّو جلاله ولایتوّهم من التجرید لزوم المجازیّة فان الالفاظ علی ماحقّق في محلّه موضوعة للمهّیات باعتبار الاغراض والغایات فیکون الغرض والغایة في صدق اللّفظ علی المسّمی حیثّیة تقییدیّة ، بمعنی انّ المدار فی صدق الاسم الموضوع علی المسمی هو اشتمال المصداق علی الغرض والغایه ، وامّا الخصوصّیات الخارجة عن الفرض فلادخل لها فی جوهر المعنی . فالضّلال مثلا " هو العدول عن المنهج المستقیم ، والاضلال هو امّاله انسان مثلا " و العدول به عن ذاک المنهج و اضلال اللّه ایّاه عبارة عن انّه تعالی حیث خلقه ضعیفا " شدیدا الانفعال ، یتأثّر من کلّ موءّثر ویلزم فی عنقه طائره ، فاذا عمل عملا " او تکلّم بقول انعکس منه فی قلبه ، فاذا تکّررت منه السیّئات بسوء اختیاره و احاطت به خطیئته فقد ضلّ عن الطریق المستقیم ، و اضلّه اللّه تعالی علی علم و حال بینه و بین قلبه فیکون قلبه مختوما " مطبوعا " و حقّت علیه الغشاوة و

الرّين والكتان ونحوها ،كلّ بحسب ماله من الغرض الدّاعي الى وضعه ، فيستنتج من ذلك . انّ اللّه خالق كلّ شئي فالكلّ مخلوق له تعالى ، ومن حيث انّه مخلوق حسن لاشين فيه و هوقوله عزّاسمه الذّى احسن كلّ شيئي خلقه[١] ، فهذه آلاية بمنزلة الكبرى لقوله تعالى اللّه خالق كل شيئ [٢] ، و نتيجه هاتين المقدّمتين . انّ كلّ مخلوق من حيث انّه مخلوق له تعالى حسن لانقص فيه ولاخرازة فتلك العناوين المنسوبة للّه تعالى بما انّها مخلوقة له تعالى حسنة جميلة لايتطّرق اليها نقص ولاشنار و هو القضاء العدل والحكم الحقّ و القدر الجميل ، و تدبّر في قول سيّد العارفين عليه السّلام في دعاء كميل . فغرّني بما اهوى واسعده على ذلك القضاء الى قوله فلك الحمد[٣] علّي في جميع ذلك ولاحجّة لي فيما جرى علّي فيه قضائك والزمني حكمك و بلاءك .

فما الطف قوله عليه السلام : " فلك الحمد[٣] يعني انه سبحانه في قضاء ، ذلك القضاء هو المحمود المطلق و ان كان المقضّي ــ و هو التّجاوز على بعض حدود اللّه ، و مخالفة بعض اوامره ــ غير محمود ، والى مثله يهدف قول المتيّم بحبّ اللّه ابى عبدالله الشهيد (ع)

---

١ ــ السّجدة ٧ ٢ ــ الزّمر ٦٢ والرّعد ١٦

٣ ــ فلك الحجّة في بعض النسخ

في مفتتح دعاء عرفة: "الحمدللّه الذّى ليس لقضائه دافع" فياله من كلام ماالطفه و بنفسي هومن داع مااحسن ادبه؟..

حيث قدّم وصفه عزّوجلّ بالمحموديّة المطلقة ثمّ بنفي الدافع لقضائه اشعارا "بانّه تعالى في قضائهايّ قضاء كان، محمود مطلقا"

و بالجملة انّ اللّه تعالى خالق كلّ شيئ و قداحسن كلّ شيئ خلقه فهوالقيّوم على جميع الاشياء بمالهامن الآثار، ومنها الانسان بجميع ما هوعليه من الفعل والتدبير والاطاعة والعصيان والكفر و الايمان والاساءه والاحسان والضلّال والهداية و غيرها الّا ان نسبة غيرالمرضي من تلك العناوين اليه تعالى لاتجوز مستقيمة فانّ اللّه سبحانه لايفعل الّاما هوالجميل ولايرضي لعباده الكفر ولايامر بالسّوء والفحشاء، واما الاسناد الغير المستقيم المعبّرعنه في القرآن بالاذن فلامانع منه، انّ اللّه بالغ امره قد جعل اللّه لكلّ شئي قدرا"، فهوسبحانه قد اذن لابليس في الوسوسة و لم يمنعه عن الاضلال و الاغواء والتزيين والنزع و غيرها و اذن للانسان و لم يمنعه من اتّباع الهوى ليتّم امرالابتلاء، لانّ السعادة والشقاوة مبنيّتان على الاختيار فمن سعدفباختياره ومن شقي فباختياره و لولا ذلك لم يتّم الحجّة، و لم يستقم قوله تعالى. و ليبلوكم ايكم احسن عملا"، فالذين اطاعوا الشيطان واتبّعوا خطواته فضلّوا واضلّوا ليسوا بمعجزين للّموخارقين

لقيمومته تعالی فكفر هم و ضلالهم ونفاقهم واضلالهم و غير ذلك من آثار وجودهم كانت بمشيّة اللّه عزّوجلّ مشيّة اذن لامشيّة حتم وكلّ ذلك مما يعلّمه القرآن الكريم و يبيّنه الاخبار الصّادرة من رسول اللّه و آله المعصومين صلوات اللّه عليه وعليهم ولولا ذلك لم يستقم قيمومته تعالی علی كلّ شيئي ولم يتحقّق كلمة التّوحيد ، فانّه القيّوم المطلق وهو اللّه الواحد القهّار .

و ممّا ذكرنا اتّضح انّ عالم الوجود بما احتوى عليه من انواع الموجودات بقضّها و قضيضها مرتبط الاجزاء ومتلائم الابعاض و كذلك الحوادث الجارية متشابكة مرتبط ارتباط اعضاء الجسد الواحد فادنی تغيّر ما في ايّة ذرة من ذرّات العالم مسبوق بالعلم و متعانق بالحكمة و ان خفي علينا ، و هذا النّاموس هو الّذی يذكره القرآن العظيم ، من اتّصال التّدبير في السّموات والارض وما انزل من السّماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها و تصريف الرّياح والسّحاب المسخر بين السّماء والارض الی غير ذلك ، فالكلّ متعاضد و متعاون فلا يعصون اللّه عزّوجلّ فی ما امروا به من اقامة غرض الخلقة " اولم يروا الی ما خلق اللّه من شيئ يتفيّؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً " للّه و هم داخرون و ،للّه يسجد ما فی السّماوات ومافی الارض من دابّة و والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون

وكذلك عناوين الافعال والاعمال مرتبطة ارتباط الامور المتقابلة المتعاندة فلولا احد المتعاندين لم يستقم امر الاخر كما نشاهده من امر الصّنع والايجاد حيث ان تكّون شيئ ما متعانق مع فساد الآخر ، فالطّاعة حسنة لانّ المعصية سئيّة والحسنة موجبة للثّواب لانّ السّئية موجبة للعقاب ، والثّواب لذيذ لانّ العقاب مولم واللّذة سعادة مرغوب فيها لان الالم شقاوة مهروب عنها وهكذا .

---

١ ــ النّحل ٤٨ ــ ٥٠

الفصل الرّابع :

في انكشاف سرابيّة الاسباب بالموت

في انكشاف سرايته الاسباب بالموت

انّ عنايةالله تعالى قد قضّت بان يكون استكمال الانسـان و وصوله الى سعادته الاخيرة بالعلم والعمل الصّالح وذلك تدريجيّ الحصول له، فلا بدّ من هبوطه الى عالم القوّة والتّدريج و استقراره فـــي الارض و تمتّعه فيها الى حين وهو قوله تعالى" و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الارض مستقرّ ومتاع الى حين [1].

فمن عنايته عزّوجلّ باستكمال الانسان وايصاله الى الغاية. ان القى التعلّق بينه وبين ماعلى الارض من زنية الحياة الدّنيا و زهـر تها وسخّر عليه اذعانات و علوماً و همّية تتكون عنها الارادة والنزوع الى الفعل وحبّب اليه المال والجاه و المقام والريّاسة والثّروة وامثالها و استعمره فيها و خلّاه و اختياره مشفوعاً" بالنذر والحجج البوالغ حتّى اذا بلغ الكتاب اجله قمصته الدّنيا بارجلها و اعلقته اوهاق

---

١ ــ البقرة ٣٧

الّمنية قائده لهالي ضنك المضبحع وحشة المرجع و معاينة المحّل و ثواب العمل فعند ذلك تتّقطع بهم الاسباب و ضّل عنهم ماكانوا يزعمون وينكشف لهم سرابيّة الاسباب الّتي كانوا يزعمون استقلالها في التاثيروالايجاد .

قال استاذنافي المعارف الحقّة مولينا العلاّمة الطّباطبائي روحي فداه في قوله تعالى . " انّا جعلنا ما على الارض زنية لها لنبلوهم ايّهم احسن عملا " . و انّا لجاعلون ما عليها صعيدا " جرزا " ١

الزنيــة : الامر الجميل ينضّم الى الشئي فيفيده . جمالا "يرغب اليه لاجله والصّعيد : ظهرالارض

والجرز : الارض التي لاتنبت كانّها تاكل النبت اكلاً ، ثّم قال مدّ ظلّه الوارف :

و لــقد اتى في الآيتين ببيان عجيب في حقيقة حياة الانسان الارضّية ، و هوانّ النّفوس الانسانّية ــ وهي في اصل جوهرها علوية شريفة ــ ماكانت لتميل الى الارض والحيوة عليها و قد قدّرالّله ان يكون كمالها و سعادتها الخالدة بالا عتقاد والحقّ و العمل الصّالح فاحتالت العناية الالهّية الى توقيفها موقف الاعتقاد والعمل الصّالح

---

١ ــ الكهف ٧ ــ ٨

وايصالها الي محك التصفية والتّطهير واسكانها الارض الي اجل معلوم بالقاء التعلّق والارتباط بينها و بين ما علي الارض من امتعة الحياة من مال وولد وجاه و تجبيبه الي قلوبهم فكان ما علي الارض و هوجميل عندهم ، محبوب في انفسهم زنية للارض و حلية تتحلّي بها لكونه عليها فتعلّقت نفوسهم علي الارض بسببه واطمأنّت اليها فاذا انقضى الاجل الّذى اجلّه اللّه تعالي لمكثهم في الارض بتحقّق ما اراده من البلاء والامتحان سلب اللّه ما بينهم و بين ما علي الارض من التعلّق و محي ماله من الجمال والزنية و صار كالصعيد الجرز الّذى لانبت فيه ولانضارة ونودى فيهم بالّرحيل وهم فرادى كما خلقهم اولّ مرّة

و هذه سنّة اللّه تعالي في خلق الانسان واسكانه الارض وتزيينه ماعليها له ليمتحنه بذلك ويميّز به اهل السعادة من غيرهم فياتي سبحانه بالجيل بعد الجيل والفرد بعد الفرد فيزيّن له ما علي الارض من امتعة الحياة ثمّ يخلّيه واختياره ليختبرهم بذلك ثمّ اذا تمّ الاختيار قطع ما بينه وبين زخارف الدّنيا المزيّنة ونقله من دار العمل الي دار الجزاء [1]

قال تعالي : " ولوترى اذا الظّالمون في غمرات الموت والملائكة

---

١ ــ الميزان ج ١٣ ص ٢٥٧

باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على اللّه غير الحقّ ، و كنتم عن آياته تستكبرون ، لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرّة و تركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاء كم الّذين زعمتم انّهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ماكنتم تزعمون [١]

قال دام مجده في بعض رسائله . "اعلم انّ الانسان انمّا يختلط في هذه الدّار بقسمين من موجوداتها احدهما ، ما يزعم انّه يملكه من رينة الحياة الدّنيا و زخرفها و يستعين به في آماله وامانيه و اغراضه و غاياته ،و الثّاني مايرتبط به ممّا يزعمه شفيعا " لايتمكّن من بلوغ المآرب الابشركته وتاثيره من ازواج واولاد واقارب واصدقاء و معاريف اولي القوّة والبأس .

فاشار سبحانه الى بطلانهما بالجمله بقوله . " لقد جئتمونا فرادى " والى زوال القسم الاول بقوله . " وتركتم ما خوّلنا كم " والى زوال القسم الثّاني بقوله . " ومانرى معكم شفعاء كم والى سبب البطلان بقوله . "لقد تقطّع بينكم " والى النتيجة بقوله " " و ضلّ عنكم " .

و بالجملة فيبقى مافي الدّنيا في الدّنيا و تشرع من حين الموت

---

١ ــ الانعام ٣ ــ ٩٤

حياة اخرى للانسان فاقدة لجميع ما في الدّنيا و لذلک سمّی الموت بالقيامة الصغرى "انتهى موضع الحاجة من كلامه مده"

قال الزّمخشری في الكّشاف في ذيل قوله تعالى . "اخرجوا انفسكم " انّ هذا تمثيل لفعل الملائكة في قبض ارواح الظلمة بفعل العزيم الملّح ببسط يده الى من عليه الحقّ ليعنّفه في المطالبة ولا يمهله و يقول له : اخرج مالي عليک الساعة ولا اريم ــ اى لا ابرح ــ مكاني حتّى انزعه من احدا قک"

و قال شيخنا العلاّمة الطّباطبائي دام علّوه . " انّه امر تكوينيّ لانّ الموت والوفاة ليس في قدرة الانسان كما الحياة حتّى يؤمر بذلک فالامر تكويني و الملائكة من اسبابه و الكلمة مصوغة صوغ الاستعارة بالكناية"

اقول . نظير ما ذكره روحي فداه قوله تعالى . " و لكن كره اللّه انبعاثهم فثبطهم و قيل اقعدوا مع القاعدين "[1]

ومن الآيات الشريفة الناطقة بانكشاف الحقيقة و بطلان الاسباب وضلال الشفعاء بالموت قوله تعالى . " فمن اظلم ممن افترى على اللّه كذبا " اوكذب بآياته ، اولئک ينالهم نصيبهم من الكتاب حتّى اذا

---

١ ــ التوبة ۴۶

جائتهم رسلنا يتوفّونهم ، قالوا اين ماكنتم تدعون من دون اللّه؟
قالوا ضلّوا عنّا و شهدوا علي انفسهم انّهم كانوا كافرين [١] "

و منها قوله تعالي : "و لوترى اذفزعوا فلافوت واُخذوا من مكان قريب . و قالوا آمنّا به ، و انّى لهم التناوش من مكان بعيد . و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد ، و حيل بينهم و بين مايشتهون كما فعل باشيا عهم من قبل انهم كانوا في شك مريب [٢]

يعني : لورايت الكفّار حين را وابأس اللّه تعالي عند معاينة الملائكة لقبض ارواحهم واخذوا اخذا " لافوت فيه من مكان قريب وهو ظهرالارض ، ، لرايت امرا "عظيما " وهم عندئذ ،قالوا آمنّا بماوراء الطبيعة و لكن هيهات ، و لايمكنهم تناول الايمان في مكان بعيد . و هي الدّنيا ــ فانّها موطن الاعتقادات الحقّ والعمل الصّالح و قد ارتحلوا عنها و تقطّعت بهم الاسباب ، و هم قدكفروا بماكان غائبا " عنهم في الحياة الدّنيا و يرمون به من ذلک المكان البعيد ، كمايرمى الحجراوالشيي الخسيس الذّى لاينتفع به ، كانوا يعملون مع انباء الغيب عملهم مع الشيي الخسيس الواجب الرمي ، و جعل بينهم و بين ما

---

١ ـ الاعراف ٣٧ ٢ ـ السباء ٥١ ـ ٥٤

يشتهون و يحبّون من الجاه والمقام واللّذائد بالموت الهادم اللّذات

الى غيرها من الآيات .

***

الفصل الخامس :

في ما يعاين عند الموت

في ما يعاين عند الموت

قداستبان ممّامرّ في الفصل الرّابع انّ بنزول الموت تشرع حياة اخرى ، سمّاها القرآن الشريف حياة برزخيّة بقوله :

" حتّى اذا جاء احدهم الموت ، قال ربّ ارجعون لعلّي اعمل صالحا " فيما تركت كلّا انّها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " [1]

و تلك الحياة كما هو ظاهر الآية برزخ و وسط بين الحياة الدّنيا و بين الحياة الآخرة وسيأتي ما يتعلّق بشئون هذه الحياة و سنخها من البحث ، والّذي يجب ان نخوض فيه الآن هو البحث عمّا ورد من الرّوايات فيما يعاين المؤمن والكافر من الكرامة والهوان عند نزول الموت وغمراته و هي كثيرة جدّا " نذكر شطرا " منها :

فمنها ما روى عن مولانا زين العابدين . " قال اللّه عزّوجلّ : ما من اتردّد عنه تردّدي في قبض روح المؤمن ، يكره الموت وانا اكره مساءته فاذا حضر اجله الّذي لا يؤخّر فيه بعثت اليه بريحانتين من الجنّة

---

١ ـ المؤمنون ١٠٠

تسّمي احديهما المسخية ، والاخرى المنسّية فاما المسخية فتسخيه عن ماله و اما المنسّية فتنسيه الدّنيا [١]

اقول : هذا المضمون اى نسبة التردّد الي اللّه سبحانه في قبض روح المؤمن قد تكرّر في روايات الفريقين ففي الكافي عن ابي جعفر الباقر عليه السّلام قال : " لما اسرى بالنّبي صلّى اللّه عليه و آله ، قال : يا ربّ ، ماحال المؤمن عندك ؟ قال : يا محمّد من اهان لي وليّا " فقد بارزني بالمحاربة ، و انا اسرع شيي الى نصرة اوليائي ، و ماتردّدت في شيي انا فاعله كتردّدي في وفاة المؤمن ، يكره الموت واكره مساءته ، و انّ من عبادى المومنين من لايصلح الاّ الغناء ولوصرفته الي غير ذلك لهلك ، و انّ من عبادى المؤمنين من لا يصلحه الاّ الفقر و لوصرفته الي غير ذلك لهلك ، و مايتقّرب اليّ عبد من عبادى بشئي احبّ اليّ ممّا افترضت عليه وانّه ليتقّرب اليّ بالنافلة فاحبّه فاذا اجببته ، كنت سمعه الذّى يسمع به و بصره الذّ ى يبصر به ولسانه الذّى ينطق به ويده الّتي يبطش بها ان دعاني اجبته و ان سالتني اعطيته [٢] "

ان قلت : انّ الثّابت في هذا الخبر صيرورة الحقّ عزّوجلّ ،

---

١ ــ البحار ج ٦ص ١٥٢

٢ ــ الكافي ج ٢ و يقرب منه الخبر ٢٤ و ٢٥ البحار ج ٦ص ١٦٥

سمعا " و بصرا " و لسانا " ويدا " للعبدالموءمن ،والثّابت في بعض الاخبار بالعكس كما في "الخبرالمرّوى عن الصّادق عليه السّلام في باب النوادر من كتاب توحيد الكافي : " انّ اللّه خلقنا فاحسن خلقنا وصوّرنا فاحسن صورنا و جعلنا عينه في عباده و لسانه الناطق " و هذان بظاهر ها متنافيان فكيف التوفيق بينهما ؟

قلت : وجه التّوفيق اختلاف الاعتبارات والحيثّيات ، فانّ نسبة الذّوات المستغرقة في جلال اللّه تعالى كنسبة قوانا الى نفسنا فانّ فعلها فعل النّفس ولكلّ منهما اعتباران : اعتبار كونها ملحوظة بذاتها فاذا نظرت الى الباصرة مثلا " فوجدتها مدركة للمرئّيات و لكن بمعونة النّفس فكانت الباصرة هي الذّات الفاعلة حينئذ والنّفس بصرها " و اذا نظرت الى النّفس و انّها تفعل الّا انّ فعلها بتوّسط تلك الآلة فكانت النفس هي الفاعلة والآلة بصرها فعلى هذا القياس حال الاولياء عليهم السّلام فان كان الحقّ هو الظّاهر يكون الولّي سمعه و بصره و لسانه وان كان الخلق هو الظاهر يكون الحقّ سمعه و بصره و لسانه ويده فافهم و في اخبار الباب ، ماروى عن مولينا الصادق عليه السّلام : " قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : لوانّ موءمنا " اقسم على ربّه ان لايميته ما اماته ابدا " لكن اذا حضراجله بعث اللّه عزّوجلّ اليه ريحين ريحا " يقال له المنسيّة و ريحا " يقال له المسخّية فامّا

المنسّية فانّها تنسيها هله و ماله واما المسخّية فانّها تسخّى نفسه عن الدّنيا حتّى يختار ما عندالله تبارک و تعالى [1] "

و منهاماعن العيون : "قيل للصادق عليه السّلام . صف لنا الموت ،قال عليه السّلام : للموءمن كاطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه ينقطع التّعب والالم عنه وللكافر كلسع الافاعي و لدغ العقارب اواشدّ . قيل : فان قوما " يقولون انه اشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض و رضخ بالاحجار و تدوير قطب الا رحيّة على الاحداق ، قال . هو كذلک هو على بعض الكافرين و الفاجرين الى ان قيل : فما بالنا نرى كافرا " يسهل عليه النزع فينطفي وهويحدث ويضحک و يتكلّم وفي الموءمنين ايضا " من يكون كذلک ، وفى المؤمنين و الكافرين من يقاس عند سكرات الموت هذه الشدائد ؟ فقال عليه السّلام . ماكان من راحة للمومن هناک فهو عاجل ثوابه وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّا " نظيفا " مستحقّا " لثواب الابد لامانع له دونه ،و ما كان من سهولة هناک على الكافر فليوّفي اجر حسناته في الدّنيا ليرد الآخرة وليس له الّا ما يوجب عليه العذاب ، و ما كان من شدّة على الكافر هناک فهو ابتداء عذاب اللّه له بعد نفاد حسناته

---

١ ــ البحار ج۶ ص ۱۵۳ ــ ۱۵۲ ــ ۱۵۸

ذلكم بأن اللّه عدل لايجور "[١]

و في بعض الاخبار . " انّه من بورك له في الموت فقد بورك له بعد الموت[٢]" وفي بعضها انّ ملك الموت ياتي الكافر من خلفه فهو يشخص متقلّبا " الى خلفه و ياتي المؤمن من امامه و انّ شخوص المؤمن و رفع حاجبيه الى فوق انمّا يكون حين معاينة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله والائمّة المعصومين و الصدّيقة الطّاهرة سلام اللّه عليهم اجمعين و قدامر فيها باكنان اسم فاطمة عليها السّلام وانّ آية المؤمن عند الاحتضار ابيضاض وجهه و رشح جبينه والسيلان من عينيه كهيئة الدّموع ، وآية الكافر خروج نفسه سيلا " من شدقه و جانب فمه كزبد البعير ، و انّ قابض الارواح يقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذّليل و تلك المضامين المذكورة في اخبار كثيرة منها ارقام ٣١و٣٢ الى ٣٨ من ص ١٦٢ الى ص ١٦٨ فى ج ٦ من البحار

وممّا تكرّر في الرّوايات ، حضور رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، والائمّة المعصومين وسيدّتنا فاطمة الطاهرة عليهم السّلام ، عند المحتضر و هي كثيرة جدّا "بالغة حدّ التّواتر معنا " و قد سمعت آنفا ما في الحديث القدسي من اكرام اللّه تعالى للمؤمنين وانّه تعالى يتردّد عند قبض

---

١ و ٢ ـ البحار ج٦ ص ١٥٣ ـ ١٥٢ ـ ١٥٨

الارواحهم و يكره مساءتهم فيرضيهم ببعث الريحانتين اليهم فهنيئا " لهم النّزع و نسئل اللّه تعالی ان يجعلنا منهم آمیّن آمیّن .

فهناك مسئلتان عويصتان احديهما كيفيّة حضورهم عليهم السّلام عند المحتضر و انه كيف يمكن روءيّة شخص واحد فی زمان واحد فی اماكن كثيرة متباعدة في ارجاء الارض واصقاعها شرقا "و غربا " . شمالا "وجنوبا " ثمّ علی فرض الامكان ، ما سّر حضورهم و ما ذا فائدته ؟

والاخری انّه كيف يستصّح اسناد التردّد الی اللّه تعالی مع انّه صفة الجاهل بعواقب الامور والمصالح و المفاسد ، و اللّه سبحانه لا يخفی عليه شيئٌ في الارض ولا في السّماء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الارض و لا في السّماء ؟

وهاتان المسئلتان مما كثر فيه القيل والقال ، فتصدّی جماعة من اهل البحث لحلّها فذكر واوجوها " فی بعضها اتّسع الخرق علی الراقع و نحن نقدّم حلّ الثانية علی الاولی لماسبق بعض الكلام فی تصحيح نسبة مثل هذا العنوان الی اللّه تعالی ثمّ نشرع فی حلّ الاولی بعون اللّه تعالی .

فنقول .انّ مبدء حلّ هذه العويصة مذكور فی نفس الخبر الشّريف الالهّي المّروی عن مولينا ابی جعفر الباقر عليه السّلام . فانّ قوله عزّاسمه " و انّه ليتقرّب الیّ بالنّافلة فاحبّه فاذا احببته كنت

سمعهالّذی یسمع بهو بصرهالّذی یبصربه . " لعمرک صریح فی فناء المؤمن المطیع فی المعبود المطاع صفة ، فانّ الطاعة لاتکون بشباهة فعل بفعل بل بمطابقته لما یریده الآمر بامر مثلا " والامر اللّفظی انمّا هو لایصال ما اراده الآمر الی المامور فشأن الامر هو الطریقیة لیس الاّ ، فهو واسطة فی التّحریک والبعث للمامور باختیاره وارادته الی تحقّق الماموربه ،و ارادة الفعل لاتکون الابمحّبة تامّة ، فالّذی یفعله الفاعل المطیع انمّا یفعله لانه الذّی یریده الآمر المطاع و یحبّه والاّلم یکن طاعة فعلم الفاعل بضرورة تحقّق الفعل انمّا تعلّق به من حیث انه محبوب للآمر و مطلوب له و قد ثبت فی محلّه انّ العلم متحدّ مع المعلوم بالذّات فمتّحد الفعل و منشأه هوارادة الآمر المتجلّیة فی نفس الفاعل ،المتّحدة مع ارادته فی طریق الفناء بمعنی فناء ارادة الفاعل فی ارادة الآمر .

وحیث انّ الفعل اثر الفاعل و معنی تعلّقي بذاته فلااستقلال له بالّنسبة الی الذّات فلذات الفاعل بما انّه قیّوم لفعله وجود مافی مرتبة ففناء الارادة فی الارادة یستلزم نوعا "من الفناء للذّات فی هذه المرتبة . وبالجملة انّ المؤمن الفانی فی المحبّة الالهیّة کما انّ اللّه سبحانه سمعه الذّی یسمع به ، تکون ارادته ارادة اللّه وکراهته کراهة اللّه فانّه یکره الموت ویساء به فاللّه تعالی یکره مساءته فکراهته

هي كراهته تعالى وليس ذلک الاّ من وجه الفناء الّذى اشير في هذا الحديث الالهي .

فاذا عرفت ما ذكرنا من التّحليل ، فاعلم انّ التردّد في شيئ انما يكون بتعارض الداّعي المرجّح من جانب الفعل والتّرک ففيما نحن فيه ، حيث انّ توفّي نفس المؤمن بل غيره ممّا يقتضيه النظّام الا حسن فالداّعي المرجح له موجود بلحاظ نظام الكلّ ، ومن حيث انّ كراهة المؤمن المطيع الفاني ، هي من كراهة اللّه ـ دون كراهة الكافر العاصي فانها من كراهة الشيطان ـ فالداّعي المرجح لترک التّوفى ايضا " متحقق في هذا اللّحاظ فيكافوء سبب الوقوع مع سبب اللاّ وقوع بلا رحجان لاحد هما على الاحز فهذا هو التردّد ، و ليس الجهل بالمصالح والمفاسد و بالجمله بعواقب الامور ماخوذا " في حقيقة التردّد بل حقيقته كما عرفت ، ليست الاّ وقوف الفعل بين الايجاد و التّرک لتكافؤ الداعيين من الجانبين نعم ربمّا يصاحبه الجهل والشک في بعض الموارد .

و ظرف تحقّق ذلک التكافؤ في بعض عوالم الوجود ، ، السابق على المادة فانّه ما من حبّة في ظلمات الارض و لا رطب "و لا يابس الاّ في كتاب مبين فكلّ صغير و كبير فيه مستطر فاذا بعث اللّه تعالى اليه بالريحانتين ، يترجّح داعي الفعل على التّرک فترجع نفسه الى

ربّه راضية مرضيّة .

و بماذكرناه من التّحليل في وجه فناء المؤمن في اللّه تعالى تقدّست اسمائه تعرف بالمقابلة وجه فناء العاصي في الشّيطان ، فانّ المعصية هي المخالفة ولا تتحقّق الّا بانانيّة بالنّسبة الى ذات الامر بوجه ما و لا تكاد تتحقّق تلك الانانية الّا بالسبب المناسب لها و و ذلك هو ابليس الّذی قال ــ وكان اول من قال ــ : " انا خير منه " فالمخالفة انّما تتحقّق بالقاء الانانيّة في نفس الانسان بالوسواس فمتحّد انانيّته بانانيّته اتحادا "ما وذلك نحو من الفناء ، فهو مبدء لكلّ معصية الا ترى الى قوله حين مايلومه اهل النار" انّي كفرت بما اشركتمون من قبل "[1] حيث يعترف بدخله ومشاركته في كلّ معصيته .

واّما المسئلة الاولى " و هي كيفيّة حضورهم عليهم السّلام عند المحتضر" فما قيل في وجه الامتناع . انّ ذلك خلاف الحس والعقل ، امّا انّه خلاف الحسّ فلانا كم حضرنا عند المحتضرين الى ان قبضت ارواحهم ، فما راينا عندهم النّبي صلّى اللّه عليه وآله ولا الوصيّ عليه السّلام و امّا انّه خلاف العقل ، فلانّه قد يتفّق في وقت واحد قبض ارواح الوف من النّاس في ارجاء العالم شرقا " و غربا " شمالا " و

---

١ ــ ابراهيم ٢٢

جنوبا " فكيف يمكن حضور الواحد بماهو واحدفي زمان واحدفي امكنة كثيرة متباعدة جدّا ؟

وقداجيب عن الاوّل تارة بكونه‌تعالى قادرا " على ان يحجبهم عن الابصار ، واخرى بكون‌حضورهم عليهم السّلام بجسد مثالّي لطيف كحضور ملك‌الموت‌واعوانه عليهم السّلام ، و ثالثة بان يخلق اللّه تعالى لكلّ منهم مثالا " بصورته و تلك المثل يتكلّمون مع المحتضرين ، ورابعة‌بارتسام صور هم في الحسّ المشترك و يشاهد هم المحتضر كما في المرسم والمبرسم ، وخامسة بكون المراد من حضورهم حضور ثمرة ولايتهم ، او ثمرة بغضهم .

واجيب عن الثانی "امتناع‌کون الواحد بماهو واحد ، كثيرا " " فيكون‌حضور هم عندالمحتضرين في وقت‌واحد في اماكن متقاصية بتلك الاجساد المثالّية .

اقول .هذه‌الوجوه‌من‌الاجوبة كما تراها مع انّها خلاف منطوق الاخبار ، لم يعالج‌بهاالداء بل زادت عليه علّة ، فانّ الاشكال العويص هوامتناع تعدّدالواحد بماهوواحد ، ففرض‌اجساد مثالّية ــ مع انّه فرض سخيف بل تحكّم وتخرّص ــ ليس الاّالمصادرة على المطلوب و اخذ نفس‌السئوال في جوابه فلا ينقطع السئوال بذلك بل يزيده اغلاقا " ، وربّما قيل وجوه اخرى لافائدة في ايرادها و من ارادالا

طلّاع عليها فليراجع الى مظانّها .

و كيف كان فالواجب علينا هوالبحث عمّا آتاهم اللّه تعالى من فضيلة الولاية و مقام النظارة والرّقابة والاشراف الحضوريّ على النّاس فاذا ثبت تلك الفضيلة و ذلك الاشراف لهم تنحسم مادّة الاشكال ، لانّ اشراف المولى على الناس و حضوره عندهم لايستلزم التكثّر و التعدّد .

فنقول . انّه قد تكرّر في القرآن الكريم انّ طائفة من نوع الانسان قد آتاهم اللّه عزّوجلّ مقام الخلافة والولاية على النّاس كلّهم ولعلّ اصرح الآيات في المطلوب ، قوله عزّ اسمه في سورة البقره . " و كذلك جعلناكم امّة وسطا " لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرّسول عليكم شهيدا " ١ "

توضيح دلالة الآية على المطلوب ، انّ قوله تعالى . " كذلك "اى كتحويل القبلة المذكور قبل ذلك "لاجل الهداية الى صراط مستقيم ، جعلناكم امّة وسطا " لتحقّق غاية الشهادة كذا قال اكثر المفسرين ، و قال شهاب الدّين الخفاجي في شرح . كتاب الشفاء بحقوق المصطفى للقاضي عيّاض" . فسّر بعض قوله تعالى . " كذلك "فقال"

---

١ ــ البقرة ١٤٣

اسم الاشارة المجرور بالكاف التّي للتشبيه ، واللّام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيداً وهو مافهم في الآية قبلها اى وكما جعلناكم مهتدين الي صراط مستقيم . او جعلنا قبلتكم اصل القبل ـ الى ان قال ـ و لم ازل ابحث عن هذا كلّ من ناقشته من الفضلاء فلم اظفر بما يثلج الصدّر فصفحت الدفاتر و راجعت خزائن الضّمائر فرايت في شرح القصائد الطّوال في شرح قول زهير .

كذلک خيمهم و لكل قوم اذا مسّتهم الضّراء خيم

نقلاً عن الجرجاني انّه قال . لفظ "كذلک " يكون تثبيتا "لخبر متقدّم او متاّخر ، فهي نقيض ـ كلا " ـ لانها تنفي ذلک الي ان قال و مثله قوله تعالي . " كذلک نسلكه في قلوب المجرمين " [1]

ثم قال الخفاجي ، فقد علمت من هذا ما ذهب اليه اهل المعاني من انّ " كذلک " يكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها و تقريره من غير نظر للتشبيه و انّه طريق مسلوک لبلغاء العرب . "

ج ١ ص ٢٠٩

واقول . هذا تحقيق لطيف في معنى لفظ "كذلک" و مارايت الّا في الكتاب المذكور للشهاب الخفاجي .

امّا الوسط فقال الراغب في المفردات . " وسط الشيئ ماله الطرفان متساويا المقدار ، والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان

١ ـ الحجر ١٢

كا لجود الوسط بين البخل والاسراف ، وتارة يقال فيماله طرف مذموم كالخيروالشّر .

واماّالشهادة ، فقال الراغب ، الشهادة والشّهود ، الحضور مع المشاهدة ، اماّ بالبصراو بالبصيرة . "

اقول .بعدالتصفّح في موارد استعمال هذه المادّة ، يظهران ّ الكشف والحضورالمدلول عليه بهذه المادّة اكثرمنه بلفظ العلم ،و انّ الشهاّدة بمعني الحضورالمهيمن بما فيها من اشراب الرقابة والاشراف ، تستعمل مع لفظة "على" الاستعلائية فيقال . شهيدا " على كذا اى حاضررقيب عليه ، و منه ماتكّرر في القرآن المجيد من اطلاق الشهيد على اللّه تعالى مثل قوله . "واللّه على كلّ شيئي شهيد "[1] ونبّه عليه في الكشّاف بقوله . " لماكان الشّهيد كالرقيب المهيمن على المشهودله جيئي بكلمة الاستعلا "ومنه قوله تعالى : " "واللّه على كلّ شيئ شهيد[2] " و "كنت انت الرقيب عليهم و انت على كلّ شيي شهيد[3] " ج ١ ص١٩٩

وقال ابن منير في ذيله . "ووجه الاستدلال بالآية انّه وصف اللّه تعالى في اولها بالرقيب و في آخرها بالشّهيد على وجه التّخصيص

---

١ ــ ٢ ــ المجادلة ٦

٣ ــ المائدة ١١٧

اولاً والتّعميم ثانيا "، وانّما ينتظم التّعميم والتّخصيص مع اتّحاد مؤدّي الرقيب والشهيد و كانّه لماقال . " كنت انت الرّقيب عليهم " وكان ذلک مخصّصاً " لرقيبه تعالي علي بني اسرائيل ، اراد ان يصفه بماهواهله حتي ينفي و هم الخصوصيّة فوضع شهيدا " موضع الرقيب " وتبعهمافي ذلک النيشابوری والآلوسي في تفسيرهما .

ثمّ انّ اكثر المفسّرين من اهل السّنة ، حملوا الشهادة في الآية المبحوث عنها علي اقامة الشّهادة علي التّبليغ يوم القيامة والظّاهر انّ الاصل لهم في هذا الحمل هوماروی عن رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله من انّ الامم يجحدون يوم القيامة تبليغ الانبياء ص كمافي رواية ابي سعيد الخدری المرّوي في صحيح البخاری و قداخرجها الطّبری في التفسير وكذا النّسائي ورواها البيهقي في البعث والنّشور واليک لفظ البخاری .

" عن ابي سعيد الخدری قال . قال رسول اللّه ص : يدعي نوح يوم القيامة فيقول . لبّيک و سعديک يا ربّ فيقول . هل بلّغت فيقول . نعم . فيقال لامّته . هل بلّغكم ؟ فيقولون . ما اتانا من نذير ؟ فيقول . من يشهدلک ؟ فيقول . محمد ص و امّته فيشهدون انّه قد بلغ و يكون الرّسول عليكم شهيدا " فذلک قوله جل ذكره . " كذلک جعلناكم امّة وسطا " [1]

---

١ ـ البقرة ١٤٣

الوسط ، العدل " ج ۶ ص ٢۶ من صحیح البخاری

قال فی الکشّاف . روی ان الامم یوم القیامة یجحدون تبلیغ الانبیاء فیطالب اللّه الانبیاء بالبینة ، و مثله فی تفسیر الرّازی ویقرب منه فی روح المعانی و رواه فی الدّرالمنثور عن جمّ غفیر من اهل الحدیث و نقل شیخنا "الطبرسی قدّه هذا المضمون فی تفسیر مجمع البیان.

اقول : انّ الشّهادة علی التبلیغ ـ و هو نوع من العمل ـ تلازم معنی الرقابة علی المشهود له فی مقام التحمّل و هو الظّاهر اللائح من اقتران صلة الشّهادة بکلمة "علی" الاستعلائیّة و لکن التدّبـر فی نفس الآیة اوّلاً " ثمّ الرّجوع الی ما تکرّر فی القرآن الکریم من سنخ هذه الشّهادة ثانیا "یشرفنا علی حقیقة انصع و اوسع مما و مضت علی القوم و تقریر ذلک

انّ شهادة هؤلاء الامّة الوسطی علی النّاس ، و شهادة الرّسول صلّی اللّه علیه و آله ، علی هؤلاء الشهداء قد اعتبرتا فی الآیة غایتین متفرعتین علی جعل الامّة و سطا " فوسطیّتهم تتفرّع علیها و تستتبع الشهادة علی النّاس و تستلزم شهادة الرّسول صلّی اللّه علیه و آله وعلیهم ،و علیهذا فوساطتهم انمّا تکون بین الرسول صلّی اللّه علیه و آله و بین النّاس و هذا ظاهر .

ثمّ انّ سیاق الآیة الکریمة سیاق الامتنان علی هؤلاء الامّة بجعلهم وسطا " فیکون هذا الجعل تکریما " لشانهم و تعظیما لمقامهم عند اللّه تعالی، و من البدیهیّ انّه لایکاد یتلبّس مثل هذه الخلعة و یتکرّم مثل هذه الکرامة الّا الخوّاص منهم فانّ طبع هذا المنصب الشامخ یتأبّی من ان یناله غیر الخوّاص منهم، فغیر الخوّاص من الامّة کائنا " من کان، لایمّس تلک الکرامة.

وضمیر " کم " فی قوله. " جعلناکم " وان کان فی بادی النظر یرمق الی جمیع الامّة الاسلامیّة ولکن بعد الامعان ینکشف انّ المراد منه الخوّاص دون غیرهم، و ذلک نظیر قوله عزّ اسمه. " محمّد رسول اللّه والّذین آمنوا معه اشدّاء علی الکفّار [۱] " مع انّ فیهم طائفة من المنافقین الّذین کانوا یعاضدون الکفّار، ومثله قوله تعالی خطابا " لبنی اسرائیل، فی مقام الامتنان علیهم. " و جعلکم ملوکا " [۲] و قوله سبحانه فیهم ایضا ". و انّی فضّلتکم علی العالمین [۳] " مع ان کلّهم ماکانوا ملوکا " ومفضلین علی العالمین.

ثم یبیّن من الآیة الشریفة بالتدّبر انّ فی المسلمین مادام الاسلام و هو یدوم الی یوم القیامة " فی کلّ عصر من الاعصار و سطا " بین

۱ـ الفتح ۲۹ ۲ ـ المائدة ۲۰ ۳ ـ البقرة ۴۷

الرّسول و بین النّاس، وتلک حقیقة ناصعة توقد من نفس الآیة و لولم تمسسها آیات اخر متلائمة المعنی معها ویقرب منها فی الدّلالة علی المطلوب، قوله تعالی فی سورة الحجّ. "هواجتبیکم و ماجعل علیکم فی الدّین من حرج ملّة ابیکم ابراهیم هوسمّاکم المسلمین من قبل و فی هذا لیکون الرّسول شهیدا " علیکم و تکونوا شهداء علی الناس[1] "

والحاصل ان الآیة مع قطع النظر عمایضاهیها من الآی، تدّل علی ان للّه تعالی فی امّة الاسلام عبادا " استخصهم للوساطة فی مقام الرقابة والنظارة بین صاحب المقام المحمود صلّی اللّه علیه و آله و بین النّاس فی کلّ زمان من الازمنة الی ان یرث اللّه الارض و من علیها و هو خیر الوارثین.

هذا مع انّ هذه الحقیقة قد تکرّرت فی الکتاب العزیز عند ماتعرض لمشاهد القیامة فی سور کثیرة و یظهر منها انّ تلک الشهادة هی الشّهادة علی الاعمال مطلقا "تبلیغا "کانت کما فی خبر الخدری ام غیره فمن تلک الآیات قوله تعالی. "انّ اللّه لایظلم مثقال ذرّة و ان تک حسنة یضاعفها و یؤت من لدنه اجرا " عظیما " ، فکیف اذا جئنا من کلّ امّة بشهید و جئنا بک علی هولاء شهیدا "[2] "

---

١ ـ الحجّ ٧٨ ٢ ـ النّساء ٤١ ـ ٤٢

فانّ نفي الظّلم عنه تعالى اوّلا "ثمّ ارد افه بقوله . " " فكيف اذا جئنا ء . " تصويرا " لذاك المشهد للحساب والجزاء وايماء الى نهاية رعاية العدالة في تلك المحكمة الالهيّة من حيث اقامة الشهيد على الشهيد و قيام الرقيب على الرقيب برهان ساطع على كون هذه الشهادة هي اقامة الشّهادة وادائها ، فلابدّ وان يكون الاداء مسبوقا " بالتّحمل فكان الآية تكاد تقول . " انّ اللّه سبحانه لو خلّى و نفسه ، لايظلم مثقال ذرة في مقام المجازاة و انّه من جاء بالحسنة يضاعفها و يوءته من لدنه اجرا "عظيما " ، فاذا كان شانه هذا الشان بانفراده ، فكيف اذا كانت محكمة قضائه مشتملة على اتم مايمكن ان يجرى به العدالة ويدفع به التّعدى والظّلم ، من احضار الشهود والشهيد على هولاء الشهود ؟

ومنها قوله سبحانه . " و من اظلم ممن افترى على اللّه كذبا ، اولئك يعرضون على ربّهم ، و يقول الاشهاد هولاء الّذين كذّبوا على ربّهم الالعنة اللّه على الظّالمين [١] "

ومنها قوله عزّ اسمه : "ويوم نبعث من كلّ امّة شهيدا " ثم لايوءذن للّذين كفروا وهم لايستعتبون [٢] "

---

١ ــ هود ١٨ ٣ ــ النّحل ٨٤

الي غيرها من الآيات الكريمة في هذه الحقيقة.

و يظهر من قوله تعالى حكاية عن روح اللّه عيسي بن مريم (ع) في مشهد القيامة. " ما قلت لهم الّا ما امرتني به ان اعبدوا اللّه ربّي وربّكم و كنت عليهم شهيدا " ما دمت فيهم ، فلمّا توّفيتني كنت انت الرّقيب عليهم و انت علي كل شئي شهيد "[1]

بضميمة قوله تعالي فيه عليه السّلام . " و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا "[2] كيفية تحمّل الشّهادة، في الدّنيا اجمالا "، و انّها نحو حضور علي الاعمال ، و اشراف عليها ،وذلك لمكان اقتران شهادته عليه السّلام بشهادة اللّه سبحانه و من هذا الاقتران يستبان انّ سنخ شهادة هؤلاء الشّهداء في مقام التّحمل من سنخ شهادة اللّه تعالي وانّها ظلّ و شعاع منها فلا محالة تكون من العلم الحضوري دون الحصولي الارتسامي ومنه يتضّح ايضا " سرّ انتخاب لفظة الشّهادة دون لفظة العلم فتدّبر.

ثّم انّ من الواضح انّ مدار محاسبة اللّه ــ و هو اسرع الحاسبين القلوب و النّفوس كما في قوله. " كلّ انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا " يلقاه منشورا "، اقرء كتابك كفي بنفسك

---

١ ــ المائدة ١١٧ ٢ ــ النّساء ١٥٨

اليوم عليک حسيبا "[١] و قوله تعالى. "لكن يواخذ كم بما كسبت قلوبكم [٢]"

فموضوع الكفر والايمان والاطاعة والعصيان والفوز و الخسران هي القلوب والنفوس ، فالاشراف على مثل .

تلك الحقائق النفسانية ،والشّهود عليها و احصائها والا حاطة بها لايمكن الّا بالشّهود المفاض من اللّه دون الارتسام والتّصوير ، ذلك فضل اللّه يوتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم .

وممّا سبق من البيان اتّضح انّ مافسّر به الآية المذكورة في تفسير المنار اجنبّي عنها وانمّا هو قول خطابيّ يستحليه ذوق العامّة و يقنع به وهمهم فدونک خلاصة عبارته :

"انّ النّاس كانوا قبل ظهور الاسلام على قسمين قسم تقضى عليه تقاليده بالماديّة المحضة ،فلاهمّ له الّا الحظوظ الجسديّة ،كاليهود و المشركين و قسم تحكم عليه تقاليده بالروحانيّة الخالصة وترک الدّنيا ومافيها ، من اللّذات الجسمانيّة كالنّصارى والصابئين وطوائف من وثنى الهند اصحاب الرّياضيات ،واماّ الامّة المسلمة فقد جمع اللّه لها في دينها بين الحقّين حقّ الرّوح ، وحقّ الجسد ،فهى روحانيّة جثمانيّة ،فكانّه قال :

---

١ ـ الاسراء ١٣ ـ ١۴　　٢ ـ البقره ٢٢۵

جعلناكم امّةوسطا " تعرفون الحقّين وتبلغون الكمالين لتكونوا شهدا " بالحقّ على النّاس الجسمانيين بما فرّطوا فى جنب الدّين والرّوحانيين اذ افـراطوا ، تشهدون على المفرّطين بالتّعطيل بانّهم اخلد والى البهيميّةوعلى المفرطين بالغلوفي الدّين ، تسبقون الامم كلّها باعتدالكم وتوسّطكم في الاموركلّها ويكون الرّسول عليكم شهيدا ، اى انّ الرّسول ص هو المثال الاكمل لمرتبة المتوسط ، و انمّا تكون هذه الامّة وسطـا " باتّباعها لهفي سيرتهوشريعته فكما تشهد هذه الامّة على النّاس بسيرتها بانّهم قدضلّوا عن القصد يشهدلها الرّسول بماوافقت فيهسنّته بآنّها على الصّراط المستقيم ،واذاانحرفوا عنها فالرّسول بنفسه و سيرته حجّة عليهم "انتهى كلامه ملخّصاًج٢ ص ٤ ـ ٥

وحاصله انّ اللّه سبحانه جعل الامّة الاسلاميّة وسطا " عدلا بين الطرفين المذمومين كالميزان الدقيق المنصوب لتصحيح الوضع المغلوط المبتلى به الناس من الافراط والتفريط، فتشهد هذه الامّة المسبوكة في قالب الحقّ والاعتدال على التّالى والغالى بالخروج والمروق عن جادّة الاعتدال ، كما انّ الرّسول ص يشهد عليها ، ان زلّت قدمها عن الصّراط المستقيم .

اقول : كون الامّة الاسلاميّة من حيث العقائد والفروع وبالجملة من حيث الملّة والشّريعة فى حدّ الا عتدال وحاقّ الوسط كا ذكره

الشیخ المجاهد المفسّر، ممّا لاریب فیه، و انّما الکلام فی دلالة الآیة المبحوث عنها علی هذا المعنی، لانّ ما ذکره الشّیخ الجلیل فی تحلیل الوسطیّة للامّة الاسلامیّة، لایلائم تفریع الشهادتین علیه، بل المناسب له رجوع الطرفین الیه بلحوق التالی وفیئ الغالی، والتّصرف فی معنی الشهادة بحملها علی الاسوة الحسنة لیلائم معنی التّوسط المزعوم بلاقرنیة، تصرّف لایحلّ فی شرع العرف ومذهب التّخاطب.

ثّم علی فرض التسلیم لایمکن ابتناء شهادة الرّسول ص وتفریعها علی هذه الوسطیّة المزعومة، لانّ کونه ص مثالاً اکمل لایتوقّف علی جعل الامّة وسطا "بین الطرفین المذمومین، فی الافراط والتفریط فانه صلّی الله علیه وآله هو المثل الا علی فی الکمال فی عالم الامکان سواء استقام انسان علی جادّة الاعتدال ام لم یستقم.

ثّم انّ المفروض من شهادة الرّسول صلّی الله علیه وآله علی الامّة هی الشهادة علیهم مع اتّصافهم بالوسطیّة علی حدّ الضرورة الوصفیّة ومافرضه الشّیخ المجاهد الاستاد هی شهادة الرّسول علیهم بعد الخروج عن الوسطیّة، و هذا کما هو خلاف منطوق الآیه، خلاف مابنی علیه المفسّرون من اهل السّنة، ورو و افیه روایات کما علمت، مضافا الی مخالفة الای الاخر الباحثة عن حقیقة تلک الشّهادة، وانّها هی الشّهادة علی الا عمال یوم الحساب مع انّه قد تکّرر منه فی تضاعیف ابحاثه

التفسیریّةانّ مبناه فی التفسیر هوتفسیر القرآن بالقرآن کمافی غیر موضع فی تفسیر المنار، واللّه سبحانه هو ولّی الاعتصام.

وقد ورود عن ائمّةاهل البیت علیهم السّلام ،فی تفسیر الامّة الوسط،و الشّهادة فی الآیةالشّریفةوغیر هافی الآیات المناسبة لها، روایات وفیها الصّحاح بالغة حدّالتّواتر فمنها:

مارواه فی الکافی من صحیح القمّی عن برید العجلی قال: قلت لابی جعفر علیه السّلام: قول اللّه تبارک وتعالی: و کذلک جعلناکم امّة وسطا " لتکونوا شهداء علی الناس ویکون الرّسول علیکم شهیدا "؟ "قال: نحن الامّةالوسط ونحن شهدا اللّه تبارک وتعالی علی خلقه و حججه فی ارضه .قلت. قوله تعالی " یاایّهاالذّین آمنوااركعوا واسجدوا اواعبدوا ربّکم و افعلوا الخیرلعلّکم تفلحون، وجاهدوافی اللّه حقّ جهاده هواجتبیکم "؟قال: ایّانا عنی و نحن المجتبون ، و لم یجعل اللّه تبارک وتعالی فی الدّین من جرج ،فالحرج اشدّمن الضّیق ملّةابیکم ابراهیم " ایّانا عنی خاصّة و" سمّاکم المسلمین "سمّانااللّه مسلمین "من قبل" فی الکتب التی مضت "وفی هذا " القرآن "لیکون الرّسول علیکم شهیدا " و تکونوا شهدا " علی الناس" فرسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله الشّهید علینا بمابلغناعن اللّه تبارک و تعالی و نحن الشّهـداء علی النّاس فمن صدّق یوم القیامه صدّقناه ومن کذّب

كذّبناه ج ١ من اصول الكافي ص ١٩٠ من الطبعة الحديثة ورواه بسند آخر عن بريد عن الصّادق عليه السّلام ايضا " وروى هذا المضمون بسند صحيح في البصائر كما في ج ٢٣ الطبعة الحديثة في بحار الانوار رقم الخبر ٢٣ ص ٣٤٢

وعن مولينا ابي جعفر الباقر عليه السّلام في تفسير الآية: ولايكون شهداء على الناس الّا الائمّة والرّسل فاما الامة فانّه غير جائز ان يستشهدها اللّه تعالى على النّاس، وفيهم من لاتجوز شهادته في الدّنيا على حزمة بقل " ج ٢٣ من البحار. الخبر ٦٣ من باب عرض الاعمال وانّهم الشهداء .

وقد جمع في الكتاب المذكور روايات في المطلوب نشير الى ارقامها من اراد البسط فليراجع اليها :

الخبر ٢ و٨ و١٧ و١٨ و٢٠ و٢١ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٨ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ الى ٦٣ ـ زد على ما ذكرنا ، ما في الادعية والزيارات في توصيفهم عليهم السّلام بهذه الحقيقة .

و هذا الصنف من الاخبار في بادي النظر وان كان اضيق مدلولا " من آيات الشّهادة حيث انّ ظاهر مدلوله نوع خاصّ من العمل وهو التبليغ ولكن بعد التاءمّل فيما وقع فيه من التعبير من مثل قوله : " نحن الشّهداء على النّاس فمن صدّق يوم القيمة صدقناه ومن كذّب كذبناه " يظهر شمولها

لجمیع ما یرتبط بالتّصدیق والتّکذیب الذّین مدارهما القلوب نعم اخبار العرض ای عرض الاعمال علی رسول اللّه والائمة صلوات اللّه علیه وعلیهم الوارد جلّها فی تفسیر قوله عزّ اسمه :

: " قل اعملوا فسیری اللّه عملکم ورسوله والمؤمنون وستردّون الی عالم الغیب والشّهادة فینبّئکم بما کنتم تعملون ! " ناصّة فی رؤیتهم وشهودهم اعمال النّاس کلّها بقضّها وقضیضها و قبل ذکر طرف منها ینبغی تقریر دلالة نفس الآیة اجمالا " فنقول :

قوله تعالی : فسیری اللّه عملکم ورسوله والمؤمنون " یدلّ علی نوع امتیاز لهؤلاء المؤمنین الذّین قرنت رؤیتهم برؤیة اللّه تعالی ورسوله ص فانّ الخطاب وان کان بحسب ظاهر العطف علی قوله خذ من اموالهم صدقه " یلمح الی المتّصدقّین ولکن لفظهَ مطلق یعمّ لکلّ عامل ممن اکتسی بکسوة التکلیف الی یوم القیمة فکلّ من یعمل مثقال ذرّة من خیرا وشر یراه اللّه و رسوله و هولاء المؤمنون ففیه ترغیب و تشویق وترهیب وتهویل لاهل الطّاعة والعصیان هذا کلّه مما لا تشکیک فیه و انّما الکلام فی انّ هولاء المؤمنین هل هم المؤمنون عامّة علی سبیل الاستغراق وان امتیازهم بالذکر لاجل شراقة الایمان ام هم طائفة خاصّة منهم ؟ لا سبیل الی الاوّل فانّ عمل کلّ واحد یکون بمـرای کلّ منهم والآیة ظاهرة فی وقوع رؤیتهم علی ایّ عمل جلیلا " او

دقيقا " من ایّ عامل، مضافا "الی ظهور السّياق فی انّ سنخ رؤيتهم هوسنخ رؤية اللّه تعالی و رسوله ص وآنّها ظلّ و شعاع منها على مايفيده المقارنة فلا يمكن انطباقها على الابصار فينقدح من ذلك انّ هذا المنصب الشريف من اللّه لصفوة المؤمنين وانّهم طائفة خاصّة آتاهم اللّه من فضله مقام العينيّة فی النّاس فهم عين اللّه الناظرة في خلقه و قد طفحت به الآثار فمنها مارواه فی اصول الكافي عن مولينا الصادق عليه السلام انّه قال:

"ان اللّه خلقنا فاحسن خلقنا وصوّر ناواحسن صور ناوجعلنا عينه فی عباده ولسانه النّاطق فی خلقه ويده المبسوطة على عباده بالراءفة والرحمة ووجهه الّذی يؤتی منه وبابه الّذی يدّل عليه و خزانة فی سمائه وارضه بنااثمرت الاشجار وانيعت الثمار وجرت الانهاروبنا ينزل غيث السّماء و ينبت عشب الارض وبعبادتنا عبداللّه ولولا نحن ما عبداللّه ١.

وقد عرفت فی ذيل آية الشّهادة انّ هذاالنّوع من الشهود و الرؤية بماهی نوع من النظارة والرّقابة تكوينيا "،لابدّوان يقع على العمل با لوجه الّذی يكون به طاعة وعصياناوايمانا " و كفرا "و

---

١ ـ الكافی ج ١ ص ١٤٤

هذا الوجه هو الوجه الملكوتي للعمل موضوعة القلوب والنّفوس فما استخفّ قول من جعل هذا التشريف امرا اعتباريا " كمافي المنار و استخفّ منه قول الآلوسي في روح المعاني .

ثمّ يجب ان لاتغفل من انّ مفهوم الرؤية يفارق مفهوم الشّهادة هذا اولا " و قد استعملت في الآيه الشّريفة في هيئة الفعل المضارع المصدّر بالسّين المفيد للاستقبال و ذاك ثانيا " ومن مجموع هذا و ذاك يستشّم انّ هذا الشهود بعد مرتبة تحقّق العمل في مقام الصعود المشار اليه بقوله " اليه يصعد الكلم الطّيب "واخبار العرض تنطبق على هذا المعنى ، وهذه البعدّية بالقياس الى بعض اوعية الوجود وبعض الموجودات الى البعض واماّ بالقياس الى اللّه تعالى فالكلّ حاضر عنده على الضّرورة والبتّ ولا يعزب عن علمه مثقال ذّره في الارض ولافي السّماء .

ويجب ايضا " "ان تعلم انّ بين العرض ـ وهي الارائة ـ وبين الشهادة فرقا "جوهرّيا "فانّ الشهادة .كما علمت هي الحضور وستعلم عن قريب انّ هذا الحضور والشهود هي الوساطة في الفيض والولاية التكوينيّة وهذا المنصب الخطير للشهداء عليهم السّلام ماداموا النّاس كما يظهر من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :وكنت عليهم شهيدا "مادمت فيهم "[١] الاّفي خاتم النبّيين صلّى اللّه عليه وآله

١ ـ المائدة ١١٧

حيث انّه شهيد الشهداء كما هو صريح القرآن فان شهادته صلوات اللّه عليه قد تعلقّت بشهادتهم عليهم السّلام على الاعمال فتدّبر فانّه لطيف في الغاية.

واماّ العرض و هو نحو علم ليس في حد الشّهادة كا يؤمئ اليه قوله تعالى: " وعلّم آدم الاسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة" فتاملّ جدّا ."

امّا اخبار العرض فهي كثيرة بل اكثر عددا "من الاخبار الواردة في الشّهداء فنذكر بعضها ثم نشير الي ارقام الاخرى و موضعها

فمنها ما رواه القمّي في تفسيره عن ابيه عن يعقوب بن شعيب عن ابي عبد اللّه عليه السّلام في قول اللّه: وقل اعملو افسيرى اللّه عملكم ورسوله والموءمنون ": الموءمنون هيهنا الائمّة الطّاهرة [1] "ومنها ما رواه في البصائر عن يونس عن ابي الحسن الرضا عليه السّلام قال سمعته يقول في الايّام حين ذكر يوم الخميس فقال: هو يوم تعرض فيه الاعمال على اللّه تعالي وعلى رسوله ص وعلى الائمّة [2] " ومنها مارواه في المعاني عن ابي بصير قال: " قلت لابي عبد اللّه عليه السّلام انّ ابا الخطّاب كان يقول: انّ رسول اللّه ص تعرض عليه اعمال امتّه كلّ خميس فقال

---

١ ــ البحار ج ٢٣ ص ٣٣٩ ٢ ــ بصائر الدرجات ١٢٧

ابوعبداللّه لیس هکذا ولکن رسول اللّه صلی اللّه علیه وآله یعرض علیه اعمال امّته کلّ صباح ابرارها وفجّارها فاحذروا و هوقول اللّه عزوجل " وقل اعملوا فسیری اللّه عملکم و رسوله والمؤمنون " وسکت قال ابوبصیر انما عنی الائمّة علیهم السّلام ". [۱]

ومنها عن معلی بن خنیس عن ابیعداللّه علیه السّلام فی قول اللّه تبارک وتعالی: واعملوا افسیری اللّه عملکم و رسوله والمؤمنون" قال علیه السّلام: هو رسول اللّه صلی اللّه علیه وآله والائمّة علیهم السّلام تعرض علیهم اعمال العباد کلّ خمیس[۲] "فدونک ارقام الاخبار.

المذکورة فی البحار المجلّد ۲۳ باب عرض الاعمال وللّه در مصنّفها العلّامة وجزاه عن الائمّة الطّاهرة ومواليهم احسن الجزاء:

۳۲ — ۳۱ — ۳۰ — ۲۹ — ۱۶ — ۱۵ — ۱۴ — ۱۳ — ۱۲

۱۱ — ۱۰ — ۹ — ۶ — ۴۳ — ۴۲ — ۴۱ — ۴۰ — ۳۹ — ۳۸ —

۳۶ — ۳۵ — ۳۴ — ۳۳ — ۵۵ — ۵۴ — ۵۳ — ۵۲ — ۵۱ — ۴۸

۴۷ — ۴۶ — ۴۵ — ۴۴ — ۷۵ — ۷۴ — ۷۳ — ۷۰ — ۶۷ — ۵۶

---

۱ ــ معانی الاخبار ۱۱۱

۲ ــ البحار ج ۲۳ ص ۳۴۵

وتلك الاخبار فى دلالتها على اصل العرض متوافقة وانمّا الا ختلاف فى بعض الخصوصيّات حيث انّ في بعضها اقتصار العرض على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله فقط يوم خميس وفي بعضها باضافة يوم الاثنين وفي بعضها كلّ صباح وفي البعض باضافة الليّل وفى البعض الآخر عرضها على الامام فى كلّ خميس فاذاكان الهلال اكملت فاذا كان النصف من شعبان عرضت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وعلى علي عليه السلام ثم ينسخ فى الذّكر الحكيم وغير ذلك من الدّقائق التّي يدركها من شرح اللّه صدره من اهل اللّه فلّعل منها الايماء الى اختلاف مراتب العلم في مدارج صعود الاعمال وبهذا ربّما يمكن تصحيح العرض على اللّه سبحانه وتعالى يوم الخميس كمافى بعض الاخبار مع انه لايعزب عن علمه مثقال ذرّة فى الارض ولافى السّماء

ثّم لايخفى على من شرح اللّه تعالى صدره ، انّ مادلّت عليه الآيات الكريمة فى العلم الشهودي لهم عليهم السّلام بمحتد الاعمال باب ينفتح منه ابواب .

منها علمهم عليهم السّلام بمغيبات الامور عن مدارك الناس علما شهوديا "ومنها وساطتهم فى الفيض المعبّر عنها بالولاية التكوينّية فانّ العلم الخضورى هو حضور المعلوم بوجوده العينى عند العالم ومن المبرهن عليه فى محلّه انّ العلم الخضورى لايتحقّق الّا فى علم المجّرد بنفسه

وعلمه بمعلوله وعلم المعلول بعلّته على قدر سعته لا على قدر سعتها و علم احد معلولي علّة ج ثالثه بالآخر والممكن المحقّق فيما نحن فيه هو القسم الثاني لكن بمعنى فاعل ما به لا ما منه ، فهم عليهم السّلام مجاري الفيض الالهي وهذا المعنى من مصرّحات الاخبار والزيارات والا دعية وناهيك بيانا "قول النبي صلى اللّه على مارواه صدوق الطائفة ره في العيون والعلل والاكمال في حديث طويل فيه قال صلّى اللّه عليه وآله : " يا علي لولا نحن ما خلق اللّه آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الارض فيكف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربّنا وتسبيحه و تهليله وتقديسه؟ لانّ اول ما خلق اللّه عزّوجلّ خلق ارواحنا فا نطقنا بتوحيده وتحميده [1] .و الروايات بهذا المضمون متواترة بلا امتراء وارتياب فلا يضرّ ضعف السّند في الاحاد منها .

ومنها اى من الابواب المستفادة من الآية ، عصمتهم عن الضّلال و الخطاء فانّ قوله سبحانه . جعلناكم امّة وسطا "يدلّ كما قرّرنا "على انّ اللّه اصطفيهم و اجتبيهم بل ينّص عليه قوله تعالى : في آخر سورة الحجّ هو اجتبيكم "وقد اخبر القرآن الكريم عن اجتباء اللّه تعالى كثيرا " من افراد الانسان فقال في ابراهيم عليه السلام : شاكرا "

---

١ ــ البحار ج ٢۶ ــ ص ٣٢٥　　٢ ــ النحل ١٢١

لانعمه واجتباه.[۱] وقال فی ذرّیته وذریّة اسرائیل: و من ذریة ابراهیم واسرائیل و ممن هدینا واجتبینا[۲] و قال فی یوسف: وکذلک یجتبیک ربّک[۳]. و غیرهم ممن انعم اللّه تعالی علیهم، ومن البدیهی انّ معنی اصطفاء اللّه واجتبائه تصفیتهم واخلاصهم من کلّ ما یدنس ویشوب صفاء الفطرة و قداستها، فهم المخلَصون ــ بفتح اللاّم ــ الّذین یئس ابلیس لعنه اللّه من اغوائهم فقال: " فوعزّتک لاغوینّهم اجمعین الّا عبادک منهم المخلصین[۴] وقال تعالی فی الصدّیق (ع): کذلک لنصرف عنه السّوء والفحشاء انّه من عبادنا المخلصین" ۵

تفکّر ایّها القاري العزیز فی قوله تعالی. "لنصرف عنه السوء و الفحشاء فانّه کالصریح فی انّ اللّه تعالی ولّی المخلصین فی اعمالهم و امورهم فما ظنّک بمن کان اللّه یتولّی امره ویتصدّی شانه!

هذا مع انّ فی قوله تعالی: " امّة وسطا "کفایة فی اثبات المطلوب لمن کان له قلب والقی السمع و هو شهید.

ومنها انّ ما دام الاسلام ــ وهو یدوم الی قیام الساعة ــ تدوم هذه

---

۱ ــ النحل ۱۲۱ ۲ــ مریم ۵۸

۳ ــ یوسف ۶ ۴ ــ ص ۸۳

۵ ــ یوسف ۲۴

الرقابة والنظارة من هولاء الشهداء ولوتدريجا " و بدلا " وبهذا صرّحت الروايات منها مارواه في الكافي عن سماعة عن ابيعبدالله عليه السّلام قال: قال عليه السّلام في قول اللّه عزّوجلّ " فكيف اذا جئنا من كلّ امّة بشهيد وجئنا بک علی هولاء شهيدا " " قال: نزلت في امّة محمّد صلّی اللّه عليه وآله خاصّة في كلّ قرن منهم امام منّا شاهد عليهم و محمّد صلّی اللّه :عليه، وآله شاهد علينا .

فتبيّن من جميع مامرّفي هذا الفصل من البيان انّ لهم عليهم السّلام مقام الحضوروالشهادة علی النّاس وانّه انّما يتحقّق بنحو من القيومته الظّلية للقيّوم الحقّ المطلق واما رؤية المحتضر لهم فالظّاهر انّه بنحو التمثّل وظهورهم في ظرف ادراكهم نحوظهور الملک فانّ ظهوره بنحو التمثّل ولايلزم من ذلک تكثّرالواحد وقد استفاضت الروايات انّ الدنيا كلّها عند الملک الموت عليه السلام كدرهم في كفّ رجل منّا يقلّبه كيف يشاء وانّه مامن دارالاّ وهويدخلها في كلّ يوم خمس مرّات علی اختلاف التعبير فراجع الاخبار ٢ ـ٣ ـ ١٥ ـ ١٢ ـ١٣ المذكورة في باب ملک الموت واحواله في ج۶ في البحار ، وقد ورد في اخبار حضورهم عند المحتضر لفظ التمثّل مستفيضا "منها مارواه في الكافي عن سدير الصيرفي قال: قلت لابعبدالله عليه السّلام: جعلت فداک یا بن رسول اللّه هل يكره المؤمن علی قبض روحه؟ قال

لاواللّه انّه اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت : ياولّي اللّه لايجزع فوالذّى بعث محمد اُصلّى اللّه عليه وآله لانا ابّر بك واشفق عليك من والد رحيم لوحضرك ،افتح عينيك فانظر قال ويمثّل له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله واميرالموءمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمّة رفقائك قال : فيفتح عينيه فينادى روحه مناد من قبل ربّ العزة فيقول : يا ايتّها النّفس المطمئنّة الى محمد واهلبيته ارجعي الى ربّك

راضية بالولاية مرضيّة بالثواب فادخلي في عبادي يعني محمدا واهل بيته وادخلي جنّتي فمامن شئي احبّ اليه من استلال روحه و اللّحوق بالمنادى[1]

ومنها ماعن مولينا الجواد عليه السلام : "قال : مرض رجل من اصحاب الرّضا عليه السّلام فعاده فقال كيف تجدك ؟ قال لقيت الموت بعدك ــ يريد مالقيه من شدّة مرضه ــ فقال كيف لقيته ؟ قال شديدا اليماً قال مالقيته انّما لقيت مايبدءك به ويعرفك بعض حاله ، انّما النّاس رجلان ، مستريح بالموت و مستراح منه فجدّد الايمان باللّه وبالولاية تكن مستريحا " ففعل الرّجل ذلك ثمّ قال يابن رسول اللّه هذه ملائكة

---

١ ــ البحار ج ٦ ص ١٩٦

ربی بالتحیات والتحف یسلمون علیک و هم قیام بین یدیک فاذن لهم فی الجلوس فقال الرّضا علیه السّلام : اجلسوا ملائکة ربّي ثمّ قال للمریض سلهم امرو بالقیام بحضرتي ؟ فقال المریض ساٴلتهم فذکروا انّه لوحضرک کلّ من خلقه اللّه من ملائکة لقاموا لک ولم یجلسوا حتّی تاٴذن لهم هکذا امرهم اللّه عزّوجلّ ثمّ غمض الرجل عینیه و قال السّلام علیک یابن رسول الله هذا شخصک ماثل لي مع اشخاص محمد ومن بعده من الائمّة علیهم السّلام وقضی الرجل :

وفی الخبر ۵ ص ۱۷۷ : " انظرالي مسکنک فی الجنّة هذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله رفقائک "

وفی الخبر ۶ ص ۱۷۸ : " یقول له رسول اللّه ص : هلّم الینا .

وفی الخبر ۱۷ ص ۱۸۴ " اما مک رسول اللّه وعلّی وفاطمة .

ومثله الخبر ۱۸

وفی الخبر ۲ ص ۱۷۶ : ثمّ یقول : انظر فینظر فیری محمّدا "و علّیا " والطیّبین من آلهما فی اعلی علیّین " وغیرمن الاخبار المذکور فی ج ۶ فی الکتاب المذکوروفی کثیر من الاخبار و رد لفظ الحضور والمعاینة والاتیان والظّاهر انّ المراد من الجمیع هوالتّمثل وبه یجمع

---

۱ ــ البحار ج ۶ ص ۱۹۴

بین الاخبار و قد ورد انه یتمثل للمحتضر ماله و ولده کما فی روایة سوید بن غفلة عن امیر المؤمنین علیه السّلام : قال علیه السّلام : انّ ابن آدم اذا کان فی آخر یوم من الدّنیا واوّل یوم من الآخرة مثّل ماله و ولده وعمله فیلتفت الی ماله فیقول : واللّه انّي کنت علیک لحریصا " شحیحا " فمالي عندک ؟ فیقول خذ منّي کفنک ثم یلتفت الی ولده فیقول واللّه انی کنت لکم محبّا " وانّي کنت علیکم لحامیا " فماذا لی عندکم ؟ فیقولون لنؤدّیک الی حفرتک ونواریک فیها ثم یلتفت الی عمله فیقول واللّه انّي کنت فیک لزاهدا " وانّک کنت علّی لثقیلا " فماذا عندک ؟ فیقول انا قرینک فی قبرک ویوم حشرک .[۱]

قال شیخنا العلّامة الطّباطبائي ادام اللّه ظلّه الوارف : " کثیرا " ماورد ذکر التمثّل فی الروآیات وامّا فی الکتاب فلم یرو ذکره الّا فی قصة مریم : " فارسلنا الیها روحنا " فتمثّل لها بشرا " سوّیا " [۲] والآیات التالیة الّتی یعرف فیها جبرئیل نفسه لمریم خبر شاهد انّه کان تمثّله لها فی صورة بشر باقیا علی ملکیّته ولم یصر بذلک بشرا " وانما ظهر فی صورة بشر ولیس ببشر بل ملک وانما کانت مریم تراه فی صورة بشر فمعنی تمثّله لها کذلک ظهوره لها فی صورة بشر ولیس علیها فی نفسه بمعنی انه

---

۱ ــ البحار ج ۶ ص ۲۲۴　　　۲ ــ مریم ۱۷

کان فی ظرف ادراکها علی صورة بشروهو فی الخارج عن ادراکها علی خلاف ذلک وهذا هوالذّی ینطبق علی معنی التمثّل اللّغوی فانّ معنی تمثّل شئی لشیی فی صورةکذا هو تصوّره عنده بصورته وهوهو لاصیرورة الشّي شیئا "اخر فتمثّل الملک بشرا" هوظهور لمن یشاهده فی صورة الانسان لاصیرورة الملک انساناًولو کان التمثّل واقعا" فی نفسه و فی الخارج عن ظرف الادراک کان من قبیل صیرورة الشیئ شیئا" آخر وانقلابه الیه لابمعنی ظهوره لهکذلک الی ان قال روحی فداه.

نظیر ذلک نزول الملائکةالکرام فی قصّة البشارةباسحق وتمثّلهم لابراهیم علیه السّلام ولوط علیه السّلام فی صورة البشرونظیره ظهور ابلیس فی صورة سراقةبن مالک یوم بدر وقد اشار تعالی الیه فی الانفال الآیة ۴۸ وقدکان سراقة یوءمئذ بمکّه.

وفی الروایات شئی کثیرمن ذلک کتمثّل ابلیس یوم النّدوة للمشرکین فی صورةشیخ کبیروتمثّله یوم العقبةفی صورةمنبه ا بن الحجّاج وتمثّله لیحیی علیه السّلام فی صورة عجیبه و نظیرتمثّل الدّنیا لعلّی علیه السّلام فی صورةمرأة حسناء فتّانة کمافی الروایة وماورد من تمثّل المال والاولادوالعمل للانسان عندالموت ،وماوردمن تمثّل الاعمال للانسان فی القبر ویوم القیمة ومن هذاالقبیل التمثّلات المنامیّة کتمثّل العدّوفی صورةالکلب اوالحیّةاوالعقرب وتمثّل الزوج فی صورةالنمل وتمثّل العلاء

فی صورة الفرس والفخر فی صورة التاج الی غیر ذلک فالتمثّل فی اغلب الموارد کما تری من المعانی الّتی لا صورة لها فی نفسها ولا شکل ولا یتحقّق فیها تغیّر من صورة الی صورة و من شکل الی شکل"[1] انتهی موضع الحاجة من کلامه مدّ ظله.

اقول ومن هذا الباب تمثّل الحمی الربّائیة لرسول اللّه ص فی صورة عجوز سوداء ملبّبة وتبعیده ص ایّاها الی الجعفة او خمّ کما فی وفاء الوفا للسمهودی الحسنی لما قدّم رسول اللّه ص المدنیة وعک فیها اصحابه فجلس ص علی المنبر ثمّ رفع یده ثمّ قال اللّهم انقل عنّا الوباء فلما اصبح قال: اتیت هذه اللّیلة بالحمّی فاذا بعجوز سوداء ملبّبة فی یدی الذّی جاء بها فقال هذا الحمی فما تری فیهاء فقلت اجعلوها بخمّ وفی خبر آخر رایت امراة سوداء ثائرة الرّاس خرجت من المدینة حتّی نزلت مهیعة فتاوّلتها انّ وباء المدنیة نقل الی مهیعة، اصبح ص یوما "فجاء انسان کانّه قدم فی ناحیة طریق مکّة فقال ص له هل لقیت احدا "قال لا، الّا امراة عریانة ثائرة الشعر فقال تلک الحمی ولن تعود بعد الیوم ابدا" ج ۱ ص ۵۵ و ۵۹.

ان قلت فعلی ماقررتم من معنی التمثّل، یلزم ان یکون معنی

---

۱ ــ المیزان ج ۱۴ ص ۳۵

رؤیة مریم لجبرئیل علیهما السلام امرا "خیالیّا" لاواقعیة لها الّافی موطن الوهم والخیال وفی عالم التّصویر والذّهن و بعبارة اخری تلک الرؤیة التمثیلیّة علی هذا التقریر ترجع فی الحقیقة الی خیال الروء یة و تصوّرها ولیست بروء یة بالحقیقة وکذا رؤیة المحتضر الائمة علیهم السّلام وحضورهم عنده بالتمثّل علی التفسیر المزبور انّما هی تخیّل الرویة والحضور وهذا مناف للاخبار بل ردّ لها فانّها کما علمت صریحة فی معاینة المحتضر لهم وروء یته لهم وتکلّمه معهم قلت: کلّا وحاشا بل ماقرّرنا من معنی التمثّل هو حقیقة الرؤیة والمعاینة وانما الغلط والاشتباه من خلط المعلوم بالعرض بالمعلوم بالذّات فانّ المعلوم بالذّات فی العلم الا رتسامی هی الصورة الحاصلة فی ظرف الادراک ماهو الخارج عنه فانّه معلوم بالعرض وبمّا انّ تلک الصورة الحاصلة امر حادث لابّد له من سبب فذاک السبب قدیکون من الموجودات الخارجیّة فی دار الطبیعة وذلک واضح و قدیکون امرا "علویا" من باطن عالم الطبیعة فانّ الارواح المطّهرة عن دنس الاخلاق ورجس الاعتقادات ربمّا تلوح لها من العالم الاعلی کرام بررة فتتلّقی منهم المعارف الالّهیة و ربمّا تبرز الی ظاهر الکون فتمثّل للسمع والبصر لکونها اشرف الحواسّ الظاهرة فتری شخصا "محسوسا" فی غایة الحسن و الصباحة وتسمع کلامه و هذا هو حقیقة الرؤیة النّها یة انّ سببها من باطن العالم کما انّ السبب

الاعدادى في ادراك الصور المحسوسة امر جسمانيّ طبيعيّ وعلى كلّ تقدير فالمعلوم بالذّات هوما تمثّل وتحقّق في ظرف الادراك ، ولا يكاد ينثلم حقيقة الادراك بتفاوت الاسباب ، فكما انّ السبّب الجسمانيّ الطبيعي في ادراك المحسوسات موجود في خارج المشاعر فكذلك السبّب العلويّ الرّوحاني موجود في خارج المدارك الاترى انّ الشي كما يحدث في القابل من جهة مبادجسمانيّة كحدوث السخونة في بدن الانسان بمقارنة مسخّن كالنّار مثلا " كذلك قد تحدث فيه من امر غير جسمانيّ كارادة الغضب مثلا " فالسّخونة في كلا المثالين مسبّبة عن السبّب الخارجيّ الّا انه في الاوّل جسماني وفي الثّاني نفساني .

وليعلم انّ في بعض الروايات المفسرة لقوله تعالى :وانّ من اهل الكتاب الّا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا " المروّى عن الصّادق عليه السّلام انّه قال هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وفي البعض الآخر عنه عليه السّلام : ايمان اهل الكتاب انّما هو لمحمّد صلّى اللّه عليه وآله كما في البحار ج۶ ص ١٨٨ مع انّ ظاهر الكتاب وبعض الروايات هو عيسى بن مريم عليه السلام .

قال العارف الكامل الشاه آبادى قدس سرّه في بعض رسائله :

الايمان بعيسى قبل الموت بتحقّق الايمان بالولاية المطلقة المحمّدية لانّها مندرجة فيها ثمّ قال قدّه: اعلم ان كيفيّة ظهور الولّي على النّاس قبل موتهم فهي على قسمين فامّا ان يكون له مرآة مجلوة وقلب صاف فيراه مطابقا " للمرآته فيبايعه ويؤمن به كما اذا اعتقد بعنوانه فيشاهد المعنون ويبايع معه بشخصه وامّا من لم يعتقد به فامّا ان يكون قاصرا " ساذجا "غير مقصر في حقّه طاهرا " نقيا " من الرذائل فلا محالة يشاهده بالنورانيّة فيؤمن به ويروح الى دار السّعادة وامّا من لم يعتقد به وتقصر في حقّه اوكان منكره فليس له مرآة حتّى يراه في مرآة قلبه فلا محالة يرى نفسه في مرآة الولّي وحيث انّ صورته و فعليته قبيحة منكرة لسيّئات الاعمال و لقبائح الاخلاق ومفاسد العقائد و انكار الشرائع اشتبه عليه المرئي بالولّي فيبغضه ويروح الى دار الشقاوة انتهى موضع الحاجة من كلامه زيد في علو مقامه.

واعلم انّ الولاية هي غاية الكمال الحقيقي للانسان وهي الغرض النّهائي للتشريع الالهى فانّ البرهان العقلي قائم على ان هذه النشأة مسبوقة الوجود بعوالم آخر وانّ ظاهر الحياة الدّنيا متعلّق الوجود بالآخرة بنحو العلّية والمعلوليّة الى ان ينتهي الامر الى اللّه سبحانه وانّ جميع الكمالات الموجودة في النشأة السافلة موجود فيما فوقها من غير ان يمسّها النقصان الملازم للسافل.

ثّم من المبرهن عليه ايضا "انّ كلّ حقيقة موجود في اقليم الامكان فهي مستد عية لتمامها في ذاتها وانّ تمامها هي غايتها الاخير وكمالها الاقصى وقدثبت في محلّه انّ اللّه سبحانه وتعالى هو الغاية الوحيدة للموجودات كما اشرنا اليه في اوّل الكتاب ثم انّ المبيّن عقلا " ونقلا "انّ الانسان مفطور على فطرة اللّه وانّه بطبعه وذاته يحبّ علما "لاجهل فيه ـ وقدرة لاعجز فيها وحياة لاموت فيها و بالجملة يحّب الكمال المطلق فطرة و يبغض النقصان والفقدان جبلّة ومعلوم انّ الكمال المطلق مثل العلم الصرف والحيوة المحضة وساير الكمالات بنحو الاطلاق والارسال لايكون الّا اللّه ومن هنا فسّرت الفطرة في الروايات بفطرة المعرفة والتّوحيد فبذر محبّة الكمال المطلق مزروع في وجود الانسان فاذا سقاه باعتناق الشّريعة والزام ماجاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله من الاعتقاد الحقّ والعمل الصّالح وتحقّق قوله سبحانه "قل "ان ـ كنتم تحبّون اللّه فاتبعوني [1] في حقّه فلا محالة يصعد اليه تعالى بعبوره عن جميع الاوساط والعوالم وحيث انّه لاينال مرتبة من تلك الاوساط حقّ النيل الّا بامضاء فيها فهو في كلّ مرتبة مجرى للفيض المفاض من تلك المرتبة على مادونها فله الولاية تكوينا على حسب صعوده.

وممّا ذكرنا ينقدح معنى الروايات والزيارات الواردة في مقام النبي صلّى اللّه عليه وآله ومقامات الائمّة المعصومين في

---

١ ـ آل عمران ٣١

عترته مثل قوله ص فی‌الائمة الاثنی عشربهم یرزق اللّه عباده و بهم نزل القطرمن السّماء .

کمارواه الصدوق و نقلنا روایةالکافی‌سابقا " وغیرهامن الآثار المتواترة فی ذلک فافهم و استقم .

*

الفصل السّادس

في انّ القبر هو البرزخ

في انّ القبر هو البرزخ

قدتبيّن ممّا مرّفي الفصل الثّاني من حقيقةالموت وانّهالانتقال من نشأة الى اخرى، انّ بالموت تشرع حيوة اخرى، سعيدةاوشقيّة وهي التّي سمّاها القرآن المجيد بالبرزخ في قوله:

حتّى اذاجاء احدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي اعمل صالحا " فيماتركت كلّا " انّها كلمة هوقائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون[1]

قوله: (ومن ورائهم يرادبه احاطة البرزخ بهم) نظير قوله: وكان من ورائهم ملك ياخذ كلّ سفينة غصبا "[2]

والآية صريحة في شروع حياةاخرى بمجيي "الموت ،وانّها تمتّد الى يوم البعث وقد تكرّر هذاالمعنى في روايات اهل البيت

---

١ ـ الموءمنون ١٠٠ ٢ ـ الكهف ٧٩

عليهم السّلام الواردة في تفسير هذه الآية وانّ البرزخ هو القبر.

منها ما رواه في العلل عن مولانا زين العابدين عليه السّلام.

انّ اشدّ ساعات ابن آدم ثلث ساعات: السّاعة التّي يعاين فيها ملك الموت والسّاعة التّي يقوم من قبره، والسّاعة التّي يقف فيها بين يدى اللّه تبارك وتعالى فامّا الى الجنّة وامّا الى النار، ثمّ تلى عليه السّلام: ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال: هو القبر وانّ لهم فيه لمعيشه ضنكا واللّه انّ القبر لروضة من رياض الجنّة اوحفرة من حفر النيّران.[٢]

ومنها ما في تفسير القمّي قال وقوله: و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون، فقال الصّادق عليه السّلام البرزخ القبر، هو الثّواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة.

ومنها ما رواه في الكافي عن عمرو بن يزيد قال قلت لابي عبد اللّه عليه السّلام: انّي سمعتك وانت تقول: كلّ شيعتنا في الجنّة على ماكان فيهم، قال صدقتك كلّهم واللّه في الجنّة قال: قلت جعلت فداك انّ الذنوب كثيرة كبائر فقال امّا في القيامة فكلكم في الجنّة بشفاعة النبّى المطاع او وصّي النبّي و

---

١ و ٢ ـ البحار ج ٦ ص ١٥٩ ـ ٢١٨

لكن والله اتخوّف عليكم في البرزخ قلت: وما البرزخ قال: القبر منذ حين موته الى يوم القيامة[1].

الظّاهر انّ قوله عليه السّلام: القبر منذ حين موته تفسير لقوله تعالى: ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وتصريح باتّحاد القبر و البرزخ.

قال المجلسي قده: فالمراد بالقبر في اكثر الاخبار مايكون الروح فيه في عالم البرزخ، البحار ج ٦ص ٢٧١ والآيات الدّالة على الحياة البرزخيّة كثيرة جدا " منها قوله تعالى: ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتا " بل احياء ولكن لاتشعرون[2]

قال شيخنا العلّامة الطّباطبائي روحي فداه: انّ الآية دالّة على الحياة البرزخيّة وهي المسمّاة بعالم القبر، عالم متوّسط بين الموت والقيامة ينعم فيه الميّت او يعذب حتّى تقوم السّاعة[3]

ومنها قوله عزّوجلّ: ولاتحسبّن الذّين قتلوا في سبيل الله امواتا " بل احياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذّين لم يلحقوا بهم من خلفهم الّاخوف

---

١ ـ البحار ج٦ص٢٦٧ ٢ ـ البقرة ١٥٤

٣ ـ الميزان ج ١ ص ٢٥٣

عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من اللّه وفضل وانّ اللّه لايضيع اجرالموءمنين [١]

ومنها قوله تعالى: النّاريعرضون عليها غدوّا " وعشّيا " و يوم تقوم السّاعة ادخلوا آل فرعون اشدّ العذاب. [٢]

ومنها قوله تعالى و قالو ربّنا امتّنا اثنتين واحييتنااثنتين فاعتر فنابذنوبنا فهل الي خروج من سبيل. [٣]

ودلالة هذه الآية على الحياة البرزخيه بعدالتاّمل فيما ذكر نافي معنى الموت والتّوفي واضحة فانّ التّوفي كماعلمت هو انتقال الروح وارتقائها الي عالمها فهو ـ التوفي ـ بوجهه الدّنيوى اماتة وتعطيل للحواسّ والمشاعر في هذه البنية الجسمانيّة ولكن بوجهه الآخر احياء في النشأة الاخرى فهذه اماتة واحياء واماّالا ماتة والاحياء الثانيتان فهما الانتقال من البرزخ الي الآخره بنفخة الصعقة.

فالاماتة هي بعينها الاحياء: اماتة بالاضافة الي العالم المنتقل عنه و احياء بالاضافة الي المنتقل اليه فافهم.

ومنها قوله تعالى: قيل ادخل الجنّة قال ياليت قومي

---

١ ـ آل عمران ١٦٩ـ١٧١ ٢ ـ الموءمن ٤٦ ٣ـ المومن ١١

يعلمون [1] ومنها قوله عزّوجلّ: جنّات عدن التّي وعدالرحمن عباده بالغيب كان وعده مأتيا " لايسمعون فيها لغوا " الاّسلاما "و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيّا " [2]

فانّ البكرة والعشّي انمّايكونان من اللّيل والنّهار في جنّة البرزخ واماّ في الآخرة فليس فيها شمس كمايدّل عليه قوله تعالى: متكئّين فيها على الارائك لايرون فيها شمسا " ولازمهريرا " [3]

وقداحتّج بهذه الآية على الحياة البرزخية في بعض الروايات كمار واه في البحار عن تفسير النعماني ج ٦ الخبر ٧٦ ص ٢٤٥ و سيأتي جملة من الآيات الاخرى في بعض الابحاث الآتية، الدالّة على هذالمطلب.

واعلم انّك بالتّفكر فيمامّر تطمئن الى ان الحياة البرزخيّة ليست بهذاالقالب الكثيف العنصرى فان المستفاد من الآيات المتعرضة للتوّفي، انّ المأخوذ بالموت هي الانفس التّي تغاير هذه الابدان العنصرّية وانّهافي قبضة ملك الموت عليه السّلام، و علمت ايضا " من الآيات الاخرى انّه بالموت تشرع الحيات

---

١ ـ يس ٢٦ ٢ ـ مريم ٦٢

٣ ـ الانسان ١٣

البرزخيّة، وانّ في تلك الحياة مسحه من لوازم الحياة الدّنيا لمافيها من الغدوّ والعشيّ الذّين من توابع الليّل والنّهار، فلامحالة فيها نوع تجسّم، فانّ الار تزاق بالاكل والشرب وغيرهما من اللّذائذ الجسمانيّة لاتنفّک عن الجسم فعلى هذا ليس فيه عنصر العالم الطبيعي الذّى شأنه قبول الآثار الجسميّة، وبالجملة هذا العالم برزخ بين المادّية المحضة وعالم الآخرة، ولذائذه وآلامه اقوى من اللّذائذ والآلام الدنيّوية لاقوائيّة هذه النشأة من النشأة الدّنيا

فما اجهل من حسب انّ لازم القول بنفي المادّة هناك ان تكون لذائذه وآلامه خياليّة وهميّة لاواقعيّة لها الّا في مواطن الخيال والوهم . . . . ذلک مبلغهم من العلم بالكتاب والسّنة والبرهان والحجّة.

وهناک روايات كثيره تبيّن مااستظهرنا من الآيات الشريفة نذكر طائفة ونشيرالى اخرى.

ثّم ان المتكّرر في روايات ائمّة اهل البيت عليهم السّلام ضغطة القبر وضمّه و ذكر اسبابها.

فمنها في قصّة سعد بن معاذ من قوله صلّى الله عليه وآله:

ومثل سعد يضّم المذكوره في ارقام ٩ ــ ١۴ ــ ١٩ من اخبار

ابواب البرزخ والقبر ج ٦ من البحار.

ومنها ارقام ١٣ و ١٠ وغيرها وقد ذكر علل الضغطة انّها من تضييع النعم وسوء الخلق والنّميمة وعدم التنزه عن البول كما في ارقام ١٦ ـ ٢١ ـ ٢٥ من الباب المذكور وانّ المتوّفي يؤمن من الضغطة اذا مات بين زوال الخميس الى زوال الجمعه كما في ارقام ١٦ ـ ١٧ ٧٢ من الباب المذكور، وايضا " تكّرر في الاخبار الكثيرة انّ بوضع الجريدة الرطبة مع الميت يتجافى عنه العذاب مادامت رطبة كما ذكر ناآنفا " واشر نا الى موضع روايات الباب.

ثّم انّه ورد في الاخبار الكثيرة تمثّل صور بعض الاعمال للمتوّفي في قبره، فمنها ما رواه في الكافي الشريف عن الصّادق عليه السّلام: اذا وضع الميّت في قبره مثّل له شخص فقال له يا هذا كنا ثلثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك، كان اهلك فخلوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك اما انّي اهون الثلاثة عليك[1]

ومنها ما رواه ايضاً فيه عنه عليه السّلام: اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبّر مطّل عليه قال فيتنّحى الصّبر ناحية فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته

---

١ ـ البحار ج ٦ ص ٢٦٥

قـــال الصبر للصلّوة والزکاة دونکما صاحبکما فـان عجـزتم فانادونه[1]

ومنها مـا عن المحاسن عن احدهما علیهما السّلام: اذامات العبد المؤمن دخل معه فی قبره ستّ صور فیهم صورة احسنهّن وجها" وابـها هن هیئةً و اطیبهن ریحا" وانظفهن صورة قـــال: فیقف صورة عن یمینه واخری بین یدیه واخری خلفه واخری عن یساره واخری عندرجله ویقف الّتی هی احسنّهن فوق راسه فان اتی عن یمینه منعته الّتی عن یمینه ثم کذلک الی ان یؤتی من الجهات الستّ قال: فتقول احسنّهن صورة: ومن انتم جزاکم اللّه عنّی خیرا" فتقول الّتی عن یمین العبد اناالصّلاة وتقول الّتی عن یساره:

اناالزّکاة وتقول الّتی بین یدیه: اناالصّیام وتقول التی خلفه: اناالحّج والعمرة وتقول التی عنـــدر جلیه انابرّمن وصلت من اخوانک ثم یقلن من انت فانت احسننا وجها "واطیبناریحاوابـها ناهیئة فتقول اناالولایة لآل محمّد صلوات اللّه علیهم اجمعین[2].

فمنها ماروا ه فی العلل عن مولا ناالصّادق علیه السّلام قال:

---

١ ـ البحار ج ۶ ص ٢۵۶ ٢ ـ البحار ج ۶ ص ٢٣۴

انّما صار الانسان ياكل ويشرب بالنّار ويبصر ويعمل بالنور الى ان قال عليه السّلام فهكذا الانسان خلق من شأن الدنيا وشان الآخرة فاذا جمع اللّه بينهما صارت حياته في الارض لانّه نزل من شأن السّماء الى الدّنيا فاذا فرق اللّه بينهما صارت تلك الفرقة الموت تردّ شأن الاخرى الى السّماء فالحياة في الارض والموت في السماء وذلك انّه يفرق بين الارواح والجسد فردّت الروح والنور الى القدس الاولى وترك الجسد لانّه من شأن الدّنيا وانّما فسد الجسد في الدّنيا لانّ الريح تنشف الماء فييبس فيبقى الطّين فيصير رفاتا "ويبلى و يرجع كل الى جوهره الاوّل ١

ومنها ما في الا حتجاج من حديث الزنديق الذّى سأل الصّادق عليه السّلام عن سائل الى ان قال: اخبر ني عن السّراج اذا انطفأ" اين يذهب نوره؟ قال: يذهب فلايعود قال فما انكرت الّايكون الانسان مثل ذلك اذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع اليه ابدا "كما لايرجع ضوء السراج اليه اذا انطفا " قال عليه السّلام: لم تصب القياس انّ النّار في الاجسام كامنة والاجسام قائمة باعيانها كالحجر والحديد فاذا ضرب احدهما بالاخر سطعت

---

١ ــ البحار ج ٦ ص ١١٧

من بینهما نار تقتبس منها سراج له‌الضوء فالنّار ثابتة‌فی‌اجسامها والضوء ذاهب .

والــــرّوح جسم رقیق قدالبس قالبا کثیفا " لیس بمنزلة السّراج الّذی ذکرت ، انّ الّذی خلق‌فی‌الرحم جنینا " من ماء صاف ورکّب فیه ضروبا " مختلفة من عروق وعصب واسنان‌وشعر وعظام وغیر ذلک هویحییه بعد موته ولعیده بعدفنائه ، قال فاین الرّوح؟ قال: فی‌بطن الارض حیث مصرع‌البدن الی وقت البعث قال: فمن صلب این روحه قال فی‌کفّ الملک الّذی قبضها حتی یود عهاالارض قال: افیتلاشی‌الرّوح بعد خروجه عن‌قالبه‌ام هوباق؟ قال: بل‌هوباق الی‌وقت ینفخ فی‌الصور فعندذلک تبطل الاشیاء و تفنی‌فلاحسّ‌ولامحسوس ثّم اعیدت الاشیاء کمابدئها مدبّرها وذلک اربعمأة سنة تسبت فیها الخلق وذلک بین‌النفختین[۱]

ومنها ما عن امالی المفید ره ویقرب منه ما عن الکافی عن ابن ظبیان قال: کنت عندابی عبداللّه علیه السلام قال: مایقول النّاس فی‌ارواح الموٴمنین بعد موتهم؟ قلت: یقولون فی‌حواصل طیور خضر ، قال سبحان‌اللّه! الموٴمن

---

۱ ــ البحار ج۶ ص ۲۱۶

اكرم على اللّه من ذلك، اذاكان ذلك اتاه رسول اللّه ص و علّي و فاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام ومعهم ملائكة اللّه عزّوجلّ المقرّبون فان انطق اللّه لسانه بالشهادة له بالتّوحيد وللنّبي صلّى الله عليه وآله بالنّبوة والولاية لاهل البيت عليهم السّلام شهد على ذلك رسول اللّه ص وعلّي وفاطمة والحسن و الحسين والملائكة المقرّبون معهم وان اعتقل لسانه خصّ اللّه نبيّه بعلم مافي قلبه من ذلك فشهد به وشهد على شهادة النّبي علّي وفاطمة و الحسن والحسين على جماعتهم من اللّه افضل السّلام ومن حضر معهم من الملائكة، فاذا قبضه اللّه اليه صيّر تلك الروح الى الجنّة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التّي كانت في الدّنيا[1]، وقريب منه الخبر ٦٥ في ص ٢٤٢ في البحار

ومنها مارواه في الكافي عن حبّة العرني قال خرجت مع اميرالمؤمنين عليه السّلام الى الظهر[2] فوقف بوادى السّلام كانّه مخاطب لاقوام، فقمت بقيامه حتى اعييت، ثمّ جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل مانالني اولاً" ثم جلست حتى

طلب ثم قمت وجمعت ردائی فقلت: یاامیرالموٴمنین انّی قدا شفقت عـــلیک من طول القیام فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ـ لیجلس علیه فقال: یاحبّه ان هوالاّ محادثة موٴمن اوموٴانسته قال قلت یا امیرالموٴمنین وانّهم کذلک قال نعم ولوکشف لک لرأیتهم حلقا "حلقا" محتبین[3] یتحادثون فقلت اجسام ام ارواح. فقال: ارواح وما من موٴمن یموت فی بقعة من بقاع الارض الاّ قیل لروحه الحقی بوادي السّلام وانّها لبقعة من جنّة عدن[4]

ومنها مافی صحیح علیّ بن ابراهیم المروّی فی الکافی عن ابـــی ولاّد عن ابی عبداللّه علیه السّلام قال: قلت له جعلت فداک یروون انّ ارواح الموٴمنین فی حواصل طیور خضر حول العرش فقال: لا ، الموٴمن اکرم علی اللّه من ان یجعل روحه فی حوصلة طیر لکن فی ابدان کابدانهم.[1]

ومنها مافی الکافی عن ابی بصیر عنه علیه السّلام قال: انّ الارواح فی صفة الاجساد فی شجرة فی الجنّة تعارف وتسائل

---

١ ـ احتبی بالثوب .اشتمل به ،جمع بین ظهروساقه بعمامة ونحوها

٢ ـ البحار ج ۶ص ٢۶٧

٣ ـ البحار ج ۶ ص ٢۶٨

فاذا قدمت الروح على الارواح تقول: دعوها فانّها قد افلتت من هول عظيم ثمّ يسألونها مافعل فلان ومافعل فلان فان قالت تركته حيا "ارتجوه وان قالت لهم قدهلك قالوا قدهوى هوى [١].

فدونک ارقام الاخبار الدالّة على المطلوب المرويه في الكافی فراجع البحار ج ۶ الخبر ١٢٧ – ١٢۶ – ١٢۵ – ١٢۴ – ١٢٢ – ١٢٠ – ١١٨ و يقرب منها الخبر التاسع في ص ٢٨٧ ج۶ من البحار

---

١ – البحار ج ۶ ص ٢۶٩

الفصل السّابع
في سؤال القبر

في سؤال القبر

وحيث تبيّن ممّامرّ في الفصل السّابق انّ القبر هوالبرزخ في عرف الروايات بل الكتاب فلا مناص من القول بكون المسائلة والضغطة ونحوهما واقعة فيهذاالعالم المسّمى بالبرزخ ويدّل عليه من القرآن آيات كثيرة:

منها قوله تعالى: انّ الذّين توفّاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوافيم كنتم قالو كنّا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض اللّه واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماءواهم جهنّم وساءت مصيرا " الّاالمستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا " اولئك عسى اللّه ان يعفوعنهم وكان اللّه عفّوا " غفورا "[1]

قال شيخنا العلّامة الطبّا طبائي روحي فداه: و في الآية دلالة في الجملة على ما تسمّيه الاخبار بسئوال القبر، وهوسئوال

---

١ ـ النساء ٩٧ ـ ٩٩

الملائكه عن دين الميت بعد حلول الموت كما بدل عليه ايضا "قوله تعالى :
والذين تتوفاهم الملائكه ظالمي انفسهم فالقوا السلم الي قوله خيرا "[١]
الملائكة ظالمي انفسهم فالقواالسّلم الي قوله خيرا "[١]

ومنها قوله تعالي : يثبّت اللّه الذّين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا[٢] حيث فسّره في رواية سويدبن غفله بالمسائلة المرّويه في تفسير القمّي عن اميرالموءمنين عليه السّلام قد نقلنا صدرها آنفا " في باب التمثّل وهاک تتمتها :

ثم يلتفت ــ اى المحتضر ــ الي عمله فيقول : واللّه انّي كنت فيک لزاهدا " وانّک كنت علّي لثقيلا " فماذا عندکء فيقول انا قرينک في قبرک ويوم وحشرک حتي اعرض اناوانت علي ربک فان كان للّه وليا " اتاه اطيب الناس ريحا " واحسنهم منظرا " وازينهم رياشا " فيقول ابشربروح وريحان وجنّة نعيم ، قد قدمت خير مقدم فيقول : من انت فيقول : انا عملک الصالح ارتحل من الدنيا الي الجّنة وانّه ليعرف غاسله ويناشدحامله ان يعجّله فاذا ادخل قبره اتاه ملكان وهما فتّاناالقبر ، يجران اشعارهما ويبحثان الارض بانيابهما واصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربّک و من نبّيک ومادينک فيقول

---

١ ــ الميزان ج ۵ ص ۴۹

٢ ــ ابراهيم ٢٧

اللّه ربّي ومحمّد نبيّي والاسلام ديني فيقولان ثبّتك اللّه فيما تـحبّ وترضى وهو قول اللّه: يثبت اللّه الذّين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا الآية. فيفسحان له في قبره مدّبصره ويفتحان له بابا" الى الجّنة ويقولان له نم قرير العين نوم الشّاب الناعّم وهوقوله: اصحاب الجّنة يومئذ خير مستقرّا" واحسن مقيلا".

واذاكان لرّبه عدوّا" فانّه ياتيه اقبح خلق اللّه رياشا" وانتنه ريحا" فيقول له ابشربنزل من حميم وتصلية جحيم وانّه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يحبسه فاذا ادخل قبره اتياه ممتحنا" القبر فالقيا عنه اكفانه ثم قالاله: من ربّك ومن نبيّك ومادينك؟ فيقول لاادرى فيقولان له مادريت ولاهديت فيضربانه بـمرزبة ضربة" ماخلق اللّه دابّة الّاوتذعرلـها ماخلاالثقّلين ثمّ يفتحان له بابا" الى النّار ثمّ يقولان له: نم بشّرحال فهومن الضّيق مثل مافيه القنا من الزّج حتّى انّ دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلّط اللّه عليه حيّات الارض وعقاربها و هوامها فتنهشه حتّى يبعثه اللّه من قبره وانّه ليتمّنى قيام السّاعة ممّا هو فيه من الشّر [١] ومنها قوله تعالى: كما اشيراليه في كلام

١ ـ البحار ج ۶ ص ٢٢۴

شیخنا العلّامة: الّذین تتوفّاهم الملائکة ظالمی انفسهم فالقوا السّلم ماکنّا نعمل من سوء بلی انّ اللّه علیم بماکنتم تعملون. فادخلو ابواب جهنّم خالدین فیها فلبئس مثوی المتکبّرین. وقیل للذّین اتقّوا ماذا انزل ربّکم قالوخیرا " للذّین احسنوافی هذه الدّنیا حسنة و لدار الآخرة خیرولنعم دارالمتقّین جنّات عدن یدخلونها تجری من تحتها الانهار لهم فیها مایشاؤن کذلک یجزی اللّه المتقّین الذّین تتوفّاهم الملائکة طیبین یقولون سلام علیکم ادخلوالجنّة بما کنتم تعملون.[1]

روی فی نور الثقلّین عن امیرالموءمنین علیه السّلام: انّه لیس من احد من النّاس تفارق روحه جسده حتّی یعلم الی ایّ المنزلین یصیرالی الجنّة ام الی النّار اعدّو هو للّه او ولّی فان کان ولیّا " للّه فتحت له ابواب الجنّة وشرع طرقها ونظر الی مااعدّاللّه فیها ففرغ من کلّ شغل ووضع عنه کلّ ثقل.

وان کان عدّوا " للّه فتحت له ابواب النّار وشرع له طرقها ونظر الی ما اعدّاللّه له فیها فاستقبل کلّ مکروه ونزل کلّ شرور کلّ هذا یکون عند الموت وعنده یکون بیقین.

---

۱ ــ النحل ۳۸ ــ ۳۲

قال اللّه تعالى: الذّين تتوفّاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم . . . ويقول: الذّين تتوفّاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السّلم . [١]

ومنها قوله عزّوجلّ: وقال الذّين لايرجون لقائنا لولا نزل علينا الملائكة الى قوله تعالى يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا "محجورا" الى قوله: اصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرّا "واحسن مقيلا" [٢]

وقد فسّر قوله (اصحاب الجنّة) في رواية سويد بنوم البرزخ كما هو ظاهر قوله تعالى ايضا "يوم يرون الملائكة" حيث يظهر منه انّه اوّل يوم يرون الملائكة، والمقيل هو نوم القيلوله وليس في جنّة الآخرة نوم وان كان في جحيمها نوم كما سنذكره في محلّه ان شاء اللّه تعالى .

ومنها الآيات التّي مرّت في الحياة البرزخيّة في الفصل السّابق وقد نبّهناك كرارا "على انّ قوله عزّ اسمه، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يدّل دلالةً واضحةً على انّ، بمجيي الموت تشرع الحياة البرزخيّة وتمتّد الى يوم البعث فيستنتج منه وممّا سبق من الآيات الواردة في سئوال الملائكة انّ هذا السئوال واقع في البرزخ،

---

١ ـ نور الثقلين ج ٣ ص ٥٢   ٢ ـ الفرقان ٢٣ ـ ٢١

المفسّرفي الروايات بالقبر وانهما واحد وانّ المسئول هي الانفس المتوفاة حسب منطوق الآيات والرّوايات القائلة بانّهم في ابدان كابدانهم الدنيّوية، او انّ الارواح في صفة الاجساد، اوانّ الروح في قالب كقالبه في الدّنيا فيأكلون ويشربون فاذاقدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة الدنياويّة.

وكذاماورد من ان سيّد ناابراهيم [1] وسيدتّنا فاطمة عليهماالسّلام يربيّان اطفال المؤمنين كمافي الخبر٣٣ و ٣٤ ص ٢٢٩ ج ٦ من البحار

وماورد منانّ للّه جنّة في المغرب تخرج اليها ارواح المؤمنين من حفرهم عندكلّ مساء فتسقط على ثمارها وتاكل منها و تتعارف فاذا طلع الفجرهاجت في الجنّة وتعهد حفرهاوكذا فيارواح الكفّار وانّها تسكن، الىانار خلقها اللّه في المشرق كمافي الخبر١٤ ص ٢٨٩ في ج ٦ من البحار، الىغير ذلك من الاخبار الكثيرة المتكاثرة في ابواب مختلفة.

فمامّرمن البيان يتجّه جميع ماورد فيالروايات من السّئوال في القبر واتّساعه وضغطته و ثوابه و عذابه و كونه روضة من رياض الجنّة او حفرة من حفر النيّران وزيارة الموتى لاهليهم وغير

---

١ ــ وفي الخبر ٢٤ ص ١٤٥ من ج ٥ نور الثقلين زاد ساره زوجة ابراهيم رواه ــ عن من لا يخصره الفقيه

ذلک .

من عجائب الاخبار والروايّات كماانّه بهذاالبيان يجاب عمّا يقال في مقام انكار سئوال القبر:

من انّا نرى شخصا " مصلوبا " باقيا " الي ان يذهب اجزائه و لانشاهد فيه حياةً والامسائلةً والقول بهمامع عدم المشاهدةً سفسطة محضةً وابلغ منه من اكلته السّباع والطّيور وتفرّقت اجزائه في بطونها وحواصلها وابلغ من احرق فصار رمادا " ذرّته الذاريّات ذروا " شمالا " وجنوبا " قبولا " ودبورا " فانّانعلم عدم احيائه ومسائلته و عذابه ضرورةً .

ولوجاز تخطئةً الحسّ في مثل هذا لجاز مثلها في جميع الامور المحسوسةً فعندئذ لايبقى وثوق بالواقع الخارج و مآله اللّحوق بالسّوفسطائيةً .

و قديحكي عن بعض الناس انّه وضع المسجلّةً مع الميّت تارةً ليضبط المسائلةً بين الملائكةً و بينه وتارةً اخرى ملأفاه من التّراب والدّقيق ونحوهما فلّما ان نبش الحفرةً عندالصباح لم يجد صورةً مكالمةً مضبوطةً في المسجلّةً ولاتغيير وضع في الميّت في خروج ذرةً من التراب من فيه بل هو على نحو ما وضع في حفرته الى غير ذلك من الاوهام والاغاليط.

ان قلت : هذا الاستظهار والاستنتاج في مسئلة حقيقة القبرو المسائلة فيه وان كان موافقا " للكتاب والروّايات الكثيرة الاّ انّ هنا روايات اخرى كثيرة ابضا " ظاهرة في انّ السّئوال يقع في هذه الحفرة بهذا البدن العنصري وتلك الطائفة من الاخبار بلغت في الكثرة الى حدّ لايستهان بها .

فمنها مافي الخطبة الغراء في نهج البلاغه حيث قال عليه السّلام : حتّى اذاانصرف المشيّع ورجع المتفجّع اقعدفي حفرته بخيا " لبهتة السّئوال وعثرةالامتحان واعظم ماهنالك بليّة نزل الحميم وتصلية الجحيم . وقريب منها مافي كتابه عليه السّلام الى محمّدبن ابى بكر حينما ولّاه مصر وفيه قال عليه السّلام : فتنضم عليه الارض حتى تلتقي اضلاعه .

ومنها مارواه في الكافي عن مولانا ابي جعفر عليهما السّلام . فاذا ادخل حفرته ردّت الرّوح في جسد وجاء ملكاالقبر فامتحناه الخبر ۹۵ ص ۲۵۹ ج ۶ من البحار وفي الخبر ۱۰۸ ص ۴ و ۲–۲۶۴ — في الكتاب المذكور المروّى عن الكافي الشّريف عن الصّادق عليه السّلام فيقعدانه فيلقيان فيه الرّوح الى حقويه ويقرب ممّاذكر ناالخبر ۱۸ و ۲۲ المذكوران في ص ۲۲۱ في ج ۶ من البحار

ويدّل عليه ايضا "ما وردفي الحثّ على زيارة قبورالموتى وانّهم

يستأنسون بزوّارهم و يحزنون بمفارقتهم ، وكذاماورد في حكمة وضع الجريدة مع الميّت من انّه يتجافي عنه مادامت رطبة فمنه ماروا ه البخاری في صحيحه:

انّ النبی ص مرّ بقبرين فقال انهما ليعذّبان ومايعذّبان في كبير امّااحدهما فكان لايستنزه من البول وامّاالآخر فكان يمشي بالنميمة ثمّ اخذ جريدة رطبة فشقّها نصفين فغرز في كلّ قبر واحدة قالوايارسول اللّه لم فعلت هذاقال لعلّه يخفّف عنهما مالم ييبسا .[1]

ومنه مافی صحيح زرارة المروّی فی الكافي قال: قلت لابی جعفر عليه السّلام ارأيت الميّت اذامات لِمَ تجعل معه الجريدة قال يتجافي عنه العذاب والحساب مادام العود رطبا " قال: وللعذاب كلّه في يوم واحد فی ساعة واحدة قدرمايدخل القبر و يرجع القوم وانماجعلت السعفتان لذلک فلايصيبه عذاب ولاحساب بعد جفوفهما انشاء اللّه[2]

وفی غير واحد من الاخبار انّ الجريدة الخضراء تنفع المؤمن والكافر مادامت رطبة فراجع الباب ٧ من ابواب تكفين وسائل

---

١ ــ صحيح النبجاری ج ١ ص ٦٢ من الطبع المشكول

٢ ــ البحار ج ٦ ص ٢١٥

الشّيعة.

وكذا ماورد من نوم رسول اللّه صلّى الله عليه و آله في لحد فاطمة بنت اسد امّ امير المؤمنين عليه السّلام فلمّا سئل عن نومه هذا قال ص: امّا نومي في لحدها فانّي ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت واضعفاه، فنمت في لحدها لاجل ذالک حتّى كفيتها ذالک [1]

وهكذا ماورد في قصّة بهلول النبّاش من استماعه صوت الفتاة المجور بها في لحدها معاتبة له ومارواه مالک في الموطأ عن عبدالرّحمن بن ابي صعصعة انّه بلغه عمروبن الجموح وعبداللّه بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفرالسيل قبرهما وكان قبرهما ممّا يلي السيل وكانا في قبرواحد وهما ممّن استشهد يوم احد فحفر عنهما ليغيّرا من مكانهما فوجدا لم يغيرا كانمّا ماتا بالامس وكان احد هما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهوكذلک فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كماكانت وكانت بين احد و بين يوم حفر عنهما ستّ واربعون سنة [2]

ومثله مافي الاصابة ج ٢ ص ٣٥٠ وكذافي اسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣ والحاصل انّ المستفاد من تلک الطّوائف من الرّوايات

---

١ ــ البحار ج ۶ ص ٢۴١ ٢ ــ الموطأ ج ١ ص ٣١٣

والآثار انّ حقیقة القبر لیست الّاهذه الحفرة المحسوسة وانّ السّئوال والضغطة والاتّساع والعذاب والثّواب واقعة فیها ومن هذه الاجداث یبعثون فیحشرون فی القیامة الکبری بل ظاهر الکتاب یساعد هاایضا " کمافی قوله تعالی: منها خلقناکم وفیها نعیدکم ومـــنها بخرجکم تارة اخری [۱] وقوله عزّاسمه: و نفخ فی الصّور فاذاهم من الاجداث الی ربّهم ینسلون. [۲]

قلت نعم انّ مثل ماذکر من الاخبار اخبار کثیرة وردت فی غیر هذاالباب مثل ماورد فی الحجرالاسود من انه مستودع المواثیق المأخوذة من بنی آدم فی عالم الذّروانّه یجیی یوم القیامة وله لسان ناطق وعینان ومن هنایقال عــندالاستلام: امانتی ادیّتها و میثاقی تعاهدته تشهدلی بالموافاة.

ومارود فی عدة من البقول والفواکه من انّها من الجنّة اوانّ منبتهافی النّار وانّه تقطر علی اوراقها فی کلّ صباح قطرة من الجنّة وان اللّه تبارک و تعالی عرض ولایة آل البیت علیهم السّلام علی الثمرات فماقبل منه ولایتهم عذب وطاب ومالم یقبل منه خبث وردی الی غیر ذلک من الانوار المفاضة علینا من مشکاة

---

۱ ــ طه ۵۵ ۲ ــ یس ۵۱

النبّوة صلّى الله عليه وآله ومصباح الولاية عليهم السّلام ولاشكّ في انّ وراء العقل طورا " آخر تفتح فيه عين اخرى يدرك بها الغيب وانّ العقل لمعزول عن دركه كما انّ الحسّ منعزل عمّا يدركه العقل.

والحلّ الذّى يرشد ناالیه كتاب اللّه العزيز: هوانّ للاشياء عنداللّه تبارک و تعالي وجودا " مخزونا " غير محدود وانّه يتحدّد ويتقدّر بالتنزيل وانّ مادون تلک الخزائن عالم مقداريّ باق غير متدرج وانّه عالم الامرومنه يتنّزل الفيض الي عالم التدريج و الطبيعة فقوله سبحانه: وان من شيئى الّا عند ناخزائنه و ما ننّزله الّا بقدر معلوم [1]، يدّل علي الاوّل وقوله عزّوجلّ وكلّ شيئ عنده بمقدار [2] مع قوله وماعنداللّه باق [3]، يدّل علي الثّاني و قوله تعالي: يدبّرالامر من السّماء الي الارض [4]، يدّل علي الثّالث وقوله تعالي: انمّا امره اذااراد شيئا " ان يقول له كن فيكون، فسبحان الذّى بيده ملكوت كلّ شيئ [5].

---

١ ــ الحجر ٢٥ ٢ ــ الرعد ٨

٣ ــ النحل ٩٦ ٤ ــ السجدة ٤٥

٥ ــ يس ٨٣ ــ ٨٢

يدّل على انّ التّرتب بين عالم الامر والملكوت وبين عالم الطبيعة والتّدريج هوترّتب (كن فيكون) فيستنتج من ذلك كلّه انّ هذا العالم العنصرى والتّدريجي له وجهان وجه تدريجي سيلاني وهو وجهه الطبيعي وحكمه ان يحصل تدريجا " من القوّة الى الفعل و وجه ملكوتّي لاتدريج فيه وجفّ القلم بما هوكائن بالاضافة اليه، فمنه ينقدح ان للقبر وجهين و جهاداً الى الدّنيــا و هــو هـــذه الحفرة، ووجها "الى الملكوت وهوعالم البرزخ والمثال: ولعمرک ما الطف قولهم عليهم السّلام الوارد في سؤال القبر . فيفسحان ـ يعنى الملكين ـ له اى للموء من في قبره مدّ بصره [1] اوبابا " من الجنه، ويفتحان للكافر بابا " الى النّار فراجع الاخبار الوارده في تفسير قوله تعالى . فاماّ ان كان مـــن المقرّبين الى قوله و تصلية جحيم . [2]

فالانسان المتوفّي المقبور يرى نفسه مقبورا " وانّ هذاالبدن العنصرى موردا " للمسائلة وقداقعد في لحده وردّت الرّوح الى حقويه وانّه محلّ للثواب والعقاب وكلّ ذلک تمثيل له وقد سبق بعض الكلام ممّا ينا سب المقام في حضور الائمّة عليهم السّلام عند المحتضر و بالجملة

---

۱ ــ يعنى على قدر همّته ودركه يفسح له اويفتح له

۲ ــ الواقعة ۹۴ ــ ۹۲

كلّ ماورد من النبّي وعترته صلوات اللّه عليه و عليهم حقّ لاريب فيه فآمنّا ربنّا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّآتنا وتوفّنا مع الابرار.

هنا وجوه اخرى للجواب عن تلك الطائفة من الاخبار منها حملها على ضرب من التمثيل كقوله تعالى: مثل الجنّة التي وعد المتقّون فيها انهار من ماء غير آسن. [1]

فانّ المثل هو الوصف الذّي يمثّل الشيي ويقرب صورته بالبال فمعنى الآية انّ هذا الوصف للجنّة لاجل التقريب الى البال مع انّ الجنّة اعلى وارفع من ان يحيط بها الوصف ويحدّها كما يفصح عنه قوله تعالى: فلاتعلم نفس مااخفي لهم من قرّة اعين [2].

ومن هذا القبيل مافي الروايات في وصف نعم الجنّة ولذّاتها وانّ في اكل بعض ثمرتها جميع انواع اللّذة حتّى لذة الجماع وانّ الجماع يطول سنين الى غير ذلك.

واشار الى هذا الجمع سيدنا الاعظم ومولانا الاكمل الاعلم شيخنا العلاّمة الطّباطبائي روحي فداه فيما علّقه على بحار الانوار بقوله: واما الرّوايات الدّالة على ادخال الروح الى حقويه في القبر فهي تمثيل للمسائلة كما انّ الرّوايات الدالة على قولهما ـ الى

---

۱ ـ محمّد ۱۵ ۲ ـ السّجدة ۱۷

الملكين ـ له: نم نومة العروس وانامتهما له وغير ذلک تمثيل له لمكثه في القبر في انتظار البعث .[١]

ومنها العلاج على شريطة التعارض بان يقال: حيث كانت تلک الاخبار مخالفة للكتاب لانّها لاتلائم قوله تعالى: اللّه يتوفّى الانفس حين موتها والّتى لم تمت في مقامها فيمسک الّتي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الآية، حيث انّه بحكم التفصيل بين النائم والمائت بارسال نفس الاول دون الثاني يدّل على ارسال النفس الى جسده فافهم .

وكذا تخالف السّنة المفسّرة للقبره بالبرزخ والابدان البرزخيّة فلابّداماّ ان تدخل في قولهم عليهم السّلام: لايصدّق علينا الاّ ماوافق الكتاب وكلّ حديث لايوافق كتاب اللّه فهوزخرف او باطل اولم نقله واماّ ان تدخل في قولهم عليهم السّلام: ما علمتم ان من قولنا فالزموه ومالم تعلموه فردّوه الينا و نحوه من الاخبار الآمرة بالطّرح اوبرّدالعلم اليهم عليهم السّلام واختيار التّسليم لاحتمال كونه من اخبار هم الموافقة للكتاب على الباطن الذّى يعلمونه ولذا كانوا عليهم السّلام ربماّ يستشهدون بآيات

---

١ ـ البحار ج ٦ ص ٢٨٥ من الطبعة الحديثه

على الاعتقاديّات والاحكام الفرعيّة لانفهم دلالتها لوخلّينا وانفسنا وهي كثيرة جدا " اوغير ذلك من المحامل المعقولة والمعوّل عندى هوالاوّل من الوجوه فافهم وتاملّ .

وصل : قدتكرّر في الرّوايات انّ السّؤال انما يكون من صنفين احدهما ماحض الايمان والثاني ماحض الكفر وانّ ساير النّاس يعني المتوسّطين يلهي عنهم .

فمنها ماروا في الكافي عن ابي بكر الحضرمي انّه قال : قال ابو عبداللّه عليه السّلام : لايسئل في القبر الاّ من محض الايمان محضا " او محض الكفر محضا " والآخرون يلهون عنهم .

ويقرب منه لفظا "و دلالةً الارقام الآتية من الاخبار المذكورة في باب احوال البرزخ والقبر من المجلّد ج۶ من البحار ١٠٤ — ١٠٢ — ١٠١ — ١٠٠ — ٩٩ — ٩٨

وهذا المعنى هو المستفاد من القرآن المجيد فانّ التدّبر في قوله تعالى : انّ الذّين توفّاهم الملائكة ظالمي انفسهم ،وفي قوله : ظالمي انفسهم فالقوا السّلم ، وفي قوله : تتوفّاهم الملائكة طيبين يرشدنا الى انّ السئوال انمّا يتوجّه الى من تمّ عليه الحجّة ظالما " كان ام طيّبا " وبالجملة من ختم له مع الحجّة بالسّعادة اوالشقاوة ، وامّا المتوسّطون المستضعفون والذّين خلطوا عملا " صالحا " و آخر

سيّئا " فالآيات الشريفة ساكتة عن مسائلتهم بل تدّل على ارجاء امرهم الي اللّه تعالي فهم المرجون لامراللّه امّا يعذّبهم اويتوب عليهم بالعفو والرحمة وهوارحم الراحمين.

ثمّ انه ممّا يجب ان لايغفل عنه انّ ماتكرّر في الرّوايات من امر الملكين له بالنوم هوالمستفاد ايضاً من كتاب اللّه التبيان لكلّ شيئ وهوقوله عزّوجلّ: يوم يرون الملائكة الى قوله: اصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرا " واحسن مقيلا ". [١]

فان المقيل هوالنوم اوالاستراحة ـ من غيراعتبار النوم نصف النّهار، ومن الواضح ان لانوم في جنة الآخرة، فانّها عالم اليقظة النهائية، فكما انّ النّاس ينام في الدّنياواذا ماتوا انتبهو واستيقظو فالحياة الدّنيانومهم بالقياس الي الحياة البرزخيّة، فكذلك حالهم في البرزخ بالنسبة الي الآخرة وفي خبر سويدالسّابق فسّر قوله تعالي: احسن مقيلا " بماذكر ناحيث قال عليه السّلام: ويقولان: يعني الملكين ـ له نم قريرالعين نوم الشّاب النّاعم وهوقوله تعالي " اصحاب الجّنة يومئذ خيرمستقرا " واحسن مقيلا " [٢]

وكذاماورد في كثير من الرّوايات من اتيان المتّوفى موءمنا "

---

١ ـ الفرقان ٢٤ ـ ٢٢ ٢ ـ البحار ج ٦ ص ٢٢٤

كان او غيره الى اهله على اختلاف التّعبير فيها فهوايضا " مستفاد في الجملة من كتاب اللّه المجيد في قوله تقدّست اسمائه . ولاتحسبّن الذّين قتلوافي سبيل اللّه امواتا "بل احياء عندربّهم يرزقون فرحين بماآتاهم اللّه من فضله ويستبشرون بالذّين لم يلحقوابهم من خلفهم الّاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من اللّه وفضل وانّ اللّه لايضيع اجرالموء منين [1] .

فانّ الابشار والاستبشار تلّقي البشارة والبشرى ـ وهي مايسّر الانسان من الاخبار ـ فهم يطلبون السّرور بمايأتيهم من البشرى بحسن حال من لم يلحقوابهم من الموءمنين فهذايدّل على اطلّاع هولاء الشّهداء على احوال الموءمنين الاخباروانّهم لاخوف عليهم ولاهم يجزنون .

قال شيخنا العلّامة الطّباطبائي روحي فداه : هذه الجملة الّاخوف عليهم ولاهم يحزنون ـ كلمة عجيبة كلّماامعنت في ـ تدّبرها زادفي اتسّاع معناها على لطف ورقّة و سهولة بيان ، واوّل مايلوح من معناهاانّ الخوف والحزن مرفوعان عنهم ، والخوف انما يكون من امر ممكن محتمل يوجب انتفاء شيي من سعادة الانسان التّي يقدر نفسه واجدة لها ، وكذاالحزن انّمايكون من جهة امرواقع

---

١ ـ آل عمران ١٧١ ـ ١٦٩

يوجب ذلک، فالبلّية اوكلّ محذور انمّا يخاف منها اذالم يقع بعد فاذاوقعت زال الخوف وعرض الحزن فلاخوف بعدالوقوع ولاحزن قبله، فارتفاع مطلق الخوف عن الانسان انمّايكون اذالم يكن ما عنده من وجوه النّعم في معرض الزوال، وار تفاع مطلق الحزن انمايتيّسرله اذالم يفقد شيئا" من انواع سعادة لاابتداءً ولابعد الوجدان

فرفعه تعالى مطلق الخوف والحزن عن الانسان معناه ان يفيض عليه كلّ مايمكنه ان يتنّعم به ويستلذّه وان لايكون في معرض الزوال وهذا هوخلودالسعادة للانسان وخلوده فيها ومن هنا يتضّح انّ نفي الخوف والحزن هوبعينه ارتزاق الانسان عنداللّه فهو سبحانه يقول: وماعنداللّه خيرللابرار [1] ويقول تعالى: وماعنداللّه باق. [2]

فالآيتان تدلاّن على انّ ما عنداللّه نعمة باقية لايشوبها نقمة ولايعرضها فناء الى ان قال رفع اللّه ذكره: وقدتقدّم في اوائل الكتاب انّ النعمة اذااطلقت في عرف القرآن فهي الولاية الالهّية وعلى هذا فالمعنى: انّ اللّه يتولّى امرهم ويخصّهم بعطيّة منه [3].

---

١ ــ آل عمران ١٩٨ ٢ ــ النحل ٩٦

٣ ــ الميزان ج ۴ ص ۶۴ ــ ۶۳

امّا الرّوايات فكثيرة: منها مارواه في الكافي عن الصّادق عليه السّلام انّه قال: انّ المؤمن ليزوراهله فيرى مايحبّ ويسترعنه مايكره، وانّ الكافر ليزوراهله فيرى مايكره ويسترعنه مايحبّ وقال عليه السّلام: ومنهم من يزور كلّ جمعة و منهم من يزور على قدر عمله، وفي خبر آخر عنه عليه السّلام مروّى في الكافي الشريف: ما من مؤمن ولا كافر الّا وهو يأتي اهله عند زوال الشّمس فاذا رأى اهله يعملون بالصّالحات حمدالله على ذلك و اذا رأى الكافر اهله يعملون بالصّالحات كانت عليه حسرة، و يقرب ممّا ذكر الاخبار المروّية عن الكافي الشّريف في جلد ٦ من البحار ارقام ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ في الصفحة ٢٥٦ ـ ٢٥٨.

الفصل الثامن :

الاستكمال البرزخي

الاستكمال البرزخي

انّ من‌واضحات الاخبار والآثار لحوق الثّواب والعقاب للميّت بماخلّفه من‌السنة الحسنة او السيئه او غيرهما .

فمن‌الاخبار في‌جانب لحوق الحسنات‌وثوابها مارواه الصدوق قدّه‌في الخصال عن‌مولانا‌الصّادق عليه السّلام : ليس يتبع الرجل بعد موته من‌الاجر الّاثلاث خصال : صدقة اجراهافي حياته‌فهي تجرى بعد موته الى يوم القيامة صدقة موقوفه لاتورّث ، اوسنّة هدى سنّهاوكان يعمل بها من بعده غيره او ولد صالح يستغفرله

وفي‌الخبر الآخرعنه عليه‌السّلام : ستّ‌خصال عدّ هذاالخصال الثلاث المذكور مع‌قليب يحفره ومصحف يقرأفيه و غرس يغرسه .[1]

ومن بديهيّات فقه‌الشيعة الاماميّة مشروعيّة الصّلاة الاستيجاريّة

---

١ ــ البحار ج ۶ ص ۲۹۳

والنّيابيّة وغيرها من وجوه البّر استيجارا" اواهداءً للاموات بل الاحياء والرّوايات في الترغيب والحثّ عليه كثيرة جدّا" فمن اراد الاطّلاع عليها فليراجع الى محلّها لاسيّما الى رسالة القضاء عن الميّت لشيخنا المرتضى الانصارى قدّس سره.

ان قلت: لاريب في انّ الانسان نوع حقيقّى يمتاز عن غيره من انواع الحيوان بالادراك الفكرى التّام. ويحصل ذلك له تدريجا" وان كان اصل الادراك حاصلا" في الجملة وهذا يقتضى ان يكون استكمال الانسان من طريق الادراك الفكّرى بافعال تتوقّف على الارادة المتوّقفة على هذا العلم الفكرى فافعاله الاراديّة وان كان محتدها من النفس وصفاتها الآان لها تاثيرا" في النّفس، فالنّفس تستكمل با فعالها الارادّية سواء كان ذاك الاستكمال في جانب السعادة أو الشقاوة ومن المعلوم انّ الفعل كما يقوم بفاعله، كذلك ما يستتبعه من الكمال والغاية فهو ايضاً" قائم بفاعله.

ولا يتعدّاه الى غيره ولا ينتقل عنه الى شخص دونه، مثلا" شرب الماء لاجل الريانيّة من الافعال الاراديّة يقوم بفاعله وما يترّتب عليه من الغاية ـ وهو صيرورة الشارب ريّانا" ـ فهو ايضا" يقوم بهذا الفاعل الشّارب فلا يتخطّاه الى غيره، فلا يعقل ان يشرب زيد ماءً ويستمكل به عمرو فيصير ريّانا"

هذا مع وضوحه قدبرهن عليه فيمحلّه ايضا "، بانّ الغاية المترّتبة علي الفعل لابدّوان ترجع الى الفاعل بحسب الاستكمال، وعلى هذا فلايعقل استكمال المتوفي بعمل الاحياء استيجارا " كان وقوع العمل اونحوا " آخر.

ثمّ انّ الاستكمال انمّايتصّور مادام تعلّق النفس بالبدن العنصري، واماّ بعد خلعها فغير معقول حيث انّ الاستكمال بمعنى الخروج من القوّة الى الفعل تدريجا "، يساوق معنى الحركة، والحركة تلازم المادّة على ماقرّر فيموطنه وعليه فلايمكن لحوق الاعمال خيرا "اوشرا" بالميّت مع الاغماض عن الاشكال المذكور، لانّ معنى اللّحوق هواستكمال المتوفى بعمل الاحياء في البرزخ والقبر معانّ المفروض فقد اساس الاستكمال، وجفاف اصوله بالموت كماقرّر ناه فتوقّع الاستكمال في البرزخ توقّع امرمحال.

قلت: اماّاستكمال النفّوس الانسانيّة في البرزخ كمانطقت به الآثار المرّوية عن النّبي وآله عليه وعليهم السّلام فامر معقول ممكن الاانّ الاستكمال هناك غيره هنا فانّه في النشأة الدنيوّية يتّم بالحركة والقوّة دونه هناك.

وتوضيح ذلك انّا اذافرضنا انسانا " اكتسب بعض المقدمات التّي يصّح ان يقع في طريق استنتاج العلوم الحقّة، ولكن العوائق

الجسمانيّة حالت بينه وبين استنتاجها ، فاذا ادركه الموت فانقطعت عنه الشّواغل الدنيويّة استكملت نفسه في البرزخ وعالم القبر بافاضة الصوّر العلميّة من المبداء الاعلى على حسب مااستصحبته من المقدمّات المعدّة للنفس للاستفاضة ، فان الاستنتاج كما قرّر في محلّه على سبيل الاعداد والاستلزام بمعنى انّ شأن المقدمّات هو الاعداد لاالتّوليدوانماّ افاضة النّتيجة من الواهب المفيض الصور ، اوالمفروض زوال العوائق الشاغلة عن هذه النفس المعدّة للاستفاضة ، فيجب تحقّق الفيض والعطاء منه تبارك وتعالى ، فماكان عطاء ربك محظورا "[١] .

والحاصل ان ماتزوّدته النّفس من المقدّمات المنتجة للعلوم وقدكانت الشواغل الدنيويّة مانعة عن الانتاج والاعداد ، ستصير معدّة ايّاها للاستنتاج والاستفاضة على ماتقتضيه مكنة تلك المقدمّات ــ والمعارف التّي هي بذر المشاهدة فانّ الدّنيا مزرعة الآخرة كما في الخبر . هذا كلّه بالنسبة الى النّفوس الساذجة ، واماّ النّفوس التّي حصل لها ضرب من الفعليّة فهم فريقان .

احدهما : هم الذّين ترسّخت الملكات من قبل الاعمال والعلوم

---

١ ــ الاسراء ١٧

فيهم بحيث صارت نفوسهم مصوّرة بما يناسب تلك الملكات والاخلاق من الصوّر النوعيّة كما دلّت عليه الآثار الواردة عن النبّى وعترته المعصومين صلوات الله عليه وعليهم وساق البرهان اليه و سيمّر بک فى مستقبل البحث شطر منها ، فهولاء هم الخالدون فى النّار كلّما " ارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيد و افيها ، فانّ لهم بمقتضى الفطرة معرفة ما بالمبدء الاعلى واسمائه الحسنى وهى بذر المشاهدة ، ولكن تلك الملكات الخبيثة تعوّقها عمّا تقتضيه الفطرة ، فحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فينادون الذّين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم فهذا النداء بما بقى فيهم بعد من نور الفطرة ،فيشتاقون به الى الكمال الحاصل لاهل الايمان ، ولكن الهيآت الرديئة الراسخة تحجبهم عن ذلک فضرب بينهم بسور باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب اعاذ نا اللّه وجميع المؤمنين منه .

وثانيهما : هم الذّين لم تصوّر نفوسهم بما تقتضيه الملكات ولم تخرج بعد الى الفعليّة النوعيّة المناسبة لها فهؤلاء المرجون لامر اللّه فانّه سبحانه اهل التّقوى والمغفرة .

قال شيخنا الاوحد ، محيي الشّريعة ،وقامع البدعة والدنا الاكمل رفـــع اللّه تعالى له ذكره وخلّد فى الآخرين لسان صدقه : انّ قبيل السعادة فائقة على قبيل الشقاء ومن خواّص قبيل السّعادة كلّ

صفةٌ و خاصّة جميلة كالفتح والظّفر و الثّبات والاستقرار والامن والتأصّل والبقاء ، كماانّ مقابلاتها من الزهاق والبطلان والتزلزل والخوف والزوال والمغلوبيّة ومايشاكلها من خوّاص قبيل الشقاء .

والآيات القرآنيّة في ذلك كثيرة متكثّرة ويكفي في ذلك ماضربه اللّه تعالى مثلا " كلمة طيبة كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها في السّماء تؤتي اكلها كلّ حين باذن ربّها ويضرب اللّه الامثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار ، يثبّت اللّه الذّين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ويضلّ اللّه الظّالمين ويفعل اللّه مايشاء [1]

الى ان قال روحي فداه : فالحقّ من حيث نفسه لايقابل الّا الضلّال والباطل و ما ذا بعد الحقّ الّا الضلّال ، ومن المعلوم انّ الباطل لايقاوم الحقّ ، وامّا انّ لحقّ القول والفعل كلّ صفة جميلة ولباطل القول والفعل كلّ صفة ذميمة فوجهه ماا شرنا اليه في سابق الابحاث : انّ المستفاد من قوله تعالى ذلكم اللّه ربكّم خالق كلّ شي [2] وقوله تعالى : الذّى احسن كلّ شيي خلقه [3] وقوله تعالى :

---

١ ــ ابراهيم ٢٧ ٢ ــ المؤمن ٦٢
٣ ــ طه ٥٠

ماصابک من حسنة فمن اللّه وما اصابک من سیئّة فمن نفسک [١]، انّ السیئآت اعدام وبطلانات غیر مستندة الی اللّه سبحانه الذّی هوالخالق الفاطر المفیض للوجود بخلاف الحسنات ولذلک کان القول الحسن والفعل الحسن منشأ کلّ جمال وحسن ومنبع کلّ خیرو سعادة کالثّبات والبقاء والبرکة والنفع دون السیّئي من القول والفعل. [٢]

وبالجملة الحسنات بمالها من الاصول الثابتة الالهیّة غالبة علی السّیئآت، فالقول والاعتقاد الطیب ذومکنة للعروج الی اللّه تعالی، الیه یصعد الکلم الطیّب والعمل الصّالح یرفعه، فالحسنات بقدر طاقتها وانتسابها الی اللّه تعرج الیه ولیس فی مکنة السیئآت الصعود الی اللّه تعالی، فانّ اصولها من النشأت السافلة، فانّ مثل کلمة خبیثة کشجرة خبیثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار.

بخلاف الحسنات فانّها من عالم القدس، یثبّت اللّه الذّین آمنوا بالقول الثابت فعند تمامیة الرّجوع والعود لاتبقی السّیئآت اما بالغفران والعفواو بتبدیلها الی الحسنات، اولئک یبدّل اللّه سیّئآتهم حسنات [٣]

---

١ ـ الانعام ٧٨ ٢ ـ المیزان ج٢ ص١٩٣

٣ ـ الفرقان ٧٠

وبلحوقها بمباديها الخبيثة واصولها الشيطانيّة كمافي الاحاديث المرويّة عن ائمّة اهل البيت عليهم السّلام منها ماعن مولانا باقرالعلوم عليه السّلام فيما رواه ابراهيم الليثي مستشهدا " على ذلک بكتاب اللّه تعالى وانّه حكم ملكوتي وانه على شريطة " كلّ شي يرجع الى اصله " كما انّ الحسنات تلحق بمباديها الطّيبة الّذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان الحقنا بهم ذرّيتهم و ما التناهم من عملهم من شيئ .[1]

وتفصيل ذلک موكول الى شرح الخبرالشريف الآتي في مسئلة تطائر الكتب انشاءاللّه تعالى .

ثم لايعتاص عليک التّوفيق بين تبديل السيّئآت الى الحسنات وبين لحوقها الى مباديها الخبيثة فانّه لايمتنع ان يكون لها وجهان :

باحدهما يكون رحمة لاحدوبالآخر عذابا " ونكالا لآخرفانّ ايقاع العقوبة على زيدالجاني على عمرو رحمة لعمرو و هو بعينه عذاب ونقمة لزيد وتاملّ في قوله تعالى : فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب .[2]

---

١ ــ الطور ٢١ ٢ ــ الحديد ١٣

و روى عن النّبي صلّى الله عليه وآله عن تفسيره فقال: انا السّور وعلّي الباب [1]. واما مسئلة انتقال العمل من شخص الى آخر فهذا ايضا " ممّا يستفاد من الكتاب العزيز كما اشير في الخبر اللّيثي، بل كما ذكرناه ومن و اضحات الاخبار وليس هذا ممّا ينافي الاحكام العقلّية فانّ القرآن المجيد كما يستدّل بالحكم العقلي على رجوع غاية كلّ فعل الى فاعله في مثل قوله تعالى: ولا تزور و ازرة وزر اخرى [2] وقوله: لايحيق المكر السيئ الّا باهله [3] ونحوهما من الآيات كذلك هو ينبئ عن تسبّب بعض المعاصي لانتقال آثام الغير الى العاصي او انتقال مثل اوزاره اليه كما في قوله عزوجل: اني اريد ان تبوّء باثمي واثمك [4]، وقوله سبحانه ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الّذين يضلّونهم بغير علم [5] و قوله عزّ اسمه وليحملّن اثقالهم واثقالا "مع اثقالهم [6] وغيرها من الآيات التّي يستفاد منها انّ للاعمال من حيث تاثيرها في السعادة والشقاوة نظاما " عجيبا " ارفع عن سطح افهام عامّة النّاس وانه سينكشف

---

۱ ــ البرهان ج ۴ ص ۲۹۵   ۲ ــ الانعام ۱۶۴

۳ ــ فاطر ۴۳   ۴ ــ المائده ۳۴

۵ ــ النحل ۲۵   ۶ ــ العنكبوت ۱۳

لهم فماهومستور عنهم يوم ياتي تاويله كما قال تعالى: وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون اللّه ولكن تصديق الّذى بين يديه و تفصيل الكتاب لاريب فيه من ربّ العالمين ـ الى قوله ـ بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لمّا ياتهم تاويله كذلك كذّب الـّذين من قبلهم . [١]

وسيأتى بعض الكلام المناسب له فى مسئلة تطائرالكتب بعون اللّه تعالى ، ولكن يجب ان يعلم هنا انّ بين النّفوس الانسانيّة بعضها مع بعض روابط واتصالات فممّا يربط النفوس بعضها مع بعض هوالرّضا والحبّ بشخص او بعمله واليه اشيرفى الآثار: الرّاضى بفعل قوم كالدّاخل فيهم ، وانّ المرء يحشرمع ما احبّ ، وبهذاالاصل فسّر قوله سبحانه وتعالى فلم قتلتمو هم ان كنتم صادقين [٢] ، حيث اسندالقتل الى المخاطبين مع تاءخرّهم عن القاتلين بزمان كثير لاجل جهم بقتلهم .

وذلك لانّ الرّضا والحبّ والنّية ينبوع الاعمال فمنها تفيض الاعمال كما تفيض المياه عن العين واذا فرضنا انّ هذه الامور ممّا استصحبتها بعض النّفوس معها فى البرزخ فمادامت السّنة المرضى

---

١ ـ يونس ٣٧ ـ ٣٩ ٢ ـ آل عمران ١٨٣

بها معمولة تلحقها نتائجها وتبعاتها ومثلها العبادات الاستيجاريّة اوالاهدائيّة وغيرها واما النّفس العنيدة الساخطة على العبادات المتخذة لها هزوا " فلايكاد ينفعها مايهدى اليها ورثتها من الخيرات والعبادات لعدم الرابطة في البين.

وروى احمد بن حنبل: ان العاص بن وائل نذر في الجاهليّة ان ينحر مأة بُدنة وانّ هشام بن العاص نحو خمسة وخمسين وانّ عمرا " سأل النبّي صلّى الله عليه و آله عن ذلك فقال: امّا ابوك فلو اقرّ بالتّوحيد فصمت و تصدّقت عنه نفعه ذلك.

وممّا ذكرنا يظهر سقوط ما استدّل به على منع وصول الخيرات والعبادات من قبل الاحياء الى الاموات تارة بمثل قوله تعالى: وان ليس للانسان الّا ماسعى[1]، وقوله: لها ماكسبت و عليها مااكتسبت[2] وقوله: ولاتجزون الّا ماكنتم تعملون [3]، و اخرى بمثل قوله ص اذامات العبد انقطع عمله الّا من ثلاث صدقة جارية عليه، او ولد صالح يدعوله، اوعلم ينتفع به من بعد، حيث اخبر ص انه انمّا ينتفع بما كان تسبّب اليه في حياته و مالم يكن

---

١ ـ النّجم ٣٩ ٢ ـ البقرة ٢٨٦

٣ ـ يس ٥٤

تسبّب الیه فهو منقطع عنه.

وثالثة بانّ التکالیف امتحان اوابتلاء لاتقبل البدل فانّ المقصود منها ابتلاء شخص المکلّف العامل فلاینوب عنه غیره فی ذلک، فلوکان الانتفاع باهذاء الغیر الیه ممکنا " کان اکرم الاکرمین والوهّاب المطلق اولی بذلک فهل ینوب عن المریض فی شرب الدّواء غیره، وعن الجائع فی الاکل غیره، وعن العاری فی اللّباس غیره؟! وایضا " لونفعه عمل غیره لنفعه توبته عنه ولهذا لایقبل اللّه تعالی اسلام احد عن احد الی غیر ذلک ممّا قیل فی المقام.

فانّک لوتدّبرت فیماذکر ناتستطیع علی دفع تلک الشّبهات ثمّ لک ان تقول: انّ المؤمن بسعیه وحسن معاشرته اذاکتسب الاصدقاء وتناکح وتناسل وسنّ سنّة حسنة وتصدّق بمثل الاوقاف فترحم الاصدقاء علیه بعد وفا. ته واهدی ولده او خلّانه الیه خیرا " اونحو ذلک کان ذلک له من سعیه کماکان ینتفع بعمل اخوانه المؤمنین فـــی حیاته مع عمله کاالصّلاة جماعة فانّ کلّ واحد انّما تتضاعف صلاته الی ماشاءاللّه لمشارکة غیره معه فی الصّلاة هذا مع انّ القرآن انمانفی ملکه لغیر سعیه وکذالحدیث النبوی ص فی صدد انقطاع عمله واما انتفاعه بسعی غیره واهداء الغیر عملا " الیه فهما غیر منفیّین فی القرآن والحدیث فافهم و

تامّل وللّه سبحانه وتعالی هوالهادی الی الرّشاد وهوولّی التّوفیق والسّداد .

تنبیه وارشاد : انّ من احاط خبرا " بماسلف من البیان والبرهان یجدبل یلمس حقّیة مذهب آل بیت الرّسول ص فی المقام حیث جوّز و امضاء العبادات عن المیّت واخبرو علیهم السّلام بانتفاع المیّت بالاعمال التّی تفعل عنه اویهدی الیه ثوابها خلافا " لاهل الخلاف الّا ما حکی عن ابی ثور ونفس هذه المسئله ترشد من یریدالارشاد الی انّهم علیهم السّلام هم الصّراط الاقوم المشار الیه فی قوله تعالی : قل لااسئلکم علیه اجرا " الّا من شاء ان یتّخذ الی ربّه سبیلا " [1] وقال السّیدالمرتضی فی الانتصار ص ۴۰ ومما ظّن انفراد الامامیّة به ولهافیه موافق وسنذکره ، القول بانّ الصّوم یقضی عن المیّت کانا فرضنار جلًّامات وعلیه ایّام من شهر رمضان لم یقضها لغیر عذر فیتّصدق عنه کلّ یوم بمدّمن طعام فان لم یکن له مال صام عنه ولیّه وباقی الفقهاء یخالفون فی ذلک الّا ماحکی عن ابی ثور من انه یصام عن المیت .

والحجّة للامامیّة الاجماع المتکرّر و قد طعن علی مانقوله بقوله

---

۱ ــ الفرقان ۵۷

تعالی: وان لیس للانسان الّا ما سعی و بماروی عن النّبي ص من قوله اذا مات الموء من انقطع عمله الّامن ثلث: صدقة جارية و ولد صالح یترّحم عنه، وعلم ینتفع به ولم یذکر ص الصّوم عنه.

والجواب عن ذلک انّ الآیة انمّا تقتضی ان لا یثاب الانسان الّا بسعیه ونحن لانقول انّ المّیت یثاب بصوم الحیّ، وتحقیق القول انّ من مات وعلیه صوم فقد جعل اللّه هذه الحالة سببا" في وجوب الصوم علي ولیّه، واماّ الخبر الذّی رووه فمحمول علی هذا المعنی ایضا" والذّی ذهبنا الیه لایخالف ذلک و خبرهم هذا یعارض بما یروونه عن عایشة انّ النّبی قال من مات وعلیه صیام صام عنه ولیّه وفي خبر آخر ان امرأة جائت الی النّبی فقالت له ان کان علي امّي صوم شهر فاقضیه عنها فقال ص ارأیت لوکان علی امکِ دین کنت تقضیه قالت نعم یارسول اللّه فقال ص فدین اللّه احقّ ان یقضی انتهی کلامه مع تلخیص ماّ، و تبعه علی ذلک الجواب ابن زهره والعلاّمة في المختلف، قال شیخنا الاعظم الانصاری في رسالة القضاء عن المّیت: کان السّید ومن تبعه اراد بما ذکر من الجواب عن الآیة والروّایة ردّا ستدلال العامّة لاانّ القضاء لایستلزم الثواب فانّ شأن السّیداجل من ان یخفی علیه الاخبار الکثیرة الواردة عن النّبی والائمّة في انتفاع المیّت بمایفعله، الاحیاء

علی طریق النیابة اوالهدیة، وقدحکی اکثرهافی الذّکری عن کتاب غیاث سلطان الوری للسیّد الاجلّ ابن طاووس و لنذکر بعضها تبرّکا":

منها قضیّة الختعمیة التّی اتت النبّی ص فقالت انّ ابی ادرکه الحجّ شیخا" زمنا "لایستطیع ان یحجّ، ان حججت عنه اینفعه ذلک؟ فقال لها ارأیت لوکان علی ابیک دین فقضیته اکان ینفعه ذلک؟ قالت نعم قال: فدین اللّه احقّ بالقضاء .

ومنها ماعن کتاب حمّادبن عثمان قال: قال: ابوعبداللّه ع من عمل من المسلمین عملا" صالحا من میّت اضعف اللّه اجره ونفع بذلک المیّت.

ومنها ما عن عبداللّه بن جندب قال کتبت الی ابی الحسن ع: الرّجل یریدان یجعل اعماله من الصلّاة والبرّ والخیر اثلاثا"، ثلثا" له وثلثین لابویه اویفرد هما بشیء ممایتطوّع به وان کان احد هما حیّا "والآخر میّتا" فکتب علیه السّلام امّاالمیّت فحسن جائز و اماالحیّ فلا الّاالبرّ والصلّة.

ثمّ روی عن الکافی باسناده الی محمدبن مروان قال: قال: ابوعبداللّه ع مایمنع منکم ان یبّر والدیه حیّین او میتّین یصلّی عنها و یتصدّق عنها ویصوم عنها، ثمّ شرع فی — تحقیق الحال فراجع الی تلک الرّسالة.

المقصد الثاني :

في اشراط السّاعة ومقدّماتها وفيه فصول

الفصل الاوّل : في نفخ الصوّر

فى نفخ الصّور

واعلم انّه لم يرد لفظ " اشراط" فى الكتاب الّا فى موضع واحد وهو قوله تعالى: فهل ينظرون الّا السّاعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانّى لهم اذاجائتهم ذكراهم [1].

وقدوردت الاخبار الكثيرة من الفريقين في تفسيرالاشراط فوق حدّالاحصاء وذكر شطرا " منها فيج ٦من البحار من الطبع الحديث ،و كذاابوالفداءابن كثير ذكر شطرا " في ج ١ من كتاب الفتن والملاحم والظّاهران كلّهامن التفسير بالمصداق فانّ " اشراط" جمع شرط وهي العلامة للشّيي ومنه الشرط بمعنى مايتوقّف عليه وجود الشّيي لانّ سبق وجوده من امارات وجود المشروط.

فاشراطالسّاعة هي العلامات والدّلالات الدّالة علىايتانها وقدسبق فياوائل الكتاب انّ خلقة السّماوات والارض ومابينهما مشفوعة بالغاية الصحيحة وهيالسّاعة فلولاهالزم تطّرق اللّهووالعبث

١ـ محمّد ١٨

فى فعله تعالى والتّالى باطل بالضّرورة، فنفس الخلقة من اشراط السّاعة وآياتها، فالرّوايات في تفسيرها بصدد بيان بعض المصاديق فمن اراد الاطّلاع فليراجع الى مظّانها ولله تعالى هو الاعلم بحقيقة الحال.

وكيف كان فمن مبادي قيام السّاعة نفخ الصّور و قد تكرّر هذا اللّفظ ـ الصور ـ في عشرة مواضع من القرآن الكريم.

فمنها قوله تعالى: يوم ينفخ في الصّور عالم الغيب والشهاده وهو الحكيم الخبير[1] ومنها: ونفخ في الصّور فجمعناهم جمعا "[2] و منها: و يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا "[3] ومنها: فاذا نفخ في الصّور فلا انساب بينهم[4] ومنها يوم ينفخ في الصّور ففزع من في السّماوات ومن في الارض الّا من شاء وكلّ اتوه داخرين[5] ومنها: ونفخ في الصّور فاذا هم من الاجداث الى ربّهم ينسلون[6] و منها: و نفخ فى الصّور ذلك يوم الوعيد[7] ومنها: فاذا نفخ في الصّور نفخة واحدة[8]، ومنها، يوم ينفخ

---

١ ـ الانعام ٧٣
٢ ـ الكهف ٩٩
٣ ـ طه ١٠٢
٤ ـ المؤمنون ١٩
٥ ـ النّحل ٨٧
٦ ـ يس ٥١
٧ ـ ق ٢٥
٨ ـ الحاقة ١٣

في الصّور فتاتون افواجا " [١] و منها ونفخ في الصّور فصعق من في السماوات ومن في الارض الّا من شاء اللّه ثمّ نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون. [٢]

وقد عبّر عن معناه في مواضع آخر بالفاظ: الصيحة، و الزجرة، ـ وهي الصيحة ايضا " والصّاخة ـ وهي الصيحة الشدّيدة والنداء، والنقر كمافي سوريس والصّافات والنّازعات وعبس وق والمدّثر.

ثمّ انّا لم نجد في كتاب اللّه تعالى ماينكشف به حقيقة الصّور و هو في اللّغة بمعنى القرن و صريح آية الزّمر: انّ النفخة نفختان: الاولى للصعقة والاماتة، والثّانية للاحياء والقيام لربّ العالمين.

وقوله سبحانه في سورة ق: يوم يسمعون الصيحة بالحقّ ذلك يوم الخروج يدّل بالمطابقة دلالة واضحة على انّهم يسمعون الصيحة المنادى بها للحضور، فيدّل بالالتزام البيّن على كونهم احياء فانّ غير الحيّ لايعقل ان يسمع وعليه فمعنى صيحة الصعقة للاماتة ليست بمعنى الاعدام المحض والافناء الصّرف وقدسبق ان

---

١ ـ النباء ١٨   ٢ ـ الزمر ٦٨

الامانة لهاوجهان باحدهما فقدان بالاضافة الى نشأة، وبالآخر وجدان و دخول في نشأة اخرى.

وروى عن مولانا ثامن الحجج علّي بن موسى الرّضا عليه السّلام عن آبائه عن اميرالمؤمنين عليه السّلام في قوله تعالى: لمن الملك انّه قال عليه السّلام ويقول اللّه عزّوجلّ: لمن الملك ؟ ثم تنطق ارواح انبياءه ورسله وحججه فيقولون: للّه الواحد القهّار. [1]

والحاصل انّ الكتاب والسّنة متوافقان في انّ الصّيحة والنفخة الاولى لاتعدم الاشياء، وماورد من لفظ البطلان والفناء كمافي خبر زنديق الذّى سأل الصّادق عليه السّلام عن مسائل الى ان قال: ايتلاشي الروح بعد خروجه عن قالبه ام هو باق؟ قال عليه السّلام بل هو باق الى وقت ينفخ في الصّور فعند ذلك تبطل الاشياء وتفنى فلاحسّ ولامحسوس ثمّ اعيدت الاشياء كمابدء ها مدبّرها و ذلك اربعمأة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين. [2]

وكذا غيره من الاخبار، فليس معنى هذا الفناء والبطلان

---

١ ـ نور الثقلّين ج ٤ ص ٥١٤

٢ ـ البحار ج ۶ ص ٣٣٥

المعدوميّة الصّرفة الاترى انّه عليه السّلام بعدما اخبر عن بطلان الاشياء وفنائها بالنفخة الاولى بقوله: عند ذلك تبطل الاشياء وتفنى اعقب ذلك بقوله: يسبت فيها الخق وذلك بين النّفختين، فانّه كالصّريح بل صريح في كونهم موجودين في تلك المدّة على حالة السبات.

ثمّ انّه تعالى قد استثنى في آية الفزع الظاهرة في النفخة الثانية وفي الفقرة الاولى من آية الصعقة الصّريحة في النفخة الاولى طائفة من عباده بقوله:

" الّا من شاء اللّه" فصريح الآيتين انّ هناك طائفة من عباده قدمّن اللّه عليهم واكرمهم بالامن من الفزع والصعقة ثمّ وصفهم بعد آية الفزع بقوله عزّوجلّ: من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسّيئه فكبّت وجوههم في النّار[1].

فالّذى يمكن ان يستظهر من هذا التوصيف اى مجيئه بالحسنة بقرينة مقابلتها بالسّيّئة المطلقة المستلزمة للكب والصّرع على وجوههم في النّار انّ هذه الحسنة هى الحسنه المطلقـــــه اى من جاء بالحسنه فقط ولم يجيي بشيئ من السّيّئات وخبائث

---

١ ــ النّحل ٨٩

الاعمال والعقائد والاخلاق فهو آمن من الفزع الاکبرو من جاء بالسّيئة المحضة ولم يخلطها بشيي من الصالحات فهو مكبوب ومصروع علي وجهه في النّار.

وبين الطائفتين فرقة اخرى هم الذّين خلطوا عملا " صالحا و آخر سيّئا " فاولئک مرجون لامراللّه وبالتّدبر فيما ذكر نظير انّ المحسن المحض هوالذّی لم يلبس ايمانه بظلم وشرک وضلال كما يفصح عنه قوله عزوجل: الذّی آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئک لهم الا من و هم مهتدون [۱]

فيستنتج من ذلک انّ هولاء الآمنين من الفزع هم الذّين لم يکن لابليس لعنه اللّه سلطان عليهم ولم يصل اغوائه اليهم فينطبقون علي المخلصين فی قوله تبارک وتعالي: فبعزّتک لاغوينّهم اجمعين الّا عبادک منهم المخلصين. [۲]

فالمخلصون هم المستثنون عن الفزع والصعقة بل عن الاحضار ايضا "كما ينص عليه قوله سبحانه: فانّهم لمحضرون الّا عباداللّه المخلصين [۳].

---

۱ ـ الانعام ۸۲ ۲ ـ ص ۸۳

۳ ـ الصّافات ۱۲۸

فهولاء الآمنون سلام اللّه عليهم كانوا في امن من اغواء ابليس ودعوته فانّ اغوا ئه انمّا يكون بالدعوة كما في قوله: وقال الشيطان لمـــا قضي الامرانّ اللّه وعدكم وعدالحقّ ووعدتكم فاخلفتكم ومالي عليكم من سلطان الّا ان دعوتكم فاستجبتم لي الي قوله ـ انّي كفرت بما اشركتمون من قبل انّ الظالمين لهم عذاب اليم.[1]

ويظهر من قوله: ـ اشركتمون ـ انّ اصل العصيان ومحتده هو نوع شرك فالمخلصون قد اخلصهم اللّه عزوجل عن مطلق الشرك فلا يرون لغير اللّه تعالى فعلا " ولاصفةً و لا ذاتا " وهذا هومقام الولاية المشار اليها في الحديث القدسي المروّى في الكافي: وانّه ليتقرب الىّ بالنوافل كما سبق ذكره في بعض الابحاث السالفة فتذكر.

روى في نور الثقلّين عن يونس بن ظبيان قال: قال الصّادق جعفربن محمّد عليهما السّلام: انّ النّاس يعبدون اللّه على ثلثة اوجه فطبقة يعبدونه رغبةً في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطّمع وآخرون يعبدونه فرقا " من النّار فتلك عبادة العبيد وهي الرّهبة ولكنّي اعبده حبّاً له فتلك عبادة الكرام وهو الامن لقوله تعالى:

---

١ ـ ابراهيم ٢٢

وهم من فزع يومئذ آمنون [1] ، ولقوله تعالى : قل ان كنتم تحبّون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه و يغفرلكم من ذنوبكم [2] ، فمن احبّ اللّه احبّه اللّه ومن احبّه اللّه كان من المؤمنين ـ في بعض النسخ من الآمنين ـ و هذامقام مكنون لايمسّه الّاالمطّهرون .

تاملّ في قوله عليه السلام : وهذا مقام مكنون لايمسّه الّا المطّهرون ، فاستنطق كتاب اللّه تعالى عن هولاء المطّهرين الذّين اذهب اللّه عنهم الرّجس وفي تفسير القمي والبرهان ونور الثّقلين في ذيل الآية عند تفسير الحسنة بالولاية روايات اخرى لايسعنا ذكرها ، والحاصل انّ بعد طيّ السماوات والارض وبلوغهما الى اجلهما وغشيان الفزع والصعقة بمن فيهما كان المخلصون المطّهرون في امن منها لايحزنهم الفزع الاكبر [3] فياله من مقام ما اعظمه واكرمه ؟ ! !

وقد ورد في روايات كثيره عن ائمّة اهل البيت عليهم السّلام انّ هولاء الآمنين هم على ع وشيعته فمنها مافي صحيح عليّ بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس

---

١ ــ النّحل ٨٩ ٢ ــ آل عمران ٣١

٣ ــ الانبياء ١٠٣

عن عمروبن شيبة قال قلت لابى جعفر ع: جعلنى اللّه فداک اذاكان يوم القيامة اين يكون رسول‌اللّه واميرالموءمنين‌وشيعته فقال‌ابوجعفر عليه السّلام: رسول‌اللّه‌وعلى وشيعته على‌كثبان من‌المسک الاذفر على منابر من نور يحزن‌النّاس ولايحزنون و يفزع النّاس ولايفزعون ثمّ تلاهذه الآية: من‌جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون فالحسنةوللّه ولاية على ثمّ قال: لايخرنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذايومكم الذّى كنتم توعدون [1] . ويقرب منه‌اخبار ارقام ۵ – ۱۵ – ۱۶ – ۱۸ – ۲۰-۷۳ من باب احوال المتّقين والمجرمين يوم القيامة من المجلد ۷ من‌البحار.

اقول: لعلّ المراد من شيعة علىّ عليه السّلام هم‌الائمّة المعصومون عليهم السّلام ولكن الظّاهر من‌الاخبار بعدالتّامل‌فيها وفيما يضاهيها انّ المقصود منها هوالشيعه بمعناهاالمتعارف المعهود فيكون دخول الشيعة فى‌الآمنين من باب اللّحوق المشاراليه فى قوله تعالى: الذّين آمنوا و ابتعتهم ذريّتهم بايمان الحقنابهم ذريّتهم . [2]

---

۱ – البحار ح ۷ص ۱۷۵ ۲ – الطور ۲۱

وتوضيح ذلك اجمالا": انّ كلّ رسول يدعوامّته الي موقفه الانسانيّ الذّى تمكن هو فيه، ولاريب في انّ موقف سيّدنارسول اللّه اشرف المواقف وارفعها فانّ مقامه هوالمقام المحمود الموعود في كتاب اللّه تعالى بقوله: عسى ان يبعثك ربّك مقاما محمودا "[1]، فمن اتبعه على ذلک وشايعه يلحق به و يتمكّن في مقامه وهو قول اللّه عزّاسمه: قل هذه سبيلى ادعوالى اللّه على بصيرة انا و من اتّبعني[2] حيث اسندالدعوة الى اللّه الى نفسه والى من اتّبعه فجعلهم شركاء الدعوة الى اللّه تعالى فافهم.

ومنه يـــظهر سرّماوردفي الاخبار من ان الشيعة يغبطهم النبيّون عليهم السّلام، فمنها ماعن مولاناابى جعفر ع قال: قال رسول اللّه ص: انّ عن يمين العرش قوما " وجوههم من نور على منابر من نور يغبطهم النبيّون ليسوابانبياء ولاشهداء، فقالوا يانبيّ اللّه وماز داد واهولاء في اللّه اذالم يكونوا انبياء ولاشهداء الاقرباً " من اللّه قال: اولئک شيعة علّي وعليّ امامهم[3].

واعلم انّه ورد في الرّوايات في كيفية نفخ الصّور امور، فمن

---

١ ــ الاسراء ٧٩ ٢ ــ يوسف ١٠٨

٣ ــ البحار ج ٧ ص ١٨٥

الرّوايات ماروواه القمّي في تفسير قوله تعالى: و نفخ في الصّور فصعق ، بسنده الصحّيح عن مولانا علّي بن الحسين عليهما السّلام انّه سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال عليه السّلام: ماشاءاللّه فقيل له فاخبرني يابن رسول اللّه كيف ينفخ فيه فقال عليه السّلام: اما النفخة الاولي فانّ اللّه يامراسرافيل فيهبط الي الدّنيا ومعه صور وللصور راء س واحد و طرفان، وبين طرف كلّ راس منهما مابين السّماء والارض قال: فاذاراءت الملائكة اسرافيل وقد هبط الي الدّنيا ومعه الصّور قالوا: قداذن اللّه في موت اهل الارض وفي موت اهل السّماء قال: فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدّس ويستقبل الكعبة فاذاراءوا اهل الارض قالوا اذن اللّه في موت اهل الارض قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصّوت من الطّرف الذّى يلي الارض فلايبقى في الارض ذوروح الّا صعق ومات ويخرج الصّوت من الطّرف الذّى يلي السّماوات فلايبقى في السّماوات ذو روح الّا صعق ومات الّا اسرافيل [1] قال فيقول اللّه: لاسرافيل مت فيموت اسرافيل فيمكثون في ذلك ماشاءاللّه، ثمّ يامراللّه السّماوات فتمور و يامرالجبال فتسير وهوقوله: يوم تمورالسماء

---

١ ــ البحار ح ٧ ص ١٨٥

مورا " فتسيرالجبال سيرا " ، يعنى تبسط وتبدّل الارض غيرالارض يعنى بارض لم يكتسب عليها الذّنوب ، بارزة عليها الجبال ولانبات كما دحاها اوّل مرّة و يعيد عرشه على الماء كماكان اوّل مرّة مستقلا " بعظمته وقدرته قال فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت جهوريّ يسمع اقطار السّماوات والارضين : لمن الملك اليوم واناقهرت الخلائق كلّهم وامتّهم ، انّي انا اللّه لااله الّا انا وحدى لاشريك لي ولا وزير واناخلقت خلقي بيدي وانا امتّهم بمشيّتي وانا احييهم بقدرتي ، قال فنفخ الجبار نفحة في الصور يخرج الصوت من احدالطرفين الّذى يلي السّماوات فلايبقى في السماوات احد الّا حيّ وقام كماكان و يعود حملة العرش و يحضر الجنّة والنّار ويحشر الخلائق للحساب قال ــ اى الراوى ــ فراءيت علي بن الحسين عليهما السّلام يبكي عند ذلك بكاءً شديدا ".

ثمّ يجب عليك ان لاتضطرب من اختلاف المجيب لقوله عزّاسمه "لمن الملك اليوم" حيث و ردفي الخبر المرّوى عن مولانا اميرالموءمنين عليه السّلام : انّه ارواح الانبياء والرّسل والحجج عليهم السّلام ، وفى هذا الخبر انّه تعالى نفسه وقدسبق بعض مايتعلق بهذاالمقام في مبحث اختلاف اسناد التّوفى تارة الى اللّه تعالى وتارة اخرى الى ملك الموت وثالثة الي غيره فتنبّه

الفصل الثّاني :

سقوط العلل والاسباب الظّاهريّة

سقوط العلل و الاسباب الظّاهريّة

و من مبادی قیام السّاعه سقوط العلل والاسباب الظّاهريّة مثل انتثار الكواكب بطّی بساط السّماوات والارض وبينهما وشأن الآيات القرآنيّة فی ذلک عجیب ، ونحن نذکر شطرا" منها و نقتصر علیه لانّ بیانها خارج عن طوق مثل هذاالعبد المبتلی باوهام الدّنیا و اباطیلها فدونک هذاالشطر من الآیات :

فمنها قوله تعالی : یوم تبدّل الارض غیر الارض والسّماوات وبرزوالله الواحد القهّار[1] ، ومنها : یسئلونک عن الجبال فقل ینسفها ربّي نسفا " فیذرها قاعا " صفصفا " لاتری فیها عوجا " و لاامتا "[2] منها : و اشرقت الارض بنورربّها[3] ، و منها : اذا رجّت الارض رجّا " و بسّت الجبال بسّا " فکانت هباء منبثا "[4] ، ومنها

---

١ ـ ابراهیم ۴٨   ٢ـ طه ١٠٧

٣ ـ الزمر ۶٩   ۴ـ الواقعه ۴ ـ ۶

وحملت الارض والجبال فدکّتا دکّة واحدة[1] و منها: یوم ترجف الارض والجبال وکانت الجبال کثیبا" مهیلا"[2]. و منها: و سیّرت الجبال فکانت سرابا"[3] و منها: یوم نطوی السّماء کطیّ السّجل للکتب کما بداٴنا اوّل خلق نعیده و عدا" علینا انّاکنّافا علین[4]، و منها: یوم تمورالسّماء مورا"[5]، ومنها: فاذا انشقّت السّماء فکانت وردة کالدهان[6]، ومنها: و فتحت السّماء فکانت ابوابا[7]، و منها: اذا السّماء انشقت الی قوله و اذا الارض مدّت[8] الی غیرها من الآیات الشریفة الناطقة بطیّ الاسباب الظاهرة.

ومن الرّوایات العجیبه الواردة من الفریقین فی تفسیر قوله: یوم تبدّل الارض غیر الارض: ما روی عن ابی جعفر الباقر علیه السلام فی تفسیر القرطبی وعلی بن ابراهیم القمّی من انّها تبدل خبزة یاکل النّاس منها. ففی تفسیر القرطبی قال جابر: ساٴلت ابا جعفر محمّدبن علی عن قول اللّه عزّوجلّ: یوم تبدّل الارض

---

1 ـ الحاقّه 14
2 ـ المزّمل 14
3 ـ النّباٴ 20
4 ـ الانبیاٴ 104
5 ـ الطّور 9
6 ـ الرّحمن 37
7 ـ النّباٴ 19
8 ـ الانشقاق 1

غير الارض قال: تبدل خبزة ياكل منها الخلق يوم القيامة ثمّ قرء وماجعلناهم جسدا " لا ياكلون الطّعام .

وفي تفسير القمّي بسند صحيح وكذا في روضة الكافي والاحتجاج انّ نافعاً مولاعمر سئل اباجعفر عن قول اللّه تبارک و تعالی : يوم تبدّل الارض غير الارض والسّماوات ، ایّ ارض تبدل فقال ابوجعفر عليه السلام : بخبزة بيضاء ياكلون منها حتى يفرغ اللّه من حساب الخلائق فقال نافع : انّهم عن الاكل لمشغولون؟ فقال ابوجعفر عليه السّلام : اهم حينئذ اشغل ام وهم في النار فقال نافع : وهم في النار قال فقد قال اللّه : ونادى اصحاب النّار اصحاب الجنّة ان افيضوا علينا من الماء اوممّا رزقكم اللّه ، ماشغلهم اليم عذاب النّار عن ان دعوا بالطعام فاطعموا الزقوم ودعوا بالشراب فسقوا الحميم فقال صدقت يابن رسول اللّه[1] .

ويقرب منه اخبار ۶ ـ ۲۱ ـ ۳۶ ـ ۳۷ ـ من باب صفة المحشر في المجلد ۷ من البحار الطبعة الحديثة .

اخرج البخاری ومسلم في الصحيحين عن ابي سعيد الخدری عن رسول اللّه صلّی اللهعليهوآلهانهقال : تكون الارض يوم القيامة

---

۱ ـ البحار ج ۷ ص ۱۰۰

خبزة واحدة يكفؤها الجبّار بيده كمايكفوء احدكم خبزته في السّفر اوفي السفرة ـ نزلا " لاهل الجنّةقال: فاتي رجل من اليهود فقال بارک الرّحمن علیک یااباالقاسم الااخبرک بنزل اهل الجنّة يوم القيامة قال: بلي قال: تكون الارض خبزة واحدة كما قال رسول اللّه ص قال فنظر الينا رسول اللّه ثمّ ضحک حتّي بدت نواجذه قال الااخبرک بادامهم قال بلي: قال ادامهم بآلام [1] ونون قالوا و ما هذاقال ثورونون ياكل من زائدة كبدهما سبعون الفا " [3]. وهناک روایات اخری للفریقین نقلها في البحار والدّرالمنثور و تفسیر الطبری والفتن والملاحم وغيرها .

---

١ ـ فی هامش صحيح مسلم : اما النّون فالحوت باتفاق ، وجواب اليهود يدل ان بآلام اسم للثور بالعبرانية ، زيادة الكبد القطعة المنفـردة المتعلّقة وهی اطيبه ولذا خصّ بها السبعون الفاً " ولعلّهم السبعون الذّين يدخلون الجنّة بغير حساب فافهم .

٣ ـ صحيح مسلم ج ٨ ص ١٢٨

الفصل الثّالث :

في انّ عند الله علم السّاعة

فی انّ عنداللّه علم السّاعة

قدتکرّر فی‌کتاب اللّه العزیز، انّ عنداللّه علم‌السّاعة و انّه الیه یرّد علمها فیستفاد منه انّ علمها مختّص باللّه تعالی ولیس لغیره مطمع فیه.

فمن الآیات الدّالة علیه قوله تعالی: الیه یرّد علم‌السّاعة و ماتخرج من ثمرات من اکمامها وما تحمل من انثی ولاتضع الّا بعلمه[1]. منها: یسئلک النّاس عن السّاعة قل انّما علمها عنداللّه[2] ومنها: انّ اللّه عنده علم‌السّاعة[3]. منها: یسئلونک عن‌السّاعة ایّان مرساها قل انّما علمها عندربّی لایجلی ها لوقتها الّا هو ثقلت فی‌السّماوات والارض‌لاتاتیکم الّابغتة یساءلونک کانّک حفیّ عنها قل انّماعلمها عنداللّه ولکن اکثر النّاس لایعلمون.[4]

---

۱ ــ حم السجده ۴۷
۲ ــ الاحزاب ۶۳
۳ ــ لقمان ۳۴
۴ ــ الاعراف ۱۸۷

قال شيخنا العلّامة: قوله تعالى لايجليها لوقتها الّاهو، اي لايظهرها ولايكشف عنها في وقتها وعند وقوعها الّا الله سبحانه، ويدّل ذلک على ان ثبوتها و وجودها والعلم بها واحد ــ لمكان يسئلونک عن السّاعة ــ اى انها محفوظة في مكمن الغيب عند الله تعالى يكشف عنها و يظهرها متى شاء من غير ان يحيط بها غيره سبحانه او ان يظهر شيئ من الاشياء وكيف يمكن ان يحيط بها شيئ من الاشياء اوتنكشف عنده، وتحقّقها وظهورها يلازم فناء الاشياء ولاشيئ منها يسعه ان يحيط لفناء نفسه ويظهر له فناء ذاته، و النّظام السّببى الحاكم في الكون يتبدل عند وقوعها وهذا العلم الّذى يصحبها من هذا النّظام، ومن هنا يظهر انّ المراد بقوله: ثقلت في السّماوات والارض، ثقل علمها و هو بعينه ثقل وجودها او ثقل صفتها على اهل السّماوات والارض لما فيها من الشدّائد او ثقل وقوعها عليهم لما فيها من انطواء السّماوات وانتثار الكواكب واجتماع الشّمس والقمر و تسيير الجبال ومن ذلک يظهر ايضا " وجه قوله: لاتاتيكم الّا بغتة فانّ البغتة والفجاء ظهور الشّيئ من غير ان يعلم به قبل ظهوره، والسّاعة لثقلها لايظهر وصف من اوصافها ولاجزء من اجزائها قبل ظهورها التام ولذلک كان ظهورها لجميع الاشياء بغتة.[1]

---

١ ــ الميزان ج ٨ ص ٣٨٦

وقال روحى فداه: في تفسير قوله تعالى: وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الّاهو[1]: انّ قوله تعالى: لايعلمها الّاهو مسوق لبيان انحصار العلم بالغيب فيه تعالى، لانّ خرائن الغيب لايمكن لغيره تعالى العلم بها، فصدر الآية يتعرّض للغيوب التى هى واقعة في خزائن الغيب تحت استار الخفاء واقفال الابهام و قد ذكر اللّه سبحانه في قوله: وان من شيى الّاعند ناخزائنه وما ننّزله الابقدر معلوم[2]: انّ التّي في خزائن الغيب عنده من الاشياء امور لايحيط بها الحدود المشهودة في الاشياء ولايحصرها الاقدار المعهودة، ولاشكّ انّها انما صارت غيوبا" مخزونة لمافيها من صفة الخروج عن حكم الحدّوالقدر، فانّالا نحيط علما" الّابماهو مقدر محدود واماّالتّي في خزائن الغيب من الاشياء فهي قبل النزول في منزل الشهود والهبوط الى مهبط الحدّ والقدر غير محدودة مقدرة ولعلّ هناك اشياء آخر مذخورة مخزونه لاتسانخ ماعندنا من الامور الزمانيّة المشهودة ولنسّم هذاالنوع من الغيب بالغيب المطلق[3]

والغرض من نقل كلامه مدّظله هوالايماء الى لميّة اختصاص

---

١ ــ الانعام ٥٩ ٢ ــ الحجر ٢١

٣ ــ الميزان ج ٧ ص ١٢٧

علم السّاعه باللّه تعالى وان المحبوسين في سبحن الاقدار والحدود والهابطين الى ارض النزّول والشهود لايتأتى لهم العلم بالسّاعة الّا كعلم الملائكة بالالوان فكما انّ مدركات البصر غيب على حاسّة الشّم مثلا "، والبديهيّات الاوليّة العقليّة غيب على الحواسّ كلّها فكذلك امرالسّاعة غيب على العقول البشّرية فلايتصوّر ان يحيط بها احد مادام في هذاالسّجن ولم يتخلّص بعد عن حبال الاوهام واغلال الخيال.

واما قول الجاحدين" " ايّان مرساها ، و نحو ذلك فهونظير سئوال الملائكة ـ اذاوصفت له المبصر ـ انّه كيف يشّم او كيف يسمع؟ ومنه تعلم انّ من رجع الى اللّه و تمكّن عنده سبحانه و تعالى يمكنه العلم بالسّاعة، ولكنّه مادام في الدّنيا و لمّا ينتثر الكواكب و تتكور الشّمس ويطوبساط الحجب والاسباب الظاهرة فلايمكنه العلم بها فبعدطيّ هذه الامور يصيرالغيب شهودا " و تبرزالجحيم وهوقوله تعالى: فاذا جاءت الطّامّة الكبرى ـ الى قوله ـ و برزّت الجحيم لمن يرى [1] ، في سورة النازعات وغيره من الآيات الشريفة الّتي تبين انّ بروز الجحيم وبالجملة النشأة الآخرة مشروطة

---

١ ـ النّازعات ٣٤ ـ ٣٦

باندكاك الارض وانشقاق السّماء و نسف الجبال وانتثار الكواكب و غيرها من اشراط السّاعة و مع ذلک كلّه فقد صرّح القرآن الكريم فی سورة التكاثر بانّ منَ اوتی علم اليقين فانّه ليری الجحيم: كلّا لوتعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثمّ لترونّها عين اليقين فانّ ظاهره انّ من يعلم علم‌اليقين يری الجحيم فی هذه النشأة لانّه قد تخلّص عن الحجب الظاهرة و انكشف لهم الملكوت كمافی قوله تعالی: و كذلک نری ابراهيم ملكوت السّماوات والارض وليكون من الموقنين.[1]

وماورد من روايات المعراج من شهوده صلوات اللّه‌عليه وآله الجنّة والنّار وغيرهما من امورالنشأة الآخر، يؤيّد بل يدّل عليه و كذا يؤيّد ذلک ماورد فی‌مقامات آل البيت عليهم السّلام من الاخبار البالغة فوق التّواتر فی تفسير الآيات وغيرها.

فمنها ما تكرّر من ان حساب الخلايق يوم‌القيامة بايديهم كمافی امالی الشيخ باسناده الی عبداللّه بن سنان عن ابی عبداللّه عليه السّلام قال: اذاكان يوم‌القيامة وكلّنااللّه بحساب شيعتنا فما كان للّه سألنااللّه ان يهبه فهولهم، وماكان لنافهولهم ثمّ

---

۱ – الانعام ۷۵

قرء ابوعبدالله: انّ الینا ایابهم ثمّ انّ علینا حسابهم [١]

وعن روضة الکافي عن سماعة: قال کنت قاعدا " معابی الحسن الاوّل علیه السّلام والنّاس فی‌الطواف في جوف اللّیل فقال لي: یاسماعة الینا ایاب هذاالخلق وعلینا حسابهم ، ومثلهما اخبار ١ ـ ٣ ـ ۴ ـ ۵ ـ ٧ ـ ٨ المروّیة في ج ۴ من تفسیر البرهان ص ۴۵۵ و اخبار ۴٧ و ۴٨ في ج ٧ من البحارص ٢٧۴ والخبر ١٩ ج ٧ ص ٢۶۴ والخبر ۵۴ ص ۵٠ من ج ٨ من البحار من الطبع الحدیث:

ویفصح عن ذلک کلّه قوله ۴ فی‌الجامعة الکبیره: وایاب الخلق الیکم وقد اسلفنا بعض الکلام عند البحث عن کونهم علیهم السّلام هم الشهداء علی‌النّاس واز یدک هنابیان بعض الآیات المربوطة بالمقام فنقول:

منها قوله تعالی: واذ قال‌ربّک للملائکة انّی جاعل فی‌الارض خلیفه قالواتجعل فیها من یفسد فیها و یسفک الدماء ونحن نسبح بحمدک ونقدّس‌لک قال انّی اعلم مالاتعلمون وعلّم آدم الاسماء کلّهاثم عرضهم علی الملائکة فقال انبئوني‌باسماء هولاء ان کنتم

١ـ نورالثقلین ج ۵ ص ٣۶٨

صادقین قالوا سبحانک لاعلم لنا الاّ ماعلّمتنا انّک انت العلیم الحکیم، قال یاآدم انبئهم باسمائهم فلمّا انباءهم باسمائهم قال الم اقل لکم انّی اعلم غیب السّماوات والارض واعلم ماتبدون وماکنتم تکتمون [۱].

انّ بالتّأمل الصّادق فی تلک الآیات الاربع تطمئنّ النّفس الی انّ الغرض منها ابانة منزلة الخلافة الالهیّة ومایلازمها من العلم الشهودی بالاسماء کلّها وانّ هذاالعلم هی الحیثیّة التقییدیة فی صدق الخلافة الالهیّة وانّ تلک الاسماء هی غیب السّماوات والارض فیکون غیب السّماوات والارض مشهودا " للخلیفة و معلوما " له لابالعلم الصّوری الارتسامی کمافی علمنا بالمسمّیات من طرق اسماءها الموضوعة وتوضیح ذلک:

انّ قوله تعالی: انّی جاعل فی الارض خلیفةً یدلّ دلالة واضحة علی انّ المستخلف هواللّه تعالی فالمجعول هو خلیفة اللّه عزّوجلّ، ثمّ المراد من الخلیفة لیس خصوص آدم علیه السّلام لمکان قوله: من یفسد فیها و یسفک الدماء، فان آدم علیه السّلام لم یکن من شأنه الافساد فی الارض وسفک الدماء فیها، والافساد وسفک

---

۱ ــ البقرة ۳۳ ــ ۳۰

الدّماء من لوازم الحیاة الاجتماعیّة و شئون المدنیّة فیستظهر منه انّ الملائکة علیهم السّلام علموا من قوله: فی الارض خلیفة مجعولیّة النّوع الانسانی فی الارض، القائم حیاتهم علی التّعاون والتّنازع المستلزمین للافساد والسفک فابدوا مافی انفسهم من انّ لازم جعل الخلیفة فی الارض هوالافساد والسّفک، وانّهم یعنی الملائکة مظاهر للسبوحیّة والحمد و التّقدیس له تعالی من غیر لزوم شیی من الافساد و السفک فناجابهم اللّه عزّاسمه بقوله: انّی اعلم مالا تعلمون ای انّ هنا امرا " مغیبا "عنهم وسرّا " مستترا " وهومشهود له تعالی سیخصّ به خلیفته ولیس فی مکنة الملائکة تحمّله.

وقوله تعالی: " علّم آدم الاسماء کلّها " نص صریح فی انّ آدم ــ و هو نموذ ج الخلیفة ــ معلّم بجمیع الاسماء بتعلیم منه تعالی وانّ علمه بها لم یکن من سنخ العلوم الحصولیّة والّا لم یکن له مزیة علی الملائکة لانّهم بعد التّنبّاء بالاسماء من قبل آدم کانوا معه سواسیّة لوکان العلم حصولیّا " مع انّ الآیة تصرح بانّهم بعد الانباء علموا برفعة شأن الخلیفة وقصور انفسهم و انّ تحمّل هذا العلم لم یکن فی طوقهم وانّما کان فی مقدرتهم تحمّل الانباء بالاسماء لاتعلّمها فقوله: الم اقل لکم انّی اعلم غیب السّماوات والارض تفصیل ما اجمل فی قوله: انّی اعلم مالاتعلمون

و تفسير له وهو ينطبق على الاسماء لانّها هي الّتي لاتعلمها الملائكة ثمّ انّ قوله سبحانه: ثمّ عرضهم على الملائكة ـ الى قوله ـ ان كنتم صادقين يدّل على انّهم ادّعوا بقولهم: نحن نسبّح، خلافة اللّه المطلقه مع انّ هذه الدعوى منهم غير صادقة لانّ من لوازم صدقها هو علم المدّعي لها بالاسماء كلّها.

فملخّص الكلام انّ خليفة اللّه هو المتحقّق بهذا الغيب المعبّر عنه بالاسماء وقوله سبحانه: باسماء هولاء يدّل على كون تلك الاسماء احياء عقلاء وهنا روايات نشير الى بعض مااستفدناه من الآيات.

فمنها مارواه صدوق الطائفة في اكمال الدين مسندا " الى الصّادق عليه السّلام: انّ الله تبارک وتعالى علّم آدم ع اسماء حجج اللّه كلها ثمّ عرضهم ـ و هو ارواح ـ على الملائكة فقال: انبئوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين بانّكم احقّ بالخلافة في الارض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم. قالوا سبحانک لاعلم لنا الّا ماعلّمتنا انّک انت العليم الحكيم، قال اللّه تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم فلمّا انبأهم، بها و قفوا على عظيم منزلتهم عند اللّه تعالى ذكره فعلموا انّهم احقّ بان يكونوا خلفاء اللّه في ارضه و حججه على بريّته ثمّ غيّبهم عن ابصارهم.

اقول: قد علمت انّ نفس الآية دلّت على انّ تلك الاسماء

كانوا احياء اولي العلم لمكان قواه" عرضهم" و قوله: " هولاء " وخبر الصدوق هذا كماتراه بصدد تفسير تلك الاسماء وانّها هي ارواح حجج اللّه كلّها .

وماوردفي الرّوايات من تفسير الاسماء بالارضين والجبال و الاودية والفجاج لاينافي لهذاالخبر لانّ ظاهر الخبر هوكون الحجج اصلا " و عمادا " للاشياء وانّ العلم بهااى باسماء الحجج هوالعلم بتلك الاشياء على الوجه الملكوتي الذّى تكون به احياء ذوى العقول، و يفسّر ذلك بعض التفسير ماورد من الرّوايات في خلقة انوارهم عليهم السّلام وانّها اوّل ماخلق اللّه وانّ من انوارهم خلق كلّ خير وهي كثيره جدا " نذكر بعضها تيمّنا " و نشيرالى ارقام بعضها الآخر لضيق المجال .

فمنها مافي خبر انس عن رسول اللّه في خبر طويل قال فيه: خلقنا اللّه نحن حيث لاسماء مبنيّة ولاارض مدحيّة و لاعرش و لاجنّة ولانار كنّا نسبّحه ونقدّسه حين لاتقديس فلما اراد اللّه بدء الصنعة فتق نورى فخلق منه العرش فنورالعرش من نوري و نوري من نوراللّه و اناافضل من العرش.

ثم فتق نور ابن ابيطالب فخلق منه الملائكة فنورالملائكه من نور ابن ابيطالب و نور ابن ابيطالب من نوراللّه ونورابن

ابيطالب افضل من الملائكة، و فتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق منه السماوات والارض وفاطمه افضل من السماوات والارض، ثمّ فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور اللّه والحسن افضل من الشمس والقمر ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنه والحور العين فنور الجنه والحور العين من نور الحسين ونور الحسين من نور اللّه والحسين افضل من الجنه والحور العين الى آخر الروايه وهي طويله[1] .

ومنها خبر جابر بن عبداللّه: قلت لرسول اللّه: اولّ شيئي خلقه اللّه ماهو؟ فقال نور نبيّك ياجابر، خلقه اللّه وخلق منه كلّ خير ثمّ اقامه بين يديه في مقام القرب ماشاءاللّه ثمّ جعله اقساما"، فخلق العرش من قسم والكرسّي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسّي من قسم، واقامه القسم الرّابع في مقام الحبّ الى ان قال ص فرشح ذلك النّور و قطرت منه ماة الف واربعة وعشرون الف قطرة، فخلق اللّه من كل قطرة روح نبّي و رسول.[2]

وقريب منه الخبر ٣٨ وفيه" فنحن الاوّل و نحن الآخرون" و مثله الخبر ٣٩ ــ ٤٠ الى ٤٥ قال المجلسي في ذيل الخبر

---

١ ــ البحار ج ٢٥ ص ٢٢ ٢ ــ الاسراء ٨٨

٤٥ : الاختلافات الواردة في ازمنة سبق الانوار يمكن حملها على اختلاف معاني الخلق ومراتب ظهوراتهم في العوالم المختلفة مع انّه قد يطلق العدد ويراد به الكثرة لا خصوص العدد .

ويقرب من خبر الجابر الخبر المروّى عن مولانا الرّضا ع في العيون عن آبائه عن مولانا اميرالموٴمنين عليهم السّلام وهو طويل ايضا " قال ص : يا علي لولا نحن ما خلق آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النّار ، وهذا الخبر هو الذّى شرحه الآية العظمى والحجّة الكبرى الخشن في اللّه خليل الرحمن في عصره وروح اللّه في دهره سيدنا العلاّمة الامام الخميني في كتابه مصباح الهداية الى الخلافة والولاية بلسان اهل المعرفة فقرّر الولايه التكوينية احسن تقرير فللّه درّه وعلى مواليه اجره . و نظير تلك الاخبار ارقام ١ ـ ٤ ـ الى ١٤ و ١٩ و ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٩ ـ الى ٤٨ في ج ١٥ ص ٤ الى ص ٢٥ من كتاب البحار من الطبعة الحديثة جزا اللّه تعالى مصنّفه وجميع علمائنا عن آل البيت احسن الجزاء .

ان قلت : لم لم يستنبأ " اللّه سبحانه الملائكة عن الاسماء قبل تعليمه الآدم ايّاها فلم اخّر الاستنباء بعد التّعليم وما السّر في ذلك ؟

قلت : ولعلّ الوجه في ذلك انّ انباء الملائكة للاسماء من

شأن الخليفة وتنباءهم بها لايكاد يتحقّق الّابوساطة خليفة اللّه، فالاستنباء قبل واسطة الفيض لم يكن في محلّه، فللخليفة بالنّسبة الى الملائكة مقام انباء ونبّوةوبظنّي انّه الى هذاالمقام اشيرفي اخبار ائمّة اهل البيت عليهم السّلام: سبحنا لتعلم الملائكة اناخلق مخلوقون وانّه منزه عن صفاتنا فسبّحت الملائكة بعدقوله ص: فكيف لاتكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربّنا وتسبيحه و تقديسه و تهليله كمافي الخبرالمرّوى عن الرضا عليه السّلام فراجع الى الخبر وتدبّر فيه.

ان قلت اليس من المبرهن عليه في محلّه انّ الموجود التّام الفعليته ليس له حالة منتظره في تلّقى الكمال وانّ المجردات موجودات نورّية لايتخلل الجعل بين وجوداتها و كمالاتها، بل كلّ ما يمكن لها بالامكان العّام يكون لهاواجب التحقّق، والحصول من الجواد المطلق وانّما الاستكمال التدريجّي والجهل التركيبي في عالم القوّة والاستعداد، و قدقّرر ان الملائكة من المجردات و ذلک ينافي حديث الانباء لانّه لاريب فيانّهم بعد ماانبأهم آدم بالاسماء صارواالكمل ممّاكانوا عليه من قبل ومنهينقدح حال روايات سبق الانوار القائلة بانّهم عليهم السّلام علّمواالملائكة؟

قلت: انّ سبق آدم ع الى معرفة هولاء الاسماء وتعلّمهالم

يكن بالّسبق الزمانيّ بل هذا سبق آخر فلنسّم سبقاوجوديّاً فانّ ذلك العالم كان قبل الهبوط والنزّول وهومنزّه عن الزّمان الملازم للقوّة والحركة، كماانّ سبق تلك الانوار كان كذلك ايضا " فما يترائى في الآيه والروايات من التّعاقب والترتيب فانّماهو بيان للتّعاقب المناسب لذلك العالم وقدابى اللّه تعالى ان يجرى الامور الّاباسبابها ، فالفيض منه سبحانه لاينصبغ صبغا " تفصيليّا " الّابعد مروره على الوسائط الغيبية وعبوره من ابوابه وقدقال ص انامدينة العلم وعلّي بابها فافهم .

ومن الآيات المناسبه للمقام قوله تعالى : في آخر سورة الرعد : ويقول الذين كفروالست مرسلا " قل كفي باللّه شهيدا " بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب .

هذه السورة المكيّة شانها شأن سائرالسور المكية من نقل شبهات اهل الجحود والعناد وتعاميهم عن الآيات الواضحة والحجج الساطعة واقتراحهم على رسول اللّه حجّة اخرى وقد لقّن اللّه تعالى نبيّه الاكرم ص الجواب عن مثل هذاالتعامي العنيد والاقتراح اللديد، تارة على سبيل التبكيت بالتّحدى والتّعجيز مثل قوله تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان ياتوا بمثل هذاالقرآن[1] ، واخرى على طريق التسلية للنبّي ص و الايعاد

١ ــ الاسراء ٨٨

والتحقير للحضم مثل مانحن فيه من الآية: قل كفى باللّه يعني ان اجهاركم بالتّكذيب والجحد لاقيمةله في سوق الحقيقة ولاوزن له في القسطاس المستقيم لانّ اللّه الذّى هواكبر الشّهود وكفى به وحده شهيدا " قد شهد على رسالتي بمثل قوله: انّك لمن المرسلين فتلك شهادة لايضّرمعها جحودهولاء الكفّار بل من في الارض جميعا " وكذاتبعت شهادة اللّه شهادة من عنده علم الكتاب على رسالتي فكفى بهما شهودا ".

اقول: اذا تدّبرت فيه حقّ التدّبر يتبين لک رفعة شأن من عنده علم الكتاب ـ حيث انّه تعالى وصف شهادة هذاالذّى عنده علم الكتاب بالكفاية على حدّماوصف شهادة نفسه بها ، و قرن شهادته هذا بشهادته تعالى ، فكفى بمثل هذاالوصف والاقترآن فضلا " وكرامةومن المعلوم منشاء هذاالكرامةوالجلالة هوالتحقّق بعلم الكتاب ، فكون هذاالعلم عندههوالسّبب الوحيد لمثل هذا التجليل المغبوطوالفضل المحسود عليه فما اجلّ هذاالعلم و ما ارفعهوقد فسّره سبحانه وتعالى وكشف بعض القناع بقوله ،قال الذّى عنده علم من الكتاب [1] اناآتيک به قبل ان يرتدّاليک طرفک [2]

---

١ ـ اقول : هذاالولّى هوآصف بن برخياوصّى سيلمان بن داود

حيث اسند مثل هذاالخرق العجيب ای اتیان عرش بلقيس من سبا قبل ردّالطّرف الى من عنده لمعة من هذاالعلم فاذاكان

دنباله پاورقی از صفحه قبل

كما فی بعض الآثار، حكی شيخنا لعلاّمةالامينی قدّس سرهفی الغدير ج٥ص١۴ ان الخليفة المستنصرالعبّاسی خرج يوما " الى زيارة قبر سلمان الفارسي و معهالسّيد عزالدين الاقساسی فقال له الخليفة فی الطريق . انّ من الاكاذيب مايرويه غلاةالشيعه من بمجیء علی عليهالسّلام من المدينهالی المدائن لماتوّفی سلمان و تغسيله اياّه ومراجعته فی ليلتهالی المدينة فاجابه ابن الاقساسی بالبديهة:

انكرت ليلة اذا صار الوصیّ الـی	ارض المدائن لمّاان لها طلبـا
وغسّل الطهرسلمانا و عاد الـى	عراص يثرب والاصباح ما و جبـا
و قلت ذلک من قول الغلاة و مـا	ذنب الغلاة اذالم يوردواكذبـا
فآصف قبل ردّالطرف من سبـاء	بعرش بلقيس وافی يخرق الحجبا
فانت فی آصف لم تقل فيه بلـى	فی حيدرانا غال انّ ذاعجبـا
ان كان احمد خيرالمرسلين فـذا	خيرالوصيّين اوكلّ الحديث هبا

٢ ـ النمل ۴٥

***

هذا شأن من عنده حظّ من علم الكتاب ، فما ظنّك بمن عنده علم الكتاب كلّه ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو فضل عظيم .

ومن هنا يتضح انّ هذا الشاهد لمكان اتّصاف شهادته بالكفاية واقترانها بشهادة اللّه عزّوجلّ ، واتّسامه بمثل هذا العلم يابى نفسه ان ينطبق على قوله تعالى : وشهد شاهد من بني اسرائيل[1] اوعلى مثل قوله : اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل[2] المفسّر في بعض الآثار بعلماء اهل الكتاب مثل عبداللّه بن سلام واضرابه وممّا ذكر نا ينقدح ما في بعض الآثار الموقوفة للقوم من الخلط بين علماء اهل الكتاب وبين من عنده علم الكتاب زعما " منهم اتحادهما ثمّ التطبيق على ابن سلام ونحوه وهذه المغالطة نشأت من التشابه في اللفظ ولعلّهم كادوا يفعلون ذلك ايضا في قوله تعالى : وقال الذّى عنده علم من الكتاب ، لولا وقوع هذه الآيه في سياق قصة سيّدنا سليمان وقد ورد في تفسير " من عنده علم الكتاب " باميرالمؤمنين عليه السّلام في الفريقين روايات كثيره جدّا " جمعها في غاية المرام و نحن نذكرهنا رواية واحدة مرويّة في اصول الكافي ومن اراد البسط فليراجع الى غاية المرام .

---

١ ــ الاحقاف ١٠   ٢ ــ الشعراء ١٩٧

ففی الکافی الشریف عن سدیر قال: کنت اناوابو بصیرویحیی البزّاز و داودبن کثیر فی مجلس ابی عبداللّه علیه السّلام اذ خرج علینا وهو مغضب فلما اخذ مجلسه قال یاعجبا" للاقوام یزعمون انّا نعلم الغیب ومایعلم الغیب الّا اللّه عزّوجل، لقد هممت بضرب جاریتی فلانة فهربت منّی فماعلمت فی ایّ بیوت الدارهی؟ قال سدیر: فلما ان قام من مجلسه وصارفی منزله خلت اناو ابوبصیر و میسر وقلناله: جعلنافداک سمعناک وانت تقول کذا و کذا فی امرجا ریتک ونحن نعلم انّک تعلم علما" کثیرا" ولا ننسبکالی علم الغیب قال: فقال یاسدیرالم تقرءالقرآن؟ قلت بلی قال: فهل وجدت فیماقرأت من کتاب اللّه عزّوجلّ: قال الّذی عنده علم من الکتاب اناآتیکبه قبل ان یرتدّ طرفک قال: قلت: جعلت فداک قدقرأته قال: فهل عرفت الرّجل؟ وهل علمت ماکان عنده من علم الکتاب؟ قال قلت اخبرنی به قال: قدرقطرة من الماء فی البحر الاخضر فمایکون ذلک من علم الکتاب قال قلت جعلت فداک ماقلّ هذا قال یا سدیر ماا کثر هذا ان ینسبه اللّه عزوجل الی العلم الذی اخبرک به یاسدیر فهل وجدت فیماقرأت من کتاب اللّه عزّوجلّ ایضا": قل کفی باللّه شهیدا" بینی وبینکم ومن عنده علم الکتاب قال: قلت: قدقرأئه جعلت

فداک، قال افمن عنده علم الکتاب کلّه افهم ام من عنده علم الکتاب بعضه؟ قلت لابل من عنده علم الکتاب کلّه قال فاومی بیده الی صدره وقال: علم الکتاب واللّه کلّه عندنا، علم الکتاب واللّه کلّه عندنا. [1]

وفیه ایضا "بسند صحیح عن بریدبن معاویة قال: قلت لابی جعفر علیه السلام: قل کفی باللّه شهیدا" الی قوله: ومن عنده علم الکتاب قال علیه السّلام: ایّا ناعنی وعلّی اوّلنا وافضلنا و خیر نابعد النّبي صلّی اللّه علیه وآله. [2]

ومثله صحیح علی بن ابراهیم فی تفسیره عن الصّادق ع قال: الّذی عنده علم الکتاب امیرالمؤمنین علیه السّلام وسئل عن الّذی عنده علم من الکتاب اعلم ام الّذی عنده علم الکتاب فقال: ماکان علم الّذی عنده علم من الکتاب عند الّذی عنده علم الکتاب الّابقدر ما تاءخذ البعوضة بجناحیها من ماء البحر وقال امیرالمؤمنین صلوات اله علیه: الا انّ العلم الّذی هبط به آدم من السماء الی الارض وجمیع مافضلت به النبیون الی خاتم النبیین فی عترة خاتم النبیّین. [3]

---

١ ـ ٢ الکافی ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٢٩ ٣ ـ تفسیر القمی ج ٢ ص ١٦٠

اقول: خبرسدير هذامن غرز الاخبار و مفتاح يفتح به ما اغلق من الرّوايات النافية عنهم العلم بالمغيبات وبمثل هذاالخبر يمكن الجمع فيمايترائى من التّنافي بين الرّوايات في هذاالموضوع.

ان قلت: انّالناظر في تلك الاخبار الكثيرة المتكاثرة بل البالغة فوق التّواتر الواردة في علوم ائمّة اهل البيت وانّهم عليهم السّلام يعلمون كلّ شيئي، لوخلّي ونفسه يستيقن منها انّهم عليهم السّلام يعلمون ماكان وسيكون بل كلّ ماكان من وراء الحجب والاستار، ولايجدفي شيي من البراهين العقلية مايمنع ذلك ويلحقه بالممتنعات، بل امكان الاطلّاع على الغيب ممّا قدبرهن عليه الشيخ في اواخر الاشارات ، وماوردفي القرآن المجيد من نفي العلم بالغيب عن رسول اللّه ص بمثل قوله: ولوكنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير (٢) وقوله: وما ادري مايفعل بي ولابكم (٣) فمعناه انّه ص لايعلمه من قبل نفسه بغير تعليمه تعالى ايّاه بوحي اوالهام، كما انّاتيانه صلوات اللّه عليه بالمعجزات الباهرات لم يكن عن قدرة ذاتيّة له بل كل ذلك ممّاآتاه اللّه تعالى واقدره، والقرآن قد صرّح في غير موضع بانكشاف انباء الغيب بالوحي كقوله تعالى:

---

١ ــ الاعراف ١٨٨   ٢ ــ الاحقاف ٩

ذلک من انباء الغيب نوحيه اليک [١]، وباظهار الغيب على من ارتضى من رسول و هوقول اللّه عزّوجلّ: عالم الغيب فلايظهر على غيبه احدا "، الّامن ارتضى من رسول [٢] و هذاكلّه ممّالااشكال فيه.

انمّا الاشكال في انّ المحكّي الثّابت من سيرتهم انّهم كانوا يعيشون في طول اعمارهم على مستوى عيشة ساير النّاس وكانت لهم علاقات بمن حولهم، فيستمدّون من النّاس في معايشهم فيستعلمونهم الاخبار ويشاورونهم في الامور ويعتمدون على الاسباب الظاهرّية والطّرق العاديّة الّتي ربمّا اخطات فخاب مسعاهم، فهذا رسول اللّه صلّى اللهعليهوآلهقدتواترت الآثار على انّه كان يعتبر الاسباب العادية فقدكان يجمع الاصحاب ويساءلهم عن احسن وجه يعبأ به الجيش فيتحرّى آرائهم ثمّ يتبع احسنها، وقدكان يهيّئى كتابه على وجهفيأتي بعض الاصحاب فيقول له: اوحي هذا امرأى فاذا قال رأى كان يقول الصحابيّ غير هذاالوجه اولى، فيتّبع رأيه الاصوب واستصواب راى سلمان الفارسى في حفر الخندق مشهور،.

---

١ ـ آل عمران ۴۴ ٢ ـ الجّن ١٧

وقدسّم صلى الله عليه وآله في خيبر بتناول ذراع الشّاة المصلّية المسمومة التّي اهدت له زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم اليهودى حتّى قال في مرضه: الذّى توفّي فيه: انّ هذا الاوان وجدت فيه انقطاع ابهرى (١) من الاكلة الّتي اكلت بخيبر.

وهكذا الائمّة الطّاهرة من عترته ص فانّهم قد اصيبوا بمصائب لو علموبها قبل وقوعها، لكانوا من الذّين يلقون انفسهم بايديهم الى التّهلكة، ايظّن بعاقل انّه يعلم انّ سوق جيشه الى عدوّه في صفّين مثلا" ينتج خيبة مولمة وانّ عدّوه العنيد سيبقى ملكه العضوض وهو معذلك يبذل غاية جهده في حربه ويضحي في ذلك اخلص اصحابه وابّراهلبيته من ولده واخوانه وبني اخوانه واعمامه فضلا" عن سيّد العقلاء الموحدّين اميرالموءمنين عليه السّلام واولاده المعصومين عليهم السّلام، افيظّن به عليه السّلام انّه كان يعلم بانه سيفتك به المرادي لعنه اللّه ومعذلك يوقظه عن منامه ويقول له كيت وكيت كما في بعض الآثار وهو الذّى كان يفّر من الاستظلال بجدار يريدان ينقض كما في غير واحد من الاخبار.

---

١ ـ الابهر. عرق اذا انقطع مات صاحبه

قلت: انّ انحلال هذه المشكلة وانفكاك هذه المعقدة يبتني على تذكّر اصول مبرهن عليها في موضعه.

منها انّ نظام كيان الامكان بما انّه ليس للمكن اقتضاء ذاتيّ فما لم يجب لم يوجد بقضّه وقضيضه لابدّ وان ينتهي الى الواجب بالذّات على الترتيب العلّي والمعلولّي وانّ اوّل ماخلقه اللّه تعالى حسب مايؤدّى اليه البرهان وصريح الرّوايات واشارة القرآن (١) حقيقة بسيطة روحانيّة المعبّر في بعض الرّوايات بنور نبينا صلى اللّه عليه وآله تارة كما سبق في رواية جابر وبالعقل تارة اخرى وبالقلم ثالثة فهي ظهور مشيّة اليه التّي بها خلق الاشياء و خلقها بلاواسطة كمافي الخبر قال ابوعبداللّه عليه السّلام: خلق اللّه المشيّة قبل الاشياء ثم خلق الاشياء بالمشيّة، وفي خبر آخر: خلق اللّه المشية بنفسها ثمّ خلق الاشياء بالمشيّة [٢].

وعليه فتلك الحقيقة بوحدتها جامعة لكلّ كمال وجمال وبها تمّ القضاء الالهيّ فجميع الموجودات الواقعة دونها فهي حاضرة بهويّاتها واعيانها عندتلك الحقيقة التّي هي عين الرّبط بالواجب القيّوم

---

١ ـ قوله سبحانه. وان من شيئي الاعندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم وقوله تعالى. وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الّا هو ه فافهم واستقم.
٢ ـ البحار ج ٤ ص ١٤٥

ومایترای من احتجاب بعض الموجودات عن بعض وتجدّدها و تغیّرها و تعاقبها ونحوها فانّما هو بالقیاس الی الا وعیة السافلة و امّا با لقیاس الی المبادی العالیة فضلا" عن المبداء الواجب تعالی فالکلّ حاضر علی سبیل الضرورة والبتّ وجفّ القلم فمع تمامیة القضاوجفاف القلم فهو تعالی کل یوم فی شأن جدید فتدبّر.

ومنها: انّ ذاک النظام الکیانی والترتیب الربّانی واقع علی احسن وجه یمکن ان یقع علیه فما سفلته کلّ حلقه من حلقات السّلسلة الامکانیّة من مراتب الوجود فهوعلی جهة الضرورة والوجوب فیمتنع ان یتغیّر و یتبدّل الی غیره وکلّ ذلک مقیسا" الی نظام الکلّ منتظم علی اجمل الانتظام.

ومنها: انّ المبیّن انّ استکمال الانسان ــ بما هوموجود علميّ ــ یتوقّف علی افعاله الاردایّة، والارادة انمّا تتکّون عن تصورات وتصدیقات وهمیّة اعتباریّة لامطابق لها فی الخارج، فانّا لانجد فی مورد مملوکیة الدّار لزید مثلا" الاّ وجود الدّار و وجود زید، واما الملکیّةفانماهی امر دعت الی اعتبارها هاضر ورة الحیاة المدنیّة، فتلک الاذاعات الوهمیّة والعلوم الاعتباریّة هی البنیان والحجرالاساسّي للافعال الاارادیّة المستکمل بها الانسان فهذه الطائفة من العلوم الارتسامیّة مع قسیمها ای العلوم الحقیقة

الّتي لها مطابق في الخارج ــ لكونها ممكنة ــ تتقوّم بمباديها الى ان ينتهي الامر الى العقل المجرّد المنتهي الى الواجب القيّوم تبارك وتعالى وانّ الى ربك المنتهى.

اذا تدبّرت حقّ التدبّر في تلك الاصول البرهانيّة القرآنيّة، ينكشف لك انّ علمهم عليهم السّلام بكلّ شيي انما كان بلحاظ حقيقتهم النورانية المعبّر عنها بالعقل او القلم، لا بلحاظ رقيقتهم الملكيّة الجسمانيّة وتلك الحقيقة البسيطة الروحانيّة كما علمت منشأ للنظام الكوني الّذي منه تلك العلوم الوهميّة الّتي تتحقّق منها الافعال الاراديّة وعليه فافعالهم الاراديّة مع مايسبقها من المبادى ومايتبعها من الغايات كلّها ناشئة من تلك الحقيقة الروحانية فلايعقل التنافي بين ذاك العلم الاحاطي الشّهودي وبين تلك العلوم الوهميّة الناشئة منه.

و يمكن ان يقرّر ذلك على سبيل التّقريب بما قرّره الشيخ في الفصل السادس من المقالة الخامسة من الفنّ السّادس من علم النّفس من كتاب الشفاء بقوله:

انّ تصور المعقولات على وجوه ثلاثة: احدها التّصور الذّى يكون في العقل مفصلا "منظما"، والثاني قد حصل التّصور لكن النّفس معرضة عنه الى معقول آخر، والثّالث مثل مايكون عندك

في مسئلة تسئل عنها ممّا علمية وحضرك جوابها في الوقت اذا شئت علمت ذات متيّقن من غيران يكون هناك تفصيـل بل انّما تاخذ في التّفصيل والتّرتيب في نفسك مع اخذك فـي الجواب الصّادر عن العلم به قبل التفصيل فهومبداء للتفصيل فالمعلوم عنده مخزون بهذاالنوع البسيط ثّم يريدان يجعله معلوما " بنوع آخر ، ومن العجايب ان هذاالمجيب حين ياخذفي تعليم غيره تفصيل مايحّق في نفسه دفعة يكون مع ماتعلّمه يتعلّم العلم ، بوجه الثاني ـ يعني النوع الآخر ـ فيرتّب تلك الصورة فيه مع ترتّب الفاظه فاحد هذين هوالعلم الفكرّي والثّاني هوالعلم البسيط، فذلك علم فاعل للشيي الذّى نسميه علما " فكريّا ومبداء له وعلى هذا ينبغي ان يعتقدالحال في المفارقات المحضة في ـ عقلها للاشياء فانّ عقلها هوالعقل الفعّال للصوّر والخلاّق لها [1] والى هذاالوجه يشير ماورد عن الصادق عليه السلام : انّ الامام اذاشاء ان يعلم علم كمافى اصول الكافى .

وممّا ذكرنا تعلم انّ الاشكال المذكور ليس الاّ مغالطة ،من باب الخلط بين العلم الشهودى العنائى وبين العلوم الوهمّية

---

١ ـ الطبيعيات من الشفاء ص ٣٥٨ والاسفار ج٣ص ٢ـ ٣٧٥

حيث زعم انّ ذاک العلم العنائی فی عرض تلک العلوم الوهميّة التّی تنشاء عنها الارادة للفعل اوالتّرک، فاستعصی عليه الامرو استشکل بقوله: "ايظّن بعاقل انّه يعلم ان کذا و کذا" غفلة منه انّ ماذکره من الاقدام والاحجام انما هومن خواصّ العلوم الوهميّة الاعتباريّة دون العلم العنائی.

و بتقرير آخر: انّ هذاالوهم من باب المغالطة باشتراک لفظ العلم بين المعنين: احدهما العلم الشهودی وهوحضور الشّيی بوجوده العينی للعالم وبهذاالنّحو من العلم يکون علم الواجب تعالی بالموجودات فانّها باعيانها حاضرة عنده سبحانه ولايعزب عن علمه مثقال ذرّة فی الارض ولافی السّماء وقدسبق عندالبحث عن الآيات ان المستفاد منها انّ للنّبی وعترته عليهم السّلام هذاالنّحو من العلم بالموجودات ونظامها الاحسن، الاّ ذلک له تعالی بالذات ولهم عليهم السلام بالتّعليم الايجادی منه تعالی فهم عليهم السّلام بحقائقهم الروحانيّة المعبّرعنها بالعقل فی بعض الآثار ينکشف لهم الاشياء کماهیء ثانيهما هوالعلم الوهمی الاعتباری الذّی يتکّون عنه الارادة، و توضيح ذلک اجمالا" انّ من المبيّن فی محلّه انّ الانسان بما هو موجود علمّی يتوقّف استکماله علیافعاله الاراديّة و الاراده انماتتکّون عن تصوّرات

و تصديقات و همّية اعتباريّة دعت الى اعتبارها ضرورة الحياة وليس لها مطابق فى الخارج و انمّا شانها الوساطة لانتشاء الارادة مثلا " اذا فرضنا انّ هناك فاعلا " مختارا " من نوع الانسان قد تنبّه لفعل مّا فانّه يتصوّره اولا " تمام التّصور ثم يتروّى فى صلاحه وفساده، ثانيا " فان اذعن بصلاحه مثلا "، ثالثا " حصل منه الشّوق اليه، رابعا " فيتّكون منه الارادة فيقصد نحو العمل فاذا حلّلنا المثال وجدنا الفعل بما انّه حادث مستندا " الى العلّة المحدثة و هى الارادة، و الارادة الى العلم والاذعان وهذا الاذعان لايتّم تاثيره الّا بالجزم بوجوب الفعل بحيث يصير مقابله ممتنعا " فى هذا الطّرف فهذا العلم منشاء للاقدام عند تحرّى المصلحة والاجحام دون القسم الاول، وما اثبتنا من العلم حسب الآيات والروايات لهم عليهم السّلام كان من القسم الاول وما اعترض الخصم به علينا كان من القسم الثانى الذّى فى طول ذلك العلم الشهودى فالعلم الشهودى مهيمن على القسم الثانى وقيّوم له فانّه مقتضى بسطه وحيطته على مجموع النّظام الضرورى فهم عليهم السلام بجا نبهم البشرى كانوا على مستوى اشخاص هذا النّوع فى توسيط العلوم الاعتباريّة فى جلب المنافع و دفع المضّار ولهم ما للناس وعليهم ما عليهم فى ناحية تلك العلوم.

ومع ذلک قد كان في مقدر تهم في هذاالجلباب ايضا " التّطلع على مغيبات الخيرات والمضّار ومباديها العلميّة في سطح العيشة الاجتماعية باذن اللّه تعالى بان يستّمدوابماآتاهم اللّه تعالى من المبادی النوّرية والحقائق الاسمائيّة و هذاهوالمعنى مماّ استفاض عنهم من قولهم : " لوشئناعلمنا " .

ويمكن تقريب ذلک بمثال رجل قداكتسب ملكة علم الحساب اواىّ علم كان اذاالقى اليه مسائل من سنخ علمه ارتجالا " فانّه لوشاء علم جوابها فاذااستصلح وشاء ثمّ التفت الى تلک الملكة البسيطة واستمّد منها طفق في التفصيل والترتيب و بيّن الجواب فكذلک النّبي و عترته المطّهرون يعلمون بهذاالنهج ايضا " المنايا والقضايا والبلايا ، ولكنّ التّفصيل والاقدام منوط باذن اللّه عزّوجلّ و ترخيصه ،فان الكرامة كماتكون من المزاياالمغبوط فيهاوامارة الوجاهة عنداللّه كذلک قدتكون فتنة لبعض النّاس مثل ماوقعت النصارى فيه من القول بالوهّية عيسى عليه السلام واليهود ببنّوة عزيز عليه السّلام و ماوقع لاميرالموءمنين عليه السّلام من الاخبار بالغيب بمثل قوله : سلونى قبل ان تفقدونى فوالذّى نفسى بيده لاتساءلوننى عن شيى فيما بينكم وبين السّاعة انبأتكم وغيره من الكرامات فابتلى بنسبة الالوهيّة اليه عليه السّلام نعوذ باللّه .

واما قول القائل "افيظن بعاقل" فانه برهنه على جهله و قياس للاولياء على نفسه حيث جعل فهمه الضئيل ميزانا " لدرك الحقايق فزعم محدوديّة الوجود في ظاهره المشهود ولم يوقن بالآخرة فنبذ كتاب اليه وراءه ظهريّا " وقدا علن القرآن العزيز في محكم آياته باوسعيّة الوجود بكثير من ظاهره المحسوس وانّه وسع الدّنيا والآخرة والشهادة والغيب ، وانّ الانسان كادح الى ربّه في مستوى هذا الصراط الطّويل وانّ الموت ليس نهاية الرحلة الانسانيّة بل قنطرة ومرحلة من مراحل هذا الطريق المتطاول وانّ الى ربّك المنتهى و هو ينهى صريحا "ان يحسب الذّين قتلوا في سبيل اللّه امواتا بل احياء عند ربّهم يرزقون الى قوله وانّ اللّه لايضيع اجر المؤمنين ، وقد اخبر اصدق القائلين عزّ اسمه عن المؤمن الشهيد من آل يس بقوله: قيل ادخل الجنّة قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربّي وجعلني من المكرمين الى غيرها من الآيات الكريمة الكاشفة عن شئون اولياء اللّه وانّهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ولقد صدق وليّ اللّه ابو الائمّة عليه وعليهم السّلام حيث يصفهم بقوله: ولولا الاجل الذّي كتب لهم لم تستقرّ ارواحهم في اجسادهم .

نعم من لم يجعل اللّه نورا " فماله من نور ومن اخلد الى الارض وهو يمشي مكبا " على وجهه فمبلغ علمه بالوجود قليل كما ان

صدره عن لقاء الله والجهاد في سبيله ضيق حرجا ايثارا " للحياة الدنيا الداثرة على الحياة الآخرة الباقية ولعل الخنافس تزعم ان لما تدحرجه من القاذورات ارجاء ماله من نظير !! صدق الله العلي العظيم ومن اصدق من الله قيلا " حيث قال: قل كل يعمل على شاكلته.

والحاصل ان لاولياء الله تعالى عليهم السلام شئونا " لاتقاس بشئون الناس فانهم المتيمون في حب الله عزاسمه فمنطقهم هذا المنطق لاينطبق على منطق اهل الاثرة الذين لايبعثهم على العمل الاحب النفس والانانية حتى في العمل العبادى، فانهم انما يطلبون بالعبادة اما الراحة اوالتخلص من العذاب فغايتهم حتى في العبادة هي حصول مشتهى النفس وقدجعل التوجه الى الحق وسطا " لاستحصال هذا المشتهى والوسط بماوسط غير مقصود بالذات

ثم اذا فرصنا ان مثل هولاء العباد وقدخلطوا عملا "صالحا " وآخر شيئا " هل ترى انهم يتمنون الموت ويشتاقون اليه! كلاوحاشا واذاكان حالهم فماظنك بالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ومن هنا يتبين مغزى قوله تعالى " قل ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله فتمنوا الموت . . تا مل فيه كيف جعل ميزان صحة دعوى ولاية الله تمني الموت وحب لقائه تعالى، و لعمرك يا اخي

ان ذينك المنطقيّن منطق حبّ اللّه تعالي ومنطق الاثرة يتجليان فيماجرى بين الحسين ع وبين من كان ينصحه كابن عبّاس وابني الحنفيّة والزبيّر حين مسيره الي العراق فانّهم كانوايخوفونه بالموت والقتل وكان الحقّ معهم حسب منطق الاثرة، ولكن ذالک لاينطبق علي منطق الحبّ وقال ع في جوابهم: وايم اللّه لوكنت في حجرها مّة من هذه الهوام لاستحرجوني حتي يقضوني حاجتهم [۱]

لست اقول ان اولياء اللّه يستقبلون القتل كيف اتفقّ كلاّبل ربمّا يطلبون طول العمر فانّ الدنيا متجراولياء اللّه والعمرراس المال وانما استقبالهم للموت والقتل مقيدكلّه في سبيل اللّه المعّبرعنه بالشهّادة ،والشّهادة برّليس فوقها بر كماروى عن النبي ص: فوق كل ذى برّبرّ حتّي يقتل في سبيل اللّه واذا قتل في سبيل اللّه فليس فوقه برّ وفوق كلّ ذى عقوق عقوق حتّي يقتل احدوالديه فاذا قتل احدوالديه فليس فوقه عقوق [۲].

ولعمركانّ امرهم عليهم السّلام صعب مستصعب لايحتمله الا ملک مقرب اونبّي مرسل اوموء من امتحن اللّه قلبه للتقّوى كماورد ذلک في الاخبار المستفيضة بل في بعضها انّه لايحتمله ملک وزملائه كمافي الخبر المروّى في البصائر عن المفضّل قال: قال ابوجعفر

---

۱ ــ كامل ج ۳ ص ۲۷۶ ۲ ــ الوسائل ج ۱۱ ص ۱۰

عليه السلام : انّ حديثنا صعب مستصعب ذكوان اجردولايحتمله ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ولاعبد موءمن امتحن اللّه قلبه للايمان ، امّاالصعب فهوالذّى لم يركب بعد ، واماالمستصعب فهوالذّى يهرب منه اذارأى ، وامّا الذكوان فهوذ كاءالموءمنين‌وامّا الاجرد فهوالذّى لايتعلق به شيي من بين يديه ولامن خلفه وهوقول‌اللّه : اللّه الذى نزل احسن الحديث ، فاحسن الحديث حديثنالايحتمل احدمن الخلايق امره بكماله حتّى يحدّه لانّه من حدّ شيئا " فهواكبرمنه والحمدللّه على‌التوفيق والانكار كفر .

واعلم ان علم باطن الشريعه من‌الاسرار الالهيّة وقدنهى في‌الروايات عن اذاعته‌الى غيراهله لكونه بعيدالغورعن جليل افكار هم بل عن دقيقها بل‌لايحتمله ذالكاوذاككمافي‌الخبرفايّاك ايّاك ان تكشف عن‌امثال هذاالعلم لغيرا هله فتصير سببا " للفتنة والضّلال وانماتصدينافي هذه الرسالة للبحث عنه على‌طريق الاقتصار معتمدين على‌الكتاب والسّنة‌لمّارا "ينافي هذه الاوانة الاخيره بعض المنتسبين الى العلم المفتونين ببعض‌المسطورات الحديثة في مقام انكار تلك الرّوايات و مقامات النّبي وعترته الاطيبين ، فطفقوا يطعنون على حفّاظ الشريعه والمحدّثين‌وفقها ئناالمكّرمين فسبحان اللّه العظيم انّ هولاء المفتّرين قدجعلوا

ميزان الحقايق ومقياس المطالب افهام مهم المئوفة فماوافق افهام مهم العليلة ولائم اهوائهم الضئيله من الحقايق والمطالب فيحكمون بصّحتها فمالم يوافقها فيستمعون وهم يلعبون ولم يعلموا انّه لواتّبع الحقّ اهوائهم لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد اعاذنا اللّه سبحانه وتعالى عن نزعات الشّيطان الرّجيم.

وقد اجيب عن الاشكال بوجه اخرى: منها ماذكره في مرآت العقول بقوله: انّ من لايعلم اسباب التقديرات الواقعية يمكنه الفرار عن المحذورات ويكلّف به، وامّا من كان عالما " بجميع الحوادث فكيف كلّف الفرار والّا يلزم عدم وقوع شيي من التقديرات فيه.

ومنها قوله في ذيل الجواب الاول: بل هم عليهم السّلام غير مكفين بالعمل بهذا العلم في اكثر التّكاليف فانّ النّبي و اميرالمؤمنين كانا يعرفان المنافقين ويعلمان سوء عقائدهم ولم يكونوا مكلّفين بالاجتناب عنهم وترك معاشرتهم ومناكحتهم او قتلهم وطردهم مالم يظهر منهم شئ يوجب ذلك.

ومنها مانقله عن العلامة الحلّي وحاصله: انّ تكليفهم عليهم السّلام مغاير لتكليفنا فجاز ان يكون بذل مهجهم الشريفة صلوات الله عليهم في ذات اللّه كمايجب على المجاهد الثّبات وان كان ثباته يفضي الى القتل.[1]

---

١ ــ مرآت العقول ج ١ ص ١٨٩ ــ ١٨٨

المقصد الثالث في المعاد وما يلحقه وفيه فصول

الفصل الأوّل: في المعاد الجسماني

فى المعاد الجسمانى

اعلم انّ من راجع الى كتاب اللّه تعالي وطالع الاخبار الصادرة عن النّبي وعترته المعصومين صلوات اللّه عليهم اجمعين، يستيقن انّ المعاد الجسماني من ضروريّات دين الاسلام ولو لم يكن ممّن ينتحل بالاسلام فانّ مثل قوله تعالي: بلي قادرين علي ان نسوّى بنانه[1] وقوله: من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذّى[2]، ضريح في المعاد الجسماني، والاخبار الدّالة عليه فوق حدّ التواتر وللمليّين وطائفة من الفلاسفه في امر المعاد اقوال وآراء مذكورة في محالّها ولايهمّنا التعرّض لها.

قال شيخ الفقهاء العظام الاستاذ الاكبر رضوان اللّه عليه في المبحث الثالث من الفن الاوّل من كتاب كشف الغطاء: يجب العلم بانّه تعالي يعيد الابدان بعد الخراب، ويرجع هيئتها الاولي

---

١ ــ القيامة ۴ ٢ ــ يس ٧٨

بعد ان صارت الى التراب ويحلّ بها الارواح على نحو ماكانت ويضمّها اليها بعدماانفصلت وبانت ،فكان النّاس نيام انتبهوا فاذاهم قيام ينظرون الى عالم جديد الى ان قال: والمقدار الواجب بعد ،معرفةاصل المعاد ومعرفةالحساب وترتّب الثّواب والعقاب ، و لايجب المعرفة على التحقّيق التّي لايصلهاالّاصاحب النّظرالدقّيق كالعلم بانّ الابدان هل تعوذ بذواتها اوانمّا يعود مايماثلها بهيئآتها ، وانّ الارواح هل تعدم كالاجساد اوتبقى مستمّرة حتّى تتّصل بالا بدان عندالمعاد ، وانّ المعاد هل يختّص بالانسان او يجرى على كافة ضروب الحيوان وانّ عودها بحكم اللّه دفعّي او تدريجّي ، وحيث لزمه معرفة الجنان وتصوّرالميزان لايلزم معرفة وجودهما الآن ولاالعلم بانهّمافي السّماء اوفي الارض اويختلفان ، و كذاحيث يجب معرفةالميزان لايجب عليه معرفة انّها ميزان معنويّة اولها كفتّان ، ولايلزم معرفة انّالصرّاط جسم دقيق او هو عبارة عن الاستقامة المعنّوية على خلاف التّحقيق ، والغرض انه لايشترط في تحقّق الاسلام معرفة انّهما من الاجسام وان كانت الجسميّة هي الاوفق بالاعتبار ،ور بّماوجب القول بها عملا" بظاهر الاخبار ولايجب معرفة انّ الاعمال هل تعود الى الاجرام وهل ترجع بعدالمعنّوية الى صورالاجسام ، ولايلزم معرفة عددالجنان و

النّیران‌وادراک کنه حقیقة الحور والولدان، وحیث لزم العلم بشفاعة خاتم‌الانبیاء صل‌الله علیه وآله لایلزم معرفة مقدار تاثیرها فی حقّ الاشقیاء وحیث لزم معرفة الحوض لایجب علیه توصیفه و تحدیده وتعریفه ولایلزم معرفة ضروب العذاب وکیفیّة مایلقاه العصاة من‌انواع النکّال والعقاب.

حکی فی‌البحار عن شرح المقاصد: انّه بالغ الامام الغزالی فی تحقیق المعاد الرّوحانی وبیان انواع الثّواب والعقاب بالنّسبة الی الرّوح حتّی سبق الی کثیر من الاوهام ووقع فی‌السنة بعض العوام انّه ینکر حشرالاجساد افتراء علیه کیف وقدصرّح به فی مواضع من کتاب الاحیاء وغیره، نعم ربّما یمیل کلامه وکلام کثیر من القائلین بالمعادین الی انّ معنی ذلک ان یخلق اللّه تعالی من الاجزاء المتفرّقة لذلک البدن بدنا " فیعیدالیه نفسه المجرّدة الباقیة بعد خراب‌البدن، ولایضّرناکونه غیر البدن الاوّل بحسب الشّخص، وماشهد به النّصوص من کون اهل الجنّة جردا " مردا " و کون ضرس الکافر مثل جبل‌احد یعضد ذلک وکذاقوله تعالی: کلمّا نضبجت جلودهم بدّلناهم جلودا "غیرها [1] ولایبعد ان‌یکون

---

۱ ــ النّساء ۵۶

قوله تعالى: اوليس الّذى خلق السّماوات والارض بقادر على ان يّخلق مثلهم [١]، اشارة الى هذا.

فان قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللّذات والالام الجسمانيّة غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية؟ قلنا العبرة في ذلك بالادراك وانما هو للرّوح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه وكذا الاجزاء الاصلّية من البدن، ولذا يقال للشّخص من الصّباء الى الشيخوخة انّه هو بعينه وان تبدّلت الصوّر والهيئات بل كثير من الاعضاء و الآلات ولا يقال لمن جنى في الشّباب فعوقب في المشيب انّها عقوبة لغير الجاني انتهى المحكّي من شرح المقاصد [٢].

ويقرب من ما ذكر سيّد الاعلام السّيد عبداللّه الشبر بل عبارته بعينها تلك العبارة بالفاظها فراجع الى ج ا من مصابيح الانوار في حلّ مشكلات الاخبار ص ٢٣ — ٢٢

قال قدوة الفقها العظام جمال الدّين ومصباح المتكلّمين في شرح التجريد: الواجب في المعاد هو اعادة الاجزاء الاصلّية — التّى لا يتطرّق اليها الزيادة والنقصان، او النّفس المجرّدة مع الاجزاء الا صلّية، امّا الاجسام المتصلّة بتلك الاجزاء فلا يجب اعادتها بعينها

---

١ — يس ٨١

٢ — البحار ج ٧ ص ٥٣ — ٥٢

ویقرب منه عبارة الشارح القوشجی.

قال فی شرح المواقف: انّ المعاد انمّا هوالاجزاء الاصلّیة وهی‌الباقیة من اوّل العمرالی آخره لاجمیع الاجزاء علی‌الاطلاق.

قال فی گوهرمراد: اقرب آن است که آنچه از ضروریات دین است معادی است که شخص معاد همان شخص مکلف باشد و بنحوی باشد که مورد لذات‌وآلام جسمانیین تواند شد.

قال‌شیخنا الشهید الثّانی فی المقاصد العلّیة: القدرالذّی یجب التّصدیق به، ممّاجاء به النّبی ماعلم مجیئه به تواترا "من احوال المبداء والمعاد کالتّکلیف بالعبادات‌والسّؤال فی‌القبر وعذابه والمعاد الجسمانی والحساب والصّراط‌والمیزان والجّنة والنّار ولایجب العلم بکیفیّة ذلک وتفاصیله فانّه ممّا یخفی علی الخواص.

اقول: غرضنا من نقل اقوال الاساطین هواستبانة انّ اصل المعاد الجسمانی من ضروریّات دین الاسلام فمن انکره فهو محکوم بالکفر من جهة استلزام انکاره لانکار النّبی، لکونه ضروریّ الثّبوت من دین نبیّ الاسلام، وانّ‌المنکر یعلم ذلک ومعذلک ینکره.

وامّااذالم یعلم انّه من دین النّبی فلایحکم بکفره کماقرّر فی محلّه من انّ انکار الضروّری من الدّین تارة یرجع‌الی الاصول بـالذّات، واخری الی انکار مایستلزم انکاره، انکار ما اخبربه

النّبى ص ضرورة، والنّوع الاوّل مع التّقصير مستلزم للكفر فى الدّنيا والعذاب فى الآخرة، وبدون التّقصير مستلزم للاوّل دون الثّاني، واماالنّوع الثّاني من الانكار فمع عدم التقصير لاكفرو لاعذاب ومع التّقصير في الفهم والاستنباط من دون لجاج وعناد لايستلزم الكفر، ولكنّه يستحق المواخذة والعقاب هذا كلّه فيما علم انّه من الدّين ضرورة، واما، مالايعلم انه من الدّين ضرورة مثل كيفيّة الجسم المعاد وكميّته وانّه مع المادّة القابلة الدنيّوية اوبدونها فليس لاحدان يكلّف احدا" بالاعتناق والاعتقادبه.

فمن اعتقد باصل المعاد الجسماني ثّم ادّى نظره بالبحث والتحقّيق الي الاعتقاد ببعض الخصوصّيات في الجسم المعاد حسب الادّلة الدالّة عليه عنده وان كان نظره مخالفا" لاحادالاخبار، فلايحلّ لاحد ازراءه فضلا" عن تكفيره، فانّ من افحش القول تكفير اهل القبلة الّابمافيه نفى للصانع تعالى اوشرك به اوانكار للنّبوّة اوماعلم انّه من دين النّبي ضرورة مع علم المنكر بكونه من دين النّبى ص.

وفي غيرماذكر فالتّكفير تقّول على اللّه بغير علم وافتراء عليه عزّاسمه، ومن اظلم ممّن افترى على اللّه كذبا"، والمكّفر داخل في قوله تعالى: انّ الذّين يوذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه

فی الدّنیا والآخرة واعدّلهم عذابا" مهینا" والذّین یوذون الموءمنین والمومنات.[1]

وروی عنه ص انّه قال: اذاقال المسلم لاخیر یاکافر فقد باء بهاء احدهما، فانّ من الاصول الثّابتة فی شریعة الاسلام: انّ دماء المسلمین واموالهم واعراضهم محرّمة من بعضهم علی بعض ولاتحلّ الّاباذن اللّه تعالی ورسوله.

ولنعم ماقال شیخنا العلّامة الانصاری قدّس سرّه فی الفرائد، بعد الاذعان بانّ الاشتغال بالعلم المتکفل لمعرفة اللّه ومعرفة الاولیاء صلوات الله علیهم اهمّ من الاشتغال بعلم المسائل العملیّة بل هوالمتعلّمین لانّ العمل یصحّ عن تقلید فلایکون الاشتغال بعلمه الّاکفائیا" بخلاف المعرفة:

فلاتغتر بمن قصر استعداده او همّته عن تحصیل مقدمّات استنباط المطالب الاعتقادیة الاصولیّة والعملیّة عن الادّلة العقلیّة والنقلیّة فیترکها بغضا" لها لان النّاس اعداء ماجهلوا، ویشتغل بمعرفة صفات الرّب جلّ ذکره واوصاف حججه صلوات اللّه علیهم بنظر فی الاخبار لایعرف من الفاظها الفاعل من المفعول فضلا" عن

---

۱ ـ الاحزاب ۵۷

معرفة الخاص من العام وبنظر في المطالب العقليه لايعرف به البديهيّات فيها و يشتغل في خلال ذلک بالتّشنيع على حملة الشّريعة العمليّة والاستهزاء بهم بقصور الفهم وسوء النيّة فسياتيهم انباء ماكانوابه يستهزون انتهى كلامه.

فادّب اللهم نزق الخرق منّي بازمّة القنوع والبسني زينة المتقين في سترة العائبة و لين العريكة وترک التعيير، واجعل اللّهم مايلقي الشيطان في روعي من التمنّي والتظنّي والحسد ذكر لعظمتک وماجرى على لساني من لفظه فحش اوهجراوشتم عرض اوشهادة باطل اواغتياب مؤمن اوسبّ حاضر وما اشبه ذلک نطقا " بالحمدلک واغراقا " في الثّناء عليک واحصاء لمننک آمين آمين.

وصل: وحيث تبيّن لک في تضاعيف الكتاب انّ المعاد هورجوع الموجودات بتمام ذواتها الى اللّه تعالى، فلحوق بدن الانسان بنفسه ضروری حسب مايقتضيه عنايته تعالى نعم حيث كانت النشأة الاولى عندقيام السّاعة متبدّلة الى الكمال النّهائی الممكن فی حقها وهوقوله تعالى يوم تبدّل الارض غيرالارض والسّماوات[1]، و قوله

---

١ ـ ابراهيم ٤٨

واشرقت الارض بنورربّها [١] ، کانت الابدان الارضّیة والاجسادالترابیّة کالانفس حیّة مشرقه حینئذ ، فانّ الدّارالآخرة لهی الحیوان لوکانوا یعلمون . [٢]

فالاجزاء البالیة من الانسان فی الاجداث کنفس الاجداث مسوقة الی الکمال الغائی الممکن فی حقّها الی حیث تستّعدان تتبدّل فتشرق عند قیام السّاعة فتخرج ازهارها فی اکمامها فی ربیع القیامة .

وفی روایة الاحتجاج : قال الزندیق للصّادق علیه السلام : انّی للروح بالبعث والبدن قدبلی والاعضاء قدتفرّقت ، فعضوفی بلدة تاکلها سباعها وعضو باخری تمزّقه هوامها و عضو قدصارترابا " بنی به مع الطین حائط؟!

قال علیه السّلام : انّ الّذی انشاء من غیر شیئ وصوّره علی غیر مثال کان سبق ، قادران یعیده کمابدءه قال اوضح ذلک قال انّ الروح مقیمة فی مکانها روح المحسنین فی ضیاء وفسحة وروح المسیئی فی ضیق وظلمة والبدن تصیرترا باکمامنه خلق ، وماتقذف به السّباع والهوام من اجوافها فمااکلته ومزّقته کلّ ذلک فی التّراب محفوظ عند من لایعزب عن علمه مثقال ذرّة فی ظلمات الارض و

---

١ ــ الزّمر ٦٩ ٢ ــ العنکبوت ٦٤

يعلم عددالاشياء ووزنها وانّ تراب الروحانييّن بمنزلة الذّهب في التّراب ، فاذاكان حين البعث مطرت الارض مطرالنشور فتربوالارض ثّم تمخض مخض السقّاء فيصير تراب البشر كمصير الذّهب من التّراب اذاغسل بالماء والزبدمن اللّبن اذا مخض ، فيجتمع تراب كلّ قالب فينقل باذناللّه الي حيث الروح، فتعودالصوّر باذن المصوّر كهيتها وتلج الرّوح فيها .[1]

وفي غيرو احدمنالاخبار وقع التّعبيرعمايبقى منالاجزاء بالطينةٓ وانّهالاتبلي بلتبقى ، ففيالكافي الشّريف عنالصّادقع : انّه سئل عن الميّت يبلي جسده، قال نعم حتّى لايبقى لحمو لاعظم الاطينته التّي خلق منها فانّها لاتبلى بل تبقى فيالقبر مستديرةٓ حتّى يخلق منها كما خلق اوّل مرّةٓ[2].

وعنه ع في خبرآخر: وقوع التعبير عن هذه الطينةٓ بعجب الذنب قال عليه السّلام في سباق قصّةٓ ذبح بقرةٓ بنياسرائيل: فاخذواقطعةٓوهي عجب الذنب الذّى منه خلق ابن آدم وعليه يركب اذااريد خلقا " جديدا " فضربوه بها[3].

---

١ ـ البحار ج ٧ ص ٣٨ ـ ٣٧　　٢ ـ الفروع ج ١ ص ٢٥١

٣ ـ البحار ج ٧ ص ٤٣

وقد روى القوم بقاء عجب الذنب عن النبّى ص بالاسناد الصحيح كلّ ابن آدم ياكله التّراب الّا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب [١].
وبذكرى انّى رأيت هذا الخبر في بعض صحاح القوم ،وعن نهاية ابن اثير العجب السكون العظم الذّى في اسفل الصلب عند العجز وهو العسيب من الدّواب وفي المنجد: العجب: موخّر كلّ شيى اصل الذنب عند راس العُصعُص.

---

١ ــ الفصل لابن حزم الجمزء الرابع ص ٦٩

الفصل الثّاني

في الجواب عن شبهة عبثيّة المعاد

فى الجواب عن شبهة عبثيّة المعاد

ربما يتشكّك في امر المعاد بامور نذكر اهمّها على سبيل الاجمال والتّلخيص ثمّ نتلوها بالجواب حسب مايقتضيه الاصول والقواعد .

فمنها : انّ الحشر والاعادة فامّا لالغرض وهوعبث وجزاف لايليقان باللّه تعالى و امّا لغرض، فهذاالغرض امّا عائد الى اللّه عزّوجلّ و ذلک مستحيل على اللّه سبحانه لاستلزامه النّقصان في ذاته تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّا " كبيرا "، وامّا عائد الى العبد المعاد وهوا مّا ايلام العبد فهذا ايضا " ممتنع عليه تعالى ، واما الذاذه وهوباطل ايضا " لانّ اللّذة هودفع الالم فالعبدلوترک بحاله ولم يعد لم يكن له الم فهذاالغرض حاصل بدون الاعادة فلافائده فيها ، و امّا الايلام اولاّ " ثم دفعه ثانيا " كي يلتذّ فهوكماترى لايصلح اسناده الى عاقل فضلا " عن اللّه خالق العقول سبحانه وتعالى وهل هذاالاّ كان يمرّض عبده ثم يدفعه عنه ليلتذّ به اى يعود الى ماكان عليه من عدم المرض.

اقول: هذه الشبهة کما تری فیها ضلالات منها: زعم کون الحشر والمعاد مستلزم لاعادة المعدوم ومنها: قیاس فعل اللّه تعالی فی امر الاثابة والعقاب بفعل بعض السّلاطین والملوک، ومنها: عدم درک ما هو معنی اللّذه والالم، فتلک الضّلالات والجهالات هی سدی ولحمة هذه الشبهة، وانت بما قدّمنا فی اوائل الکتاب من انّ المعاد هو رجوع الموجودات الی اللّه تعالی، خبیر بانّ هذه الشّبهة ساقطة من اصلها، وانّ ما یلحق النّفوس من الثّواب والعقاب انّما هی اعمالهم وهنالک تبلی کلّ نفس بما اسلفت و یومئذ یصدر النّاس اشتاتا "لیروا اعمالهم فمن یعمل مثقال ذرّة خیراً یره ومن یعمل مثقال ذرة شراً یره".

ومنها انّه قد ثبت فی محلّه انّ الموجود الذّی له قوّة کمال ما واستعداد فعلیّة ما، اذا خرج من القوّة الی الفعل واعتنق بکماله اللاّیق به المناسب لحاله فانّه یستحیل رجوعه بعد الی القوّة، ثانیا"، فالانسان بموته یتجرّد عن المادّة القابلة فیصیر موجودا" مثالیّا" بالفعل او عقلیّاً کذلک حسب ما ساعدته الشروط والمعدّات فمن المحال ان تتعلّق هذه النّفس المجرّدة بالمادّة ثانیا" لاستلزامه المحال المذکور یعنی رجوع ما بالفعل الی ما بالقوّة وهو مبیّن الاستحالة فانّ النّفس فی بدء حدوثها امر بالقوّة ولها تعلّق ذاتیّ ببدنها

وهي كمال له فلذا عرفت بانّها كمال اولّ لجسم طبيعي آلّي وهما مع اختلافهما في الصّفاء والكدرة موجودان بوجود واحد ويخرجان معا " من القوّة الى الفعل كلّ بحسبه ، وهذا الخروج قدوقع بالحركات الجوهريّة والاستحالات الذاتيّة فبعد مااستكملت في السّعادة او الشّقاوة حتى اذا بلغ الكتاب اجله فرّق اللّه سبحانه بينهما بالموت فيتوفّيها عن هذا القشر المسمّى بالبدن الذّى نسبته اليها نسبه المشيمة الى الجنين بوجه فترجع النّفس الى عالمها و يتحلّل البدن الى العناصر الطبيعيّة كما صرّح به الخبر المروّى عن الصادق عليه السلام في العلل: الانسان خلق من شأن الدّنيا وشأن الآخره الى ان قال ۴ فاذا فرّق اللّه بينهما صارت تلك الفرقة الموت ، فردّت الرّوح الى القدس الاولى ، وترک الجسد لانّه من شأن الدّنيا وقدسبق الخبر في بعض الابحاث السالفة.

وبالجملة عود النّفوس الى الابدان يستلزم عودما بالفعل الى مابالقوّة وهومحال وبهذا قرّر و استحالة التناسخ واخواته ، فماورد من الآيات والروايات الظاهرة في ذلک اوفي الرجعة فلابدّ فيها من نحو علاج واحتيال لئلّا تناقض الحجج العقليّة فانّ في هدم القواعد البرهانيّة هدم جميع ماجاء به الانبياء على نبيّنا وآله و عليهم الصّلاة بل يستلزم ذلک اللّحوق بالسو فسطائيّة فاولى

للجهلة المتنسكة فاولي ثم اولي لهم فاولي حيث يزعمون ان الشرع قد غلق باب العقل ونهي عن الركون الي البراهين العقلية وهل هذا الا فرية شائنة حمقاء علي الكتاب والسنة، اليس القائل بان النتائج تبطل مقدماتها ـ ممن سفه نفسه فان معرفة الانبياء والاعتقاد بما جاء به نتيجة المقدمات العقلية و قدندب الشرع متكررا" الي الاعتبار والنظر في الموجودات بمثل قوله تعالي: اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض و ماخلق الله من شيي[1] ، وقوله فاعتبروا يا اولي الابصار[2].

والاعتبار والنظر ليس شيئا اكثر من استنباط المجهول من المعلوم وهذا هو القياس المنطقي ومن البين ان الاعتبار والنظر الذى دعا اليه الشرع هو اوثق، انواع النظر باتقن انواع القياس وهذا هو المسمى بالبرهان ولايكا و يمتثل امره تعالي بالنظر في جميع الموجودات الا بعد المعرفة انواع البراهين و شروطها وبماذا يخالف القياس البرهاني القياس الجدلي والجدلي والخطابي والمغالطي ولايعرف ذلك الا بعد معرفة مقدمات القياس.

وبالجملة معرفة علم الميزان واصول الاستدلال وليس لاحدان يقول:

---

١ ـ الاعراف ١٨٥ ٢ ـ الحشر ٢

انّ هذاالنوع من القياس العقلي لم يكن في الصّدر الاوّل فهو بدعة، لانّه محجوج بمثل اصول الفقه حيثلم يكن في الصّدر الاوّل وليس يرى انّه بدعة، والحاصل ان للّه تعالى حجتّين: احديها باطنة وهي العقول، واخرى ظاهرة وهي الانبياء والرّسل، والباطنة هي المبني والاساس للظاهرة، كمافي الخبرالمروّى عن مولانا الكاظم عليه السّلام ،وقدعرفت حكم العقل بامتناع عود ما بالفعل الى ما بالقوّة ومن مصاديق هذهالكبرى عود الارواح الى الابدان المعبّرعنه بالمعاد الجسمانّي الظّاهرمن الآيات والروايات، ومن المعلوم في محلّه انّ ظاهر المنقول لايصادم صريح المعقول.

اقول: هذهالكبرى القائلة (باستحالة رجوع مابالفعل الى ما بالقوّة) حقّ لاريب فيهوهي العماد والسّناد في ابطال بعض اقسام التّناسخ، لكن عودالارواح الى الابدان في مسئلتي الرجعة والمعاد ليس من صغرياتها و مصاديقها، فانّ هذاالعود عبارة عن تعلّق النّفس بالمادّة ولاسيّما المادّة التّي فارقت عنها بالموت فالنّفس بمثل هذاالتعلّق لم ترجع ذاتها المتحصّلة بالفعل الى مابالقوّة فالمحال هوالرجوع بمعنى خروج ماهو بالفعل عن فعليّتهالى القهقرى و صيرورته امرا " بالقوّة كان تخرج الدّجاجة عن فعليتها الى القهقرى وتصيربيضهمثلا "، واماالرجوع بمعنى التعلّق الجديدفبمكان

من الامكان ، فانّ النّفس بتعلّقها الجديد بالبدن باقية على تجرّدها ولم يمسّها الانقلاب والانحدار الى القوّة فهي في المثل كالصّانع الّذي ترك مصنعه وآلاته برهة من الزّمن لغرض ما ، ثم رجع اليها وممّا يوضح ذالك انّ المدرك لجميع الادراكات في الحسّية الخياليّة والعقّلية ،والفاعل لجميع الافاعيل النباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة هي النّفس فهي ذات اطوار صعودا " ونزولا " فطورا " تنزل الى ساحة المواد والاجسام فتصير محكومة بحكمها وطورا " آخر تصعد الى وكرها عالم العقل فتتّحد معه نحوا " من الاتّحاد ومن هذا يتبّين ان شيئا " واحدا " يجوزان يتعلّق بالمادة تارة و يتّجرد عنها تارة اخرى ، فانقدح ممّا ذكر ناانّ هذه الشّبهة انمآ نشأت من الخلط بين الرّجوع بمعني الخروج عن الفعليّة وبين الرّجوع بمعنى التعلّق الجديد .

ان قلت : انّ في التّعلق الجديد للنفس بالبدن لابدّمن استعداد ما للّنفس بالنسبة الى التعلّق المذكور ، والاستعداد اينما تحقّق يلازم المادّة على ما برهن في موطنه وعليه فيلزم ثبوت مادّة ما في البرزخ والمثال وقد سبق في البحث عن البرزخ نفيها عن ذاك العالم .

قلت : اثبات انقطاع علاقة الرّوح عن البدن انقطاعا " تامّاً

بالموت مشكل جدّا " بل لاسبيل اليه، بل الظّاهر من كتاب اللّه تعالى بقاء علقة مابينهما بعد الموت ايضا " وهو قوله عزّ اسمه: اللّه يتوفّى الانفس حين موتها والّتى لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمّى.[1]

فانّ صريحه " انّ النّائم قد توفّا اللّه تعالى روحه معانّا نعلم ببقاء علقة مابينهما وبين بدنه، معذلک اى مع صدق التّوفي وقد قرن اللّه سبحانه بالنّائم، الميّت في هذا التّوفي فبحكم المقارنه يمكن ان يستظهر بقاء علقه مابين النفس والبدن وهذا لاينافى نفى المادّة عن البرزخ فافهم.

ومنها انّ جرم الارض محدود ممسوح وعدد النّفوس كماقيل غير متناهية فلايفى الجرم المتناهى لان يحصل منه الابدان غير المتناهية.

والجواب انّ هذا القول معارض بمثله وانما عقيدتنا القرآنيّة الّتي ندافع عنها هي انّ آدم هذا الّذى يقّص القرآن نبأه، قد خلقه اللّه تعالى بعد مضّي دهر طويل من عمر الارض فلنفوس ابناء بدء كما انّ لها نهاية.

---

۱ ـ الزّمر ۴۲

ثمّ انک علمت انّ الارض تتبدل وتمتد عندقيام السّاعة وهو قوله تعالى: يوم تبدّل الارض غيرالارض[1] وقوله: اذاالارض مدّت واذنت لربها وحقّت[2] فهي تاتمر لامرربها في الامتداد والانبساط الى حيث تفي لان تحصل منها الابدان الى ماشاءاللّه ، فان الهيولا قوة محضة لاتقدرلها في ذاتها وانمايعرضها المقدار من الخارج وبهذايمكن الجواب على تقدير عدم تناهي النفوس.

ومنها انّ الجنّة والنّار متزاحمان في الوجود وقوله تعالى: سارعواالى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضهاالسّماوات والارض اعدّت للمتّقين[3] يدّل على انّ الجنّة شاغلةلسعة السّماوات والارض فاين مكان النّار.

اقول: وفي مجمع البيان انّه سئل رسول‌اللّه ص: اذاكانت الجنّة عرضها السّماوات والارض فاين تكون النّار؟ فقال ص: سبحان اللّه اذاجاء النهار فاين اللّيل؟ وفي تفسير الجامع للقرطبى عن يعلى بن ابي مرّة: لقيت التنوخي رسول هرقل الى النّبي (ص) بحمّص شيخا "كبيرا" قال قدمت على رسول‌اللّه ص بكتاب هرقل

---

۱ ــ ابراهيم ۴۸ ۲ ــ الانشقاق ۳

۳ ــ آل عمران ۱۳۳

فناول الصحيفة رجلا " عن يساره قال: فقلت: من صاحبكم الذّى يقرء ؟ قالوا معاوية، فاذاً كتاب صاحبى: انّك كتبت تدعونى الى جنّة عرضها السّماوات والارض فاين النّار؟ فقال رسول اللّه‌ص: سبحان اللّه فاين الليل اذاجاء النّهار.

قلت هذاالجواب منه صلّى الله عليه وآله كماتراه مبدّو بالتّعجب عن غفلة السائل ممّاهوموجود عنده‌وتنبيه‌له ، على انّ نظير مااستوضح وسئل عنه من مرتكزاته فارجعه اليها ، و ذلک انّ هذاالسّائل يعلم بالضّرورة‌انّ اللّيل والنّهار موجودان ، قدجعلهما اللّه‌خلفةً يختلفان فی هذه‌النشأة‌ويتعاقبان على البلاد فلايجتمعان فيها فبمجيئی النّهار يذهب اللّيل فيخلفه النّهار فی مكانه فهذااللّيل الذّاهب الموجود ليس له عند الرجوع‌والاياب الى مرجعه هذاالمكان الدّنيوى فتعانده وتزاحمه مع‌النّهار انمّا كان فى هذه النشأه فالدّنيا دار التّضاد والتّمانع والحوادث الواقعة فى كلّ من الجديدين غائبة عن الاخرى فی‌الآخر كنفس الطرفين فاذاكان هذاالامر مركوزا " فى ذهن السائل وليس يرى اشكالا " فيه فليكن مثله امرالجنّة والنّار فانهّماالمصير والمآب.

و لعمرالحقّ ان هذاالباب الذّى فتحه‌ص ينفتح منه ابواب‌و به يتبيّن حشرالازمان والايّام وانّ لهاعندالرّجوع‌وجودا " ملكوتيّاً "

تكون به باقية عندالله لاتنفد ، وانّ الوجود بما هووجود لاينقلب الي العدم بل الي اللّه تصيرالامور ففيض الوجود يطلع من الغيب الي الشهادة ويرجع منها فيغرب فيه فهو تعالى يقبض ويبسط فانّالله وانّااليه راجعون.

ومنه يتبيّن ايضا "انّ الثّواب والعقاب لايباينان الاعمال بل النّسبة بين الجزاء والعمل هونسبة البطون والظّهور والغيب والشّهادة فانّ للعمل بحسب عالم الشّهادة صورة غير ماله بحسب الغيب من الصّورة.

فاكل مال اليتيم في هذه النشأة له صورة مالوفة، وامّاصورته الغيبية فهي اكل النّار: الّذين ياكلون اموال اليتامى ظلما " انمّا ياكلون في بطونهم نارا "[1]

والحاصل انّ الحقيقة الواحدة تتطوّر اطوارا " مختلفة بحسب النشأت المختلفه حتّى الازمان من الايّام والشّهور والسّنين فانّ وجودها في هذه النشأة معتنق بعدمها ولكنّها بحسب النشأة الاخرى لها نحووجود جمعّي باقية عندالله تعالى وستكون من الشّهداء يوم يقوم الاشهاد كما في الآثار المرويّة عن بيت الوحي والعصمة.

---

١ ـ النساء ١٠

فمنها قول سیّد نازین العابدین علیه السّلام فی الرّوضة السّادسة من الصحیفة: هذا یوم حادث جدید وهو علینا شاهد عتید، ان احسّناو نابحمد وان اسأنافارقنابذمّ.

ومنها قوله ع فی الروضة الخامسة والاربعین: السّلام علیک یا شهراللّه الاکبر ویاعید اولیائه الاعظم، ومنها مارواه فی الکافی عن مولاناالصّادق ع: مامن یوم یأتی علی ابن آدم الاّقال له ذلک الیوم یابن آدم انایوم جدید واناعلیک شهید فقل فی خیراواعمل فی خیر اشهد لک یوم القیامة فانّک لن ترانی بعدهاابدا "ومنها مارواه فی البحار ان اللّه یحشر یوم القیامة شهر رمضان فی احسن صورة!

ومن الشبّهات، شبهة الآکل والمأ کول وتقریرها کمافی شرح التّجرید: انّ انساناً " لواکل آخر واغتذی باجزائه، فان اعیدت اجزاء الغذا الی الاوّل عدم الثانی وان اعیدت الی الثانی عدم الاوّل وایضا "، امّا ان یعید اللّه تعالی جمیع الاجزاء البدنیة الحاصلة من اوّل العمر الی آخر، اوالقدر الحاصل عندموته، و القسمان باطل. اما الاوّل فلان البدن دائما " فی التحلّل فلوا عیدالبدن مع الاجزاء منه لزم عظمة فی الغایة وانّه قدیتحلّل منه اجزاء تصیر اجساما " غذائیة ثمّ یاکلها ذلک الانسان بعینه حتی

---

١ ـ البحار ج ٧ ص ١٩٥ واخبار ٢٢ ـ ٢١ ـ ٢٠ ص ٣٢٥

تصیرا جزاء من عضو آخر غیر العضو الّذی کانت اجزاء له اوّلا" فاذا اعید اجزاء کلّ عضو الی عضوه لزم جعل ذلک الجزء جزء من العضوین وهو محال.

وامّا الثّانی فلانّه قد یطیع العبد حال ترکّبه من اجزاء ثمّ تتحلّل تلک الاجزاء ویعصی فی اجزاء اخری فاذا اعید فی تلک الاجزاء بعینها واثابه علی الطّاعة لزم ایصال الحقّ الی غیر مستحقّه، انتهی موضع الحاجة من کلامه.

اقول: وزد علیه اذا کان الآکل کافرا" والمأکول مومنا" فانّه یلزم امّا تعذیب المطیع و تنعیم الکافر او ان یکون شخص واحد کافرا" معذّباً ومومنا منعما" لکونهما جسما" واحدا".

والجواب المشهور هو ان لکل انسان اجزاءً" اصلّیة لایمکن ان تصیر اجزاءً للغیر بل لواکلها الغیر تکون من الفواضل، فاذا اعیدت جعلت اجزاءً "اصلّیة لمن کانت هی له اوّلا" وحدیث الطینة الباقیة غیر البالیة فی القبر وکذا خبر العجب قد اخذا تاییدا" لهذا الجواب ولکنّک خبیر بانّ اساس الشّبهة علی مزعمة باطلة و هی زعم کون تشخّص الشیی بمادّته، مع انّ المقرّر فی محلّه انّ تشخّص کلّ شیی بصورته وانّ المادّة معتبرة لاعلی التعیین، و تشخّص کلّ انسان بنفسه التّی هی صورة والبدن معتبر فیه علی

وجه الابهام بل هذا من مرتكزات كلّ عاقل، فلذا اخذ هذا الارتكاز في نفس الشّبهة فانّ قوله: (يتحلّل منه) وقوله: (قد يـــطيع العبد) صريح في انّ هناك امرا " ثابتا " اليه تستند الجزئيّة وانّه لولاه لامعنى لصدق الجزئيّة، و لايشّك ذومسكة في انّ زيدا " الذّى اكل خروفا " اوظبيا " فصارت اجزاء هما من اجزاء بدن زيد هوزيد لاانّه ظبي اوخروف،

والحاصل ان بدنيّة البدن تابعة للنّفس فكلّما يتعلّق به نفسه هوبعينه بدنه فما الطف قول الصادق عليه السلام فـــى خبرالاحتجاج السابق الذكر: فينقل ـ يعنى البدن ـ باذن اللّه الى حيث الرّوح ـ حيث اشار عليه السلام بقوله هذا الى انّ البدن تبع و شعاع للرّوح نحو تبعيّة الشّعاع لـــذيه و ممّا ذكر نايتبيّن معنى قوله: اوليس الذّى خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهوالخلّاق العليم [1]، قوله: و مانحن بمسبوقين على ان نبدّل امثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون [2].

ومنها انّ من المبيّن عقلا " في مبحث الغايات والمؤيد

---

١ ـ يس ٨١ ٢ ـ الواقعه ٦١

شرعا " انّ الخلقة والوجود لاتستند الی عبث وجزاف وانّ کلّ مافی الوجود فلغایة ماحتّی الطبایع العدیمة الشعور، فجمیع اجزاء العالم من السّماء ومافیها و الارض وماعلیها لاتعطیل فی شیی منها فلینظر الانسان الی نفسه وقد خلقه اللّه اطوارا " فجهّزه بجهازات وادوات فی غایة الاتقان والاحکام بها یتّم بقائه نوعا " وشخصا " فجعل له الا عضا والقوی ظاهرة وباطنة، فمن الظاهرة مثل الید والرّجل والسّمع والبصر واخواتها ومن الباطنة مثل الامعاء والمراءة والکبد والکلیه ونبطاسیّا " والخیال وامثالها، بها یدفع عن نفسه الم الحرق والخرق وماشبهها من الامور المولمة والمفسدة ویجلب الیه مایلایمه و یستکمل به،وبها یتقّوم امر تغذیة لیتهیأ بذلک بدل محلّل منه من الاجزاء فیبقی بذلک شخصه، ثم سلّط اللّه تعالی علیه الشّهوة فاودع فیه الالتذاذ بالجماع کما اودع فیه الاستلذاذ بالاکل و الشّرب ونحوهما من الافعال، فیقوده الرفث الی نساء فیتّم بذلک امربقاء نوعه فمامن دابّة فی الارض الّاهوتعالی آخذ بنا صیتها انه علی صراط مستقیم وکلّ ذلک قدقدّراللّه تعالی لاجل غایة محدودة وهی بلوغ نفس الانسان الی الکمال المقضّی لهافاذا استکملت سواء کان الاستکمال فی السّعادة اوالشّقاوة و تجرّدت حصل الاستغناء عن تلک الآلات والجهازات، بل تکون

تلك الجوارح والادوات كلاّ" وبالاً" عليها ، الاترى انّ المشية محتاجا "اليها لحفظ الجنبين في برهه من الزّمان فاذااستكمل الجنين و قوى صارت المشيمة المحتاج اليها كلاً" عليه و وزراً" و من هنا يتطرّ ق الاشكال على ماورد من توصيف الـجنان ونعمها ـ الـجـسـمـانـيّـة مـن الـحـور و الـقـصـور ولحوم الطيور والثّمار والانهار ، وذلک لانّ الاعضاء والآلات ومايترّتب عليها من الافعال من التغذّى والجماع ونحوهما انمّا تكون لغاية البقاء شخصا "اونوعا" وقدفرض انّ الانسان يتجرّد بالموت فيمتنع عليه الفناء فله بعدالحياة الدنيوّية حياة سرمدّية خالدة يمتنع تطّرق الفساداليها فغرض عود الاعضاء والجوارح الجسمانيّة اليه في النشأة الآخرة مع كونها كلاً" و وبالاً عليه ، فرض العبث والجزاف في فعله سبحانه وتعالى عمايقول الظالمون علوا" كبيرا".

واجاب عنه بعض حفاّظ الشريعه : انّ بقاء وجودالانسان ليس الاّ هذاالوجود الذّى يمكث برهة من الزّمان بتحولّه من طور الى طور ، وليس ذلک الاّروحا" كائنا" من بدن وعلى بدن هومجموع هذه الاجزاء المأ خوذة من هذه العناصر والقوى الفعاّلة فيها ، ولوفرض ارتفاع هذه الامور التى نعدّها مقدماّت مقصودة للبقاء لم يبق وجود ولابقاء اعني انّ فرض عدمها هوفرض عدم الانسان

رأسا " لافرض عدم استمرار وجود الانسان فافهم ذلك.

فالانسان في الحقيقة هوالذّى ينشعب افرادا "وياكل و يشرب وينكح ويتصّرف فى كلّ شي بالاخذ والاعطاء يحسّ ويتخيّل ويعقل ويسّرويفرح ويبتهج وهكذا كلّ ذلك ملائم لذاته الذّى هوكالمجموع منها وبعضها مقدّمة لبعضها وهوالسّائر الدّائر في مثل مساقة دوريه.

فاذا نقله اللّه من دارالفناء الى دار البقاء وكتب عليه الخلود والدّوام امّا بثواب دائم اوبعقاب دائم لم يكن ذلك بابطال وجوده وايجاد وجود باق بل باثبات وجوده بعد ماكان متغّيرا " في معرض الزّوال فهولا محالة امّا متنعم بنعم من سنخ نعم الدّنيالكنّها باقية او نقم ومصائب من سنخ نقم الدّنيا ومصائبها وكلّ ذلك منكوح اوماكول اومشروب او ملبوس اوسكون اوقرين اوسرور اونحوذلك فالانسان هوالانسان ومايحتاج اليه ويستكمل به من مطالبه ومقاصده وانّماالفرق هواختلاف الدّارين بالبقاء ومايلحق به.

وهذاهوالذّى يظهر من كلامه سبحانه: وماالحياة الدّنيافى الآخرة الامتاع[1] ، فجعل نفس الحياة الدّنيامتاعا " فى الآخره يتّمتع به وهذا من ابدع البيان وباب ينفتح به للمتدّيرالف باب وفيه

---

١ ــ الرّعد ٢٦

تصدیق قول رسول الله ص کما تعیشون تموتون وکما تموتون تبعثون .

وبالجملة الحیاة الدّنیا وهی الوجود الدّنیوی بماکسب من حسنة اوسیّئة هو الذّی یتمّتع به فی الآخرة من حیث سعادته و شقائه ای مایراه فوزا " وفلاحا " لنفسه ومایراه خیبةو خسرانا " فیعطی سعادته باعطاء لذائذه اویحرم من نیلها و هما نعیم الجنّة وعذاب النّار .

وبعبارة اخری واضحة الانسان مثلا " سعادة بحسب الطبیعة وشقاء بحسبها و هما بقائه شخصا " ونوعا " وهما منوطتان بفعله الطّبیعی من الاکل والشّرب والنّکاح وقدزینت له بلذائذ مقدمیّة وهذا بحسب الطّبیعة ثمّ اذا اخذ الانسان فی الاستکمال واخذ فی الفعالیة بالشّعور والارادة صارنوعا " ، کماله هو الذّی یختاره شعوره وارادته فما لایشعر به ولا یشائه لیس کمالا " لهذا الموجود الشّاعر المرید وان کان کمالا " طبیعّیا " وکذا العکس کما نری انّالا نلتذّ بما لانشعر به وان کان من سعادة طبیعّیة کصحّة البدن والمال والولد ، ونلتذّ بما نشعر به من اللّذائذ وان لم یطابق الخارج کالمریض المعتقد للصّحة ونظائر ذلک فهذه اللّذائذ المقدمیّة تصیر کمالا " حقیقّیا " لـــــهذا الانسان وان کانت کمالات مقدمیّة للطبیعه فاذا ابقی اللّه سبحانه هذا الانسان بقاء مخلّدا " کانت سعادته هی الّتی یشائها

من اللّذائد ، و شقائها هوالذّی یشائه و سواء کانت بحسب الطبیعة مقدّمة اولم تکن اذمن البدیّهی انّ خیرالشّخص اوالقوّة الشاعرة المریدة هوفیما یعلم به ویشائه ،وشرّه فیمایعلم به ولایریده ،فقد تحصل انّ سعادة الانسان ان ینال فی الآخرة ماکان یریده من لذائذ الحیاة الدّنیامن الاکل والشرب والنّکاح ومافوق ذلک وهوالجنّة وشقائه ان لاینال ذلک وهوالنّار قال تعالی: لهم مایشائون فیها [1] .

---

۱ ــ ق ۳۶

الفصل الثالث

موقف تطاير الكتب

موقف الحساب

في المواقف

موقف الشفاعة

في المواقف

قدورد في غير واحد من الروايات المفسّرة لقوله تعالى: تعرج الملائكة والرّوح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة.[1]

انّ في القيامة خمسين موقفاً"، فمنها، عن امالي الشيخ ره عن حفص بن غياث قال: قال ابوعبداللّه جعفر بن محمّد عليهما السّلام: الافحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانّ في القيامة خمسين موقفاً" كلّ موقف مثل الف سنة ممّا تعدّون. ثمّ تلى عليه السّلام هذه الآية (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة، وعن الكافي مثله، وفي تفسير القمّي ذيل الآية الشّريفة قال: انّ في القيامة خمسين موقفاً" لكلّ موقف الف سنة، و روى عن ابن مسعود انّه قال: كنت جالساً" عند اميرالمؤمنين عليه السّلام فقال: انّ في القيامة خمسين موقفاً" كلّ موقف الف سنه.

---

١ ـ المعارج ۴

وفي كثير من الاخبار انّ قيام السّاعة يوم الجمعة: فمنها ما عن رسول اللّه ص: ما من ملک مقرّب ولاسماء ولاارض ولارياح و لاجبال ولابرّولابحر الّا وهن يشفقن من يوم الجمعة ان تقوم فيه السّاعة، و منها، عن اميرالموٴمنين ع عنه ص: تقوم السّاعة يوم الجمعة بين الصلّاتين: صلوة الظهر وصلاة العصر، ومنها ما عنه ص ايضا " حين سئل عن تسميته يوم الجمعة بها قال ص: هو يوم مجموع له النّاس وذلک يوم مشهود و يوم شاهد و مشهود الي غير ذلک من الرّوايات المذكورة في ج ٧ من البحار.

لايقال انّه لايعقل لليوم معني صحيح بعد فرض طيّ السّماوات و تكوير الشّمس و انتثار الكواكب وبالجملة بعد طيّ بساط الطبيعة وبطلان الحركات، يبطل الزّمان واليوم والشهر و نحوهما.

فانّه يقال: انّا قد نبهناک مرارا " علي انّ كلّ شيي موجود في الطبيعة قد تتنزّل باذن اللّه تعالي من خزائن الغيب وهو قوله تعالي: ان من شيئي الّا عندنا خزائنه و ما ننزّله الّا بقدر معلوم [1]، فمن الاشياء المنزلة من تلک الخزائن هما الازمان والايّام فلها وجود في مفاتح الغيب لايعلمها الّا هو بما يناسب ذلک الموطن

---

١ ــ الحجر ٢١

من اللّا محدوديه، فاذا نزل وجودها الى الطبيعة يتقدّر بقدر معلوم فتقدير وقوع قيام السّاعه في يوم الجمعة انمّاهو بحسب وجود الذی لو فرض نزوله من المفاتح والخزائن يكون يوم الجمعه فافهم.

روی فی مجمع البيان عن ابی سعيد الخدری انّه قال: قيل لرسول اللّه ص: ماطول هذااليوم ـ يعنی القيامه فقال ص: والّذی نفس محمد بيده انه ليخفّف علی المؤمن حتی يكون اخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها فی الدّنيا[1].

اقول: انّی قد تتبّعت الآثار للوقوف علی اثر وخبر مرویّ عن النّبی ص وآله ع فی طريقنا فی بيان ترتيب المواقف كلّها فلم نعثر عليه ورايت خبر اطويلا" فی بعض كتب القوم مرويّا عن اميرالمؤمنين عليه السّلام فی ترتيب المواقف وبيان مايجری فی كلّ موقف، وحيث لم نجد له سندا" يعتنی به تركنا نقله.

ونحن نذكر من المواقف ماهواهمّ فمنها موقف الحشر والمعرض قال تعالی: ويوم نسيّر الجبال وتری الارض بارزة وحشر ناهم فلم نغادر منهم احدا" و عرضوا علی ربّک صفّا لقد جئتمونا فرادی كما خلقناكم اول مرّة[2]

۱ ـ البحار ج ۷ ص ۱۲۳ ۲ ـ الكهف ۴۸ ـ ۴۷

وقال عزّوجلّ: يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية[۱] الى غيرها من الآيات ، والذّى ينبغي للباحث في هذا المقام هو التأمّل الصّادق فيما ورد في الكتاب والسّنة من حشر الناس على اصناف مختلفه و هيئآت متشتّتة.

فمن الكتاب قوله تعالى: يوم ينفخ في الصور و نحشر المجرمين يومئذ زرقا[۲] ، فالظّاهر انّ المراد من الزرقة هو العمى ، فانّ من ذهب نور عينه يكون ازرق فينطبق على قوله: من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمى[۳].

وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكما وصّماً "[۴]، وقوله تعالى: يوم نحشر المتّقين الى الرّحمن و فدا " و نسوق المجرمين الى جهّنم وردا "[۵][۶]، و قوله: يوم تبيّض وجوه و تسوّد وجوه[۷] وقوله عزّ اسمه: الذّين يحشرون على وجوههم الى جهّنم[۸]، و قوله: ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روؤسهم عند ربّهم ، وقوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النّار.[۹] وغيرها من الايات

۱ ـ الحاقّة ۱۸ ۲ ـ طه ۱۰۲ ۳ ـ طه ۱۲۴ـ ۱۲۳
۴ ـ الاسرى ۹۷ ۵ ـ مريم ۸۶ـ۸۵ ۶ ـ آل عمران ۱۰۶
۷ ـ الفرقان ۳۴ ۸ ـ السّجدة ۱۲۵ ۹ ـ ابراهيم ۴۹

واما السنه فكثيرة جدا " منها ـ و هوالاكثر ـ ما هومذكور فــي الاخبار المعراجيةو منها ، في الكافي عن الصادق ع يقول : ان المتكبرين يجعلون في صورالذر يتوطؤهم الناس حتى يفرغ الله تعالى من الحساب ، و مثله المروى عن ثواب الاعمال ص ۲۱۶ في البحار واليك شطرا "من ارقام الاخبار ۸۱ ـ ۸۲ ـ ۸۳ ص ۲۰۶ وخبر ۱۱۹ ص ۲۱۳ وارقام ۲۰ الى ۱۳۰ في ص ۲۱۷ و ۲۱۸ في ج ۷ من البحار .

ومنها مارواه في مجمع البيان وكذافي جامع القرطبي عن معاذبن جبل انه قال : قلت : يارسول الله اراءيت قول الله تعالى : يــوم ينفخ في الصور فتاءتون افواجا " ، فقال النبي ص : يا معاذ سئلت عن امرعظيم ثم ارسل عينيه باكيا " ثم قال يحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا " قد ميزهم الله من المسلمين وبدل صور هــم ، بعضهم على صورة القردة و بعضهم على صورة الخنازير ، و بعضهم منكوسون ارجلهم من فوق وجوههم من تحت ثم يسحبون عليها ، وبعضهم عمي يترددون ، و بعضهم صم بكم لايعقلون ، و بعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح من افواههم تيقذر هم اهل الجمع ، وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار ، وبعضهم اشد نتنا " من الجيف وبعضهم

يلبسون جبابا " سابغة من قطران لازقة بجلودهم :

فامّا الذين على صورة القردة فالقتّات من النّاس، وامّا الذّين على صورة الخنازير فاهل السّحت ، وامّا المنكوسون على روؤسهم فاكلة الربا ، والعمي الجائرون في الحكم ، والصّم البكم المعجبون باعمالهم ، والذّين يمضغون بالسنتهم فالعلماء والقضات الذين خالف اعمالهم اقوالهم ، والمقطّعة ايديهم وارجلهم الذّين يوذون الجيران ، والمصلّبون على جذوع من النّار فالسعاة بالنّاس الى السّلطان ، والذّين هم اشدّ نتنا " من الجيف فالذّين يتمتّعون بالشّهوات واللّذات و يمنعون حقّ اللّه في اموالهم ، والذّين يلبسون الجباب فاهل الفخر والخيلاء [1]

واعلم انّه قدثبت في محلّه انّ النّفس الانسانيّة في اوّل حدوثها امر بالقوّة وكذا البدن وهمامعا "يخرجان باذن اللّه من القوّة الى الفعل ، فما من نفس الّا وهي تخرج من القوّة الى الفعل ان ساعدها الشروط والمعدّات في مدّة حياتها الدنيّوية ولها بحسب الاعمال حسنة كانت او سيّئة ضرب من الفعليّة والتحصّل في جانبى السّعادة والشّقاوة ، فانّ القول والفعل وان كان وجودهما مادام في اكوان الحركات لاحظّ له من البقاء والثّبات ولكن من عمل عملا " اوتكلّم بقول ينعكس منه اثر في نفسه له ثبات مّا فاذا تكرّرت

١ ـ المجمع ج ١٠ ص ٤٢٣ والجامع ج ١٠ ص ٦٩٦٦

الاقاويل والافاعيل استحكمت الآثارو الحالات المنعكسة فصارت ملكات وصورا " راسخة، فـان الاشتداد في الكيفية يؤدى الى حصول صورة جوهرية كالحرارة الضعيفة في الفم اذا اشتدت فيه تعده لفيضان صورة جوهرية نارية من الجواد المطلق وكذلك الكيفية النفسانية اذااشتدت تعدها لفيضان الصورة الجوهرية التي هي مبداءآثار مختصة، ومن هذاالطريق تحدث ملكة الصناعات العلمية والعملية فاذا اشتدت الهيآت الرديئة مثل الحسد والمكرو الشهوه والافتراس وغيرها في النفس وترسخت فيها يتنوع الانسا ن بها في الحقيقة، و قد قرر ايضا " ان لكل خلق من الاخلاق المذمومة بدنا " يخصه فشاكله كل انسان تقتضي بدنا " مشاكلاً لها و قدافصح كتاب الله تعالى عن ارتباط ثابت بين الشاكلة والعمل بقوله: (قل كل يعمل عل شاكلته[1]) الشاكلة كمافي المفردات ماءخوذمن الشكل وهوتقييد الدابة ويسمى ماتقيدبه شكالا " و بمعنى السجية والطريقة فكما ان بين الشاكلة وبين العمل ارتباطا " ثابتا " فكذلك بينها وبين نوع تركيب البنية الانسانية رابطة خاصة فمن الامزجة مايسرع اليه الغضب وحب الانتقام ومنها، ماتغلى و

---

١ ـ الاسراء ٨٤

تفورفيه شهوة الطّعام اوالسّفاد و هكذا ، فليس يتساوى عمل الشّجاع والباسل والجبان الفاشل اذا حضرا موقفا " هائلا " ، ولا عمل الجواد الكريم ، والبخيل اللّئيم في مورد الانفاق ، فكذلك تختلف هيئآت ابدانهم حسب اختلاف السّجايا و الملكات بل ربّما يقال انّ تفاوت الاحوال الحاصلة لبدن الانسان واعضائه الطّرفيّة وتغيّر شكلها المرغوب فيه الي الشكل المهروب عنه في مدارج العمر تابع لتفاوت يقع في احوال النّفس وقواها لانّ المبداء الحافظ للمزاج والمُشّكِل للاعضاء هو النفس ومنشاء كلال البدن و فتور آلاته وقواه تغيّر طراوته انصراف النّفس الى عالمها عن تدبيرها وفي ذالك حكمة كون الموت طبيعيا ".

وبيّن ايضا " في الحكمة الالهيّة انّ الوجود كلّما " كان ابسط وعن قيود المادّة اجراء كان اشتماله على الكثرات اجمع ، وحيطته على المتضّادات اتّم فالمتفرّقات في عالم الزّمان مجتمعات في عالم الدّهر والمتّضادات في وعاء الخارج متلائمات في وعاء الذّهن والمختلفات في النشأة الاولى متفّقات في النشأة الآخرة كلّ ذالك لبساطة الوجود واوسعيّة الاوعية وقربها من عالم الوحدة القهاريّة المحيطة القيّومة على كلّ شيئ .

قال شيخنا سيّد الفقهاء العظام ذوالسيادتين امام الامّة

مولانا الخميني مدّ ظلّه في شرح دعاء السحر : سمعت من احد المشايخ من ارباب المعرفة يقول : انّ في الجنّة شربة من الماء [١] فيها كل اللّذات [٢] من المسموعات لفنونها من انواع الموسيقي والالحان المختلفة ومن المبصرات با جمعها من اقسام لذّات الاوجه الحسان وسايرها من الاشكال والالوان ومن ساير الحواسّ علي ذلک القياس حتي الوقاعات وساير الشّهوات كلّ يمتاز عن الاخر، وسمعت من احد اهل النظر رحمة اللّه تعالي يقول: ان

١ـ اقول و يشهد لهذا الاصل الخبر المروى عن مولانا الرضا عليه السلام عن الهروى . قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التّي اكل منها آدم وحوّا ماكانت؛ فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروى انها الحنط و منهم من يروى انها العنب و منهم من يروى انها شجرة الحسد فقال ع كلّ ذلک حقّ قلت فما معني هذه الوجوه علي اختلافها فقال يا ابا الصلت ان شجرة الجنّة تحمل انواعا " فكانت شجره الخيط و فيها عنب و ليست شجرة الدنيا ـ البحار ج ١١ ص ١٦٤

٢ـ قال المعلم الاول . ان العالم الاعلي هو الحي التام الذى فيه جميع الاشياء لانه ابدع من المبدع الاول التام ففيه كل نفس و كل عقل و ليس هناک فقر ولا حاجه البتته لان الاشياء التي هناک مملؤة غني و حياة تغلي و تفور ، و جرى حياة تلک الاشياء انما ينبع من عين واحده لاكانها حرارة واحدة اوريح واحدة فقط بل كلّها كيفية واحدة فيها كلّ كيفيه يوجد فيها كلّ طعم الاسفار ج٣ ص ٣٤٥

مقتضى تجسّم الملكات وبروزها في النشأة الآخرة، انّ بعض النّاس يحشر على صور مختلفة فيكون خنزيرا " وفارة وكلبا " الى غير ذلك في آن واحد ومعلوم انّ ذلك لسعة الوعاء و قربه من عالم الوحدة والتّجرد وتنّزهها عن تزاحم الطبيعة والهيولى، انتهى موضع الحاجة من كلامه روحي خدفداه

اقول: قد اشرنا في بعض الابحاث الى انّ البرهان العقلى قائم على انّ العلّية والمعلولّية بنحو الكمال والنقص، وانّ النقصان من لوازم المعلولّية وانّ النشأة الدّنيا مسبوقة الوجود بنشآت آخر فيستنتج من هذه الاصول انّ الكمالات المتحقّقة في هذه النشأة السافلة متحققه في النشآت العالية بنحو اتّم معرّة عمّا يلازمها النّقص والفقد اللاّزمين للمعلّولية.

مثلا "من كمالات هذه النشأة هو الالتذاذ بالطّعام والشراب فاوّل نقصان هذا الالتذاذ انّه وقتي غير دائم الوجود ومعذلك محفوف بالوف من الآفات والعاهات والتّكالبات والتّهارشات التّي يكفي واحد منها في تنغيص المعيشة وتمريرها ، وحيث اقيم البرهان على انّ هذه الكدورات من لوازم المادّة ففيما لامادّة له لاشي من تلك الممّرات والمكدّرات فلذائذ تلك النشأة المعرّاة عن المادّة لذائذ مثاليّة واياّك ان تتخيّل من المثال انّ تلك اللّذائذ و همّية سرابيّة

كمارجماً يحسب ذلک الجاهل بمقاصد اصحاب البرهان فيفترى على اولياء الحكمة وحفّاظ الشريعةوذلک بمانسوايوم الحساب .

ثّم انّ عالم المثال كان مقدارياً فهو محدود بالحدود المقداريّة وتلک الحدود والقيود منلوازم المثال فهذاايضا " نوعنقصان لاينفکّمن عالم المثال فيكون التذاذ البصر في هذاالعالم محدود منحازعن لذائذ ساير الحواسّ فلكلّ واحدة منها محلّ لاتتعدّاه نعم تشترک الكلّ فيانّها عارية عن قمرات الطبيعة و مكدّرات المادّة،وامّا العالم العقلي ففيه توجد تلک اللّذائذ على نهج البساطةوالجمعيّة، هذاكلّه في جانب السّعادة وعلى هذالقياس تكون الآلام والعقوبات في جانب الشّقاوة بل لايستحيل هناک وجودصور غير متناهية اذلاتجرى فيه براهين امتناع الامور غير المتناهية .

ان قلت : انّ ماقرّرتم منقيام البرهان على كميّتة اختلاف صورالنّاس في المحشر ، ثّم على مسئلة اللّذائذ والآلام ربمّا لايساعده الاصول العقلّية حيث انّ لازم صيرورة الملكات صورا " جوهريّة منوّعة هوخلودالعذاب مع انّ العذاب انمّا يكونعذابا " اذالم يلايم الطبع فيكون قسرا "، ومن المبرهنعليه انّ القسر لايدوم فيستنتج منه انّالعذاب يمتنع دوامه فلابدّوان ينقطع ،

وایضا " هذا ـ ای خلودالعذاب ینافی رحمة اللّه الواسعة لکلّ شیی وهوالقائل عزّاسمه: عذابی اصیب من اشاء ورحمتی وسعت کل شیی (۱) و قد قیل: وجدنا فی نفوسناممّن جبل علی رحمة لوحکّمه اللّه تعالی فی خلقه لازال صفة العذاب عن العالم واللّه سبحانه قد اعطاه مثل هذه الصفة الرحمانیّة ومعطی الکمال احقّ به وصاحب هذه الصفة انا وامثالی ونحن مخلوقون اصحاب اهواء فماظنّک بارحم الرّاحمین اذاکان شفیعا " للمذنبین وقدورد فی بعض الآثار: انّ آخر من یشفع هو ارحم الرّاحمین، لایسئل عمایفعل وهم یسئلون.

قلت: انّ مسئله خلود عذاب الکفّار والمشرکین من منصوصات الکتاب والواضحات الاخبار الصادرة عن النّبی وعترته صلوات اللّه علیه وعلیهم وقد نطق الشّرع الاطهر فی خصوصیّات عذابهم بمالامطمع للبرهان العقلی الی نیله، فانّ من شروط مقدمات البرهان کلیّتها و هی لاتنتج الجزئیّة والخصوصیّة، فلاسبیل الی الاشراف علی الخصوصیّة الّا من طریق الوحی صلوات اللّه علی اصحابه.

واماطریق البرهان العقلی فقد علمت انّه یؤدی اجمالا " الی ان الهیآت الردیئة اذارسخت فی النّفس صارت صورة جوهریّة/ نوعیّة

---

۱ ـ الاعراف ۱۵۶

ومن البديّهي انّها تتجرد عن المادة الهيولانيّة بالموت فلاسبيل للفسا داليها فيصدرمنها بهذه الصورة الراسخة الطارءة عليها بالطّبع جميع ماكان يصدر عنها بالقسر قبل الرّسوخ، مثلا " اذافرضنا انسانا منغمرا " في الشّهوات الحيوانيّة مثل السفادو الاكل و الشرب حتى تمكنت فيه الصوره البهيميّة الخنزريّة فصار انسانا خنزيريّا " يصدر منه بهذه الصورة الجديدة افعال الخنزير بالطّبع من غير قسر و لكنّه مع ذلك معذّب بها ، لانّ المفروض انّه مفطور على حبّ الكمال المطلق وبغض النقصان ، فطرة اللّه التّي فطرالنّاس عليها لاتبديل لخلق اللّه ، الاترى ان المبتلي بمرض الكابوس والماليخوليا الدّائم لايزال يصدر عن متخيّلته العليلة ، صور هائله ومناظر موءسفه ممّرة يعذّب بها و هو نفسه مصدر لتلك الصّور من غير قسر ، ولعلّك رايت المسترسم حين ماالقت اليه قوّته المتخيّلة الموءفة صورا " مولمة مثل احتراق داره وهلاكة اعزّته وهتك نواميسه وغارة امواله كيف ينادی بالويل والعويل فهومعذّب بتلك الصّور الصادرة من نفسه من غير قسر قاسر ، و هذا مع كونه ليس قسرا " حتّي يقال انّ القسر لايدوم ، لاينافي رحمة اللّه الواسعة لانّ معنى رحمة الواسعة العامّة هي الافاضة والاعطاء لكلّ شيي حسب استعداده ، فصورة الشقاء اللازم تستعّد لان يفاض عليها ماهو نكال وعذاب اليم فهده هي الرحمه الرحمانيّة التّي وسعت كلّ شيي في

صراط التّكوين كما انّ معنى رحمة الرحيميّة الخاّصة هي اعطاء ما يستحقّه الانسان ويستّعدله في صراط التوحيد والقرب من اسماء اللّطف وهذا هوالمستفاد من قوله عزّاسمه: من كان يريدالعاجلة عجلّنا له فيهاما نشاء لمن نريد ثّم جعلناله جهنّم يصليها مذموما " مدحورا "، ومن ارادالآخرة وسعى لهاسعيها فاولئك كان سعيهم مشكورا ".

كلّاً " نمدّ هولاء و هولاء من عطاء ربک وماكان عطاء ربک محظورا " (١) حيث جعل العذاب والشّكر من الامداد الناشي من عطاء الرّب تعالى.

واماّقول القائل وجد نافي نفوسنا ممن جبل...ففي غاية الوهن والغثاثة حيث قاس رحمةاللّه العاّمة بمعنى الافاضة والاعطاء في نظام الكون والوجود بالرحمة الموجودة في نفس الانسان، الـّتي بمعنى الحنان والاشفاق النّاشي من التأّثر القلبي وهذا المعنى كماتعلم يستلزم المادّة المنفعلة تعالى عن ذلک علّوا " كبيرا " فافهم.

---

١ ــ الاسراء ٢٥ ــ ١٨

« موقف تطاير الكتب »

« موقف تطائر الكتب »

ومن المواقف موقف تطائر الكتب وايتائها قال تعالى:
كلّ انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً "ـ
يلقيه منشورا" اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا "(١)

واعلم انّ الانسان في الحياة الدّنيا قد احيط بامور من مواليد الطبيعة مثل الزمان والمكان والاكل والشرب والنكاح و اللبّاس والتّكلم القائم بآلات والطيران بالاجنحة ونحوها ـ هي كالاغلال لفهمه وفكره، فكلّما قرع سمعه بشي من تلك الالفاظ اسبق منها الى فهمه ما هو المأنوس من مصاديقها وحملها على المصاديق المادّية لاغير، فاذا سمع مثلا" انّ بنا "ءقدبني دارا" كذائيّة في يومين انسبق من لفظة ـ يوم ـ الى ذهنه ماهو المصداق المعهود له، فلو اخبره مخبر بانّ في الوجود مصداقا" لليوم هو

---

١ ـ الاسراء ١٤ ـ ١٣

كالف سنة مماتعدّون اومقدار خمسون الف سنة ينبوطبعه لعدم انطباق ذلک علی ماهوالمعروف الماءنوس له وقدقال تعالی "تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة (١) ومن اصدق من اللّه حديثا"..

وتلک شنشة ضربت عليهاطباع اهل الجحد والعناد فافصح عنهاالقرآن الكريم في غير موضع مثل قوله تعالی ومايأتيهم من ذكر من ربّهم محدث الّااستمعوه وهم يلعبون (٢) وقوله: ويأتيهم من ذكر من الرّحمن محدث الّاكانوعنه معرضين (٣) و قوله: بل كذّبوا بمالم يحيطوا بعلمه (٤) فانّ النّاس اعداء ماجهلوا.

فمن فروع هذاالقياس انّه اذا قرع سمعه لفظ الكتاب حمله علیماهوالمتعارف عنده من نقوش مسطورة علی قرطاس مرقومة بالمداد المعهود مع انّه لوتاملّ واجال بصيرته لوجد معنی الكتاب اوسع مصداقا " فانّه كمايكون بالوضع كذلكيكون بالطبع والتّكوين له مصداق يقرء فيه النفسانيّات المستورة عن الحواسّ الظاهرة وذلک مثل الرّخوة والصفرةالعارضتين للخائف وقدقفّ شعره و تربدوجهه الی غير ذلک مماّهومكتوب عليه بمداد القوی وكذا

١ ـ المعارج ۴ ٢ ـ الانبياء ٢

٣ ـ الشعراء ۵ ۴ ـ يونس ٣٩

الحمرة والحرارة والرعشة القائمة بوجه الغضبان واعضائه مع اصطکاک اسنانه وقد قبض یده للوکز الی غیرها ممّا سطر علیه بمداد غلیان الدّم بقلم الانتقام المتحرّک باصابع الرباطات والاوتار مع دخل مالبعض المبادی النفسیّة فی تداعی العادات المفیدة والاحساسات المتشابهة.

فلو عرج بفکر مفتّشاً عن حقیقة الکتاب و هو ممّن آمن بکتاب اللّه العزیز الذی لایأتیه الباطل من بین یدیه ولامن خلفه لوجد الکتاب مصداقا" منزّها" عن اکدار الطبیعة مثل قوله تعالی اولئک کتب فی قلوبهم الایمان (١) و قوله لارطب و لا یابس إلّا فی کتاب مبین (٢) و قوله کلّ شیئ احصیناه فی امام مبین (٣) و قوله وانّه فی امّ الکتاب لدینا لعلّی حکیم. ۴

فقوله ـ امّ الکتاب ـ ظاهر فی انه کتاب هو اصل و مصدر لجمیع مافی العوالم من الموجودات ونسبته الیها نسبة الأُمّ و الاصل الی الفروع والاغصان والاوراق، وبالتدبر فیما ذکرنا یتبیّن له انّ البیانات الالهیّة امثال للمعارف الحقة وانّ الافهام ربّما لا تنالها الّا بهذا النهج کما صرّح به القرآن المجید: مثل الجنّة

---

١ ـ المجادله ٢٢
٢ ـ الانعام ٥٩
٣ ـ یس ١٢
۴ ـ الزخرف ۴

الّتي وعدالمتّقون [١] ولاسيّماقوله تعالى فلاتعلم نفس مااخفي لهم من قرّة اعين [٢]

فمن مصاديق الكتاب صحيفة العمل المذكورة في قوله تعالى: كلّ انسان الزمناه طائره في عنقه الى قوله كتاباً "يلقاه منشورا" [٣]: الطّائر هوالعمل الّذي يتخيل الانسان انه طار و افلت عنه خيرا" كان اوشرّا" فنبّهه اللّه تعالى علىلزوم كلّ عمل من قول اوفعل اوخير وشرّ لعامله بالزام اللّه تعالى، فكلّ عامل مضروب عليه عملهايّاًماكان فهويلازمه ولايفارقه وهوالّذي سيخرجه اللّه يوم القيامه كتابا" منشورا" يلقاه العامل ويؤمر بقرائته بقوله ــ اقرء كتابک ــ وان الحسيب عليه هونفسه و هي الكافية حسيبا" فعند ئذيرى ماكسب اواكتسبت يداه في الدّنيا معاينة فيقول: يا ويلتنا مالهذاالكتاب لايغادر صغيرةولاكبيرهالّااحصاها [۴]

ثّم انّه عزّوجلّ قسّم ايتاء الكتب وصحائف الاعمال بقوله: فامّامن اوتي كتابه بيمينه فيقول هاء ماقروءكتابيه [۵] الىقوله واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه [۶]

١ــ محمّد ١٥ ٢ ــ السّجدة ١٧

٣ــ الاسراء ١٣ ۴ ــ الكهف ۴٩

۵ ــ الحاقّة ١٩ ۶ ــ الحاقّة ٢۵

والظّاهران المراد باليمين والشّمال جهتاالبركةوالسّعادة و المشاءمةوالشّقاوة كمايشهد عليه قوله تعالى في سورةالواقعة: فاصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة واصحاب المشئمة مااصحاب المشئمة ثّم قال: واصحاب اليمين مااصحاب اليمين في سدر مخضود الى ان قال ـ واصحاب الشّمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم حيث وضع موضع الميمنةوالمشئمةاليمينوالشمال.

ثم انه تبارك وتعالي يقول: يوم ند عوكلّ اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينهفاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلا "(١).

فيستظهر منه ان كلّ امّة واناس يدعوهم اللّه تعالي بواسطة امامهم في ذلك المشهد الرهيب، فصنف منهم يوءتي صحائفهم بايمانهم اى بواسطة جهة يمنهم وسعادتهم وهوالامام الحقّ، وصنف منهم يوءتي صحفهم بشمائلهم اى بواسطة من هوجهة شوءمهم وشقائهم وهوالامام الباطل فهولاء هم الذّين قال اللّه فيهم: واماّ مناوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوثبورا "(٢)

وذلك لماتبيّن من الآيات انّ كلّاً " من اهل السّعادةوالشّقاوة

---

١ ـ الاسراء ٧١

٢ ـ الانشقاق ١١

يدعون بامامهم يوم القيامة ويؤتون كتبهم بواسطتهم فثبت بذلك انّ المراد باليمين والشمال في قوله تعالى: كتابه بيمينه وشماله في سورة الحاقّة هماجهتا السّعادة والشّقاوة.

فائمتّهم يقدمونهم يوم القيامة الّا انّ اصحاب الشقاء وجوههم منكوسة مردودة الى ادبارها فياخذون كتابهم من وراء ظهورهم والى ذلك يؤمي قوله تعالى: اذا المجرمون ناكسوا رؤسهم (١) وقوله ياايّها الذّين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدّقاً" لما معكم من قبل ان نطمس وجوها" على ادبارها (٢)

وامّا امام اصحاب السّعادة فهو النّور الذّى يسعى بين ايديهم وبايمانهم كما ورد في الخبر المروّى عن مولانا باقر العلوم ع في تفسير قوله تعالى: يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم قال عليه السّلام ائمّة المؤمنين يوم القيامه تسعى بين يدى المؤمنين وبايمانهم حتّى ينزلوهم منازل اهل الجنّة (٣)

ثّم انّه يظهر من القرآن الكريم انّ هذه الكتب وصحف الاعمال

---

١ ــ السجدة ١٢ ٢ ــ النّساء ٤٧

٣ ــ نور الثقلين ج ٥ ص ٢٤٠

**

انّماهی نسخ جزئیّة مستنسخة من نسخة اصلیّة کلیّة محیطة بجمیعها وهوقوله تعالی: وتری کلّ امّة جاثیة کلّ امّة تدعی الی کتابها الیوم تجزون ماکنتم تعلمون ، هذاکتابنا ینطق علیکم بالحقّ انّاکنّا نستنسخ ما کنتم تعلمون (۱) حیث بیّن تعالی بانّ ما عملوا من خیرا وشرّکان مستنسخا "من اصل آخر بواسطة العمّال والکتاب الحفظة والظّاهر انّ هذاالاصل هوالکتاب المبین الذّی فیه احصاء کلّ شئی و مرجع الجمیع هوامّ الکتاب ومن هذا یتبیّن انّللعمل قوسی النزول والصعود .

فــــی تفسیر القمی فی ذیل قوله تعالی ـ ن والقلم قال: فحدثنی ابی عن ابن ابی عمیر عن عبدالرحیم القصیر عن ابی عبداللّه قال سئله عن ـ ن والقلم ـ قال علیه‌السّلام: انّاللّه خلق القلم من شجرة فی‌الجنّة یقال لها الخلدثمّ قال لنهر فی‌الجنّةکن‌مدا دا "فجمدالنهرفکان اشدّ بیاضا " من‌الثلج واحلی من الشّهد .

قال‌للقلم اکتب ،قال‌ربّ وما اکتب قال اکتب ماکان وماهوکائن الی‌یوم‌القیامةفکتب القلم فی رقّ اشدّ بیاضا " من الفضّة واصفی من

---

۱ ـ الجاثیة ۲۹ ـ ۲۸

الياقوت ثمّ طواه فجعله في ركن العرش ثمّ ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق ابدا "، فهو الكتاب المكنون ـ المكتوب ـ الذّي منه النّسخ كلّها اولستم عربا " فكيف لاتعرفون معنى الكلام واحد كم يقول لصاحبه: نسخ ذلك الكتاب اوليس ينسخ من كتاب آخر ـ اخذ ـ من الاصل وهو قوله: انما نستنسخ ماكنتم تعملون.

وفي تفسير نور الثقّلين بعد ذكر الملكين الموكّلين على العبد قال: وفي رواية انّهما اذا ارادا النزول صباحا " ومساءا " ينسخ لهما اسرافيل عمل العبد من اللّوح المحفوظ فيعطيهما ذلك فاذا صعدا صباحا " ومساءا " بديوان العبد قابله اسرافيل بالنّسخ التّي انتسخ لهما حتّى يظهرانّه كان كما نسخ منه (١)

وهناك اخبار آخر صريحة في قوسي النزول والصعود للعمل كما استفدنا من نفس الكتاب، وهذا هو الذى يقتضيه البرهان فوجود الاعمال يطلع من مطلع الغيب الي الشّهادة ثم يغرب منها في مغربها و مغيبها.

ثّم لاريب في انّ الاعمال في مرحلة النزول طاهرة غير متطلخه باقذار العصيان لانّها من عطاء ربك وانما يتكّدر منها ما يتكدّر و

١ـ نور الثقلين ج ٥ ص ۶

يطبع بطابع المعصية بسوء اختيار العبد فهو اولى بسيّآته كمانّه تعالى اولى بحسناته منه، وقد استفاضت الاخبار بذلك.

فمنها ما عن البزنطي عن مولانا الرّضا عليه السّلام قال: قال اللّه تعالى يابن آدم بمشيّتي كنت انت الّذى تشاء وبنعمتى ادّيت اليّ فرائضي وبقدرتي قوّيت على معصيتي خلقناك سميعا " بصيرا " انا اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيّئاتك منّي، لانّي لا اسئل عماافعل وهم يسئلون و قدنظمت جميع ماساءلت عنه (١)

واعلم انّ قوله سبحانه " طائرة فى عنقه" ربّما يظهر منه بالتاءمّل والتّدبر معنى لطيف في باب المجازاة واظّن ان تعبير " تطائر الكتب " الواقع فى بعض ادعية تلقين المحتضر والميّت و كذا في بعض كتب الاعتقادية ماءخوذ من الآية الكريمه، ولم نجد هذاالتعبير مصرّحا " في رواياتنا ، وان كان معناه مستفادا " منها ومن الآيات الكثيره حيث تدّل على انّ لجزاء الاعمال نظاما " عجيبا "، وانّ بعض الاعمال السيّئة ينقل اثم من وقع عليه العمل الى العامل كقوله تعالى: انى اريدان تبوء باثمي واثمك، فهذا كالصّريح في انّ اثم يطيرعنه الى القاتل (٢)

---

١ ــ البحار ج ٥ ص ٤ ٢ ــ المائدة ٢٤

وانّ منها ماينقل مثل سيّئآت الغير الى الانسان كقوله تعالى : ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذّين يضلّونهم بغير علم (١) الى غيرها من الآيات الباحثة عن طيران العمل ونقله ولحوقه وجرت على طبقها الرّوايات الصادرة عن بيت الوحى ـ العصمة على اهله الصلّوات والسّلام ونحن نقتصر على واحدة منها فمن اراد التّوسعة فليراجع الى محالّها .

روى الصدوق قدّه في العلل عن حنّان بن سدير عن ابيه عن ابى اسحاق الليثى قال : قلت لابى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام : يا بن رسول اللّه اخبرني عن المؤمن المستبصر اذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزنى ؟ قال اللّهم لا ، قلت فيلوط ؟ قال اللّهم لا ، قلت فيسرق ؟ قال اللّهم لا قلت : فيشرب الخمر قال لا قلت : فياتى بكبيرة من هذه الكبائر اوفاحشة من هذه الفواحش قال لا قلت فيذنب ذنباً " ؟ قال نعم وهو مؤمن مذنب مسلم قلت : ما معنى مسلم ؟ قال : المسلم بالذنب لايلزمه ولا يصير ـ يعيّر ـ عليه قال فقلت سبحان اللّه ما اعجب هذا لايزنى ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا ياتى بكبيرة من الكبائر ولا فاحشة .

---

١ ـ النحل ٣٥

فقال عليه السّلام لاعجب من امراللّهانّ اللّه عزّوجلّ يفعل ما يشاء ولايسئل عمّايفعل وهم يسئلون فممّ عجبت يا ابراهيم؟ سل ولا تستنكف ولاتستحسر فانّ هذاالعلم لايتعلّمه مستكبر ولا مستحسر

قلت: يابن رسول اللّه انّي اجدمن شيعتكم من يشرب ويقطع+ الطريق ويحيف السبيل ويزني ويلوط وياكل الرباو يرتكب الفواحش و يتهاون بالصلاة والصيّام والزكاة ويقطع الرّحم و ياتي بالكبائر فكيف هذا؟ولم ذاك؟!

ـ فقال ياابراهيم هل يختلج في صدرك شيي غير هذا؟ قلت: نعم يابن رسول اللّهاخرى اعظم من ذلك فقال وماهويا اباسحق؟ قال: فقلت يابن رسول اللهواحدمن اعدائكم و مناصبكم من يكثر من الصلاة و من الصيّام ويخرج الزكاة ويتابع من الحجّ والعمره ويحضّ على الجهاد ويأثر على البّرو على صلةالارحام ويقضي حقوق اخوانهو يواسيهم من ماله ويتجنّب شرب الخمر والزنا واللّواط وسائر الفواحش فممّ ذاك ولم ذاك؟ فسّره لي يابن رسول اللّه وبرهنهوبيّنه فقدواللّه كثر فكرى واسهر ليلي وضاق ذرعي.

قال فتبسّم صلوات اللّه عليه ثمّ قال: يا ابراهيم خذاليك بيانا " شافيا " فيما سالت وعلما " مكنونا " من خزائن علم اللّهوسرّه اخبرني ياابراهيم كيف تجد اعتقادهما؟

قلت: يابن رسول اللّه اجد محبّيكم وشيعتكم على ماهم فيه ممّا وصفته من افعالهم لو اعطى احدهم ممّا بين المشرق والمغرب ذهباً " وفضةً ان يزول عن ولاتيكم ومحبّتكم الى موالاة غيركم والى مجتّهم مازال ولو ضربت خياشيمه بالسّيوف فيكم، ولو قتل فيكم ماارتدع و لارجع عن مجتّكم و ولاتيكم.

وارى النّاصب على ماهو عليه مما و صفته من افعالهم لو اعطى مابين المشرق والمغرب ذهبا "وفضّةً ان يزول عن محبّة الطواغيت و موالاتهم الى موالاتكم مافعل ولازال ولو ضربت خيما شيمه بالسّيوف فيهم ولو قتل فيهم ما ارتدع ولارجع واذا سمع احدهم منقبةً لكم وفضلا " اشمأّز من ذلك و تغيّر لونه ورئى كراهيّة ذلك فى وجهه بغضا " لكم ومحبّة لهم.

قال فتبسّم الباقر عليه السلام ثم قال: يا ابراهيم ههنا هلكت العاملة الناصبة تصلى نارا "حامية تسقى من عين آنية ومن اجل ذلک قال عزوجل: وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا "،

ويحک يا ابراهيم اتدرى ماالسّبب والقصّة فى ذلک وماالذّى خفى على النّاس منه قلت: يابن رسول اللّه فبيّنه لى واشرحه وبرهنه.

قال: يا ابراهيم انّ اللّه تبارک وتعالى لم يزل عالما " قديما " خلق الاشياء لامن شيى ومن زعم ان اللّه عزّوجلّ خلق الاشياء من

شیئی فقد کفر لانّه لوکان ذلک الشیّی الذّی خلق منه الاشیاء قدیما " معه فی ازلیّته وهویّته کان ذلک از لیّا "بل خلق اللّه عزوجل الاشیاء کلّها لامن شیی فکان مماّخلق اللّه عزّوجلّ ارضاً طیّبةً ثمّ فجرمنها ماء عذبا " زلالاً " فعرض علیها ولایتنااهل البیت فقبلها فاجری علیها ذلک الماء سبعة ایاّم حتّی طبقّها وعمّها ثم نضب ذلک الماء عنها واخذمن صفوة ذلک الطّین طینا " فجعله طین الائمّة علیهم السّلام ، ثمّ اخذ ثفل ذلک الطّین فخلق منه شیعتنا ولوترک طینتکم یا ابراهیم علی حاله کماترک طینتنا لکنتم ونحن شیئا " واحدا " .

قلت : یابن رسول اللّه فمافعل بطینتنا ؟ قال : اخبرک یا ابراهیم : خلق اللّه عزوجل بعد ذلک ارضاً " سبخة خبیثه منتنة ، ثمّ فجر منها ماءا "اجاجا " آسنا " مالحا " فعرض علیها ولایتنا اهل البیت ولم تقبلها فاجری ذلک الماء علیها سبعة ایاّم حتّی طبقّها و عمّها ثم نضب ذلک الماء عنها ثمّ اخذ من ذلک الطین فخلق منه الطغاة وائمتّهم ثمّ مزجه بثفل طینتکم ولوترک طینتهم علی حاله ولم یخرج بطینتکم لم یشهدوا الشهادتین ولاصلّوا ولاصاموا ولازکّوا ولاحجّوا ولاادّوا امانة ولا اشبهوکم فی الصّور ولیس شیئ اکبر علی المؤمن من ان یری صورة عدّوه مثل صورته .

قلت : يابن رسول الله فما صنع بالطينتين ؟ قال :مزج بينهما بالماء الاوّل والماء الثّاني ، ثمّ عركها عرك الاديم ثمّ اخذ من ذلك قبضة فقال :هذه الي الجنّة ولا ابالي واخذ قبضة اخرى وقال هذه الي النّار ولا ابالي ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المومن وطينته فمارأيته من شيعتنا من زنا ولواط اوترک صلاة اوصيام اوحجّ اوجهاد اوخيانة او كبيرة من هذه الكبائر فهومن طينة النّاصب وعنصره الّذى قدمزج فيه لانّ من سنخ النّاصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر ، ومارأيت من الناصب ومواظبته على الصلّاة والصّيام والزكّاة والحجّ والجهاد وابواب البّر فهومن طينة المؤمن وسنخه الّذى قد مزج فيه ، لانّ من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم .

فاذا عرضت هذه الاعمال كلّها على اللّه عزّو جلّ قال :انا عدل لاجور ومنصف لاظلم و حكم لاحيف و لااميل و لاشطط ، الحقوا الاعمال السئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته و الحقوا الاعمال الحسنة التّي اكتسبها النّاصب بسنخ المؤمن وطينته ردوها كلّها الي اصلها فانّي انا اللّه لااله الّا انا عالم السّرواخفي وانا المطّلع على قلوب عبادى ، لاحيف ولاظلم و لاالزم احدا الّاما

---

١ ــ تطائر الكتب من فروع . كل شيي يرجع الي اصله

عرفته منه قبل ان اخلقه.

ثمّ قال الباقر علیه السلام یاابراهیم اقرء هذه الآیة قلت یا بن رسول اللّه ایّة آیة قال: قوله تعالی: قال معاذ اللّه ان ناخذ الاّ من و جدنامتاعنا عنده اناّاذا لظالمون ، هوفی الظاهر ما تفهمونه و هوفی الباطن هذا بعینه، یاابراهیم انّ للقرآن ظاهراء و باطناء و محکماو متشابهاو ناسخاو منسوخا.

ثم قال: اخبرنی یا ابراهیم عن الشّمس اذا طلعت و بدا شعاعها فی البلدان اهوبائن من القرص؟ قلت فی حال طلوعه بائن قال الیس اذا غابت الشمس اتّصل ذالک الشعاع بالقرص حتّی یعود الیه؟ قلت نعم قال کذلک یعودکلّ شیيء الی سنخه و جوهره واصله ،فاذا کان یوم القیامة نزع اللّه عزوجل سنخ الناصب و طینته مع اثقاله و اوزاره من المؤمن فیلحقها کلّها بالنّاصب، و ینزع سنخ المؤمن و طینته مع حسنانه وابواب برّه واجتهاد من النّاصب فیلحقها بالمؤمن افتری هاهنا ظلماً و عدوانا قلت: لایابن رسول اللّه قال: هذاواللّه القضاء الفاصل و الحکم القاطع والعدل البین لایساءل عمّا یفعل و هم یسئلون هذا یاابراهیم الحقّ من ربّک فلاتکن من الممترین هذا حکم الملکوت.

قلت: یابن رسول اللّه و ماحکم الملکوت ؟ قال حکم اللّه

و حکم انبیائه و قصة الخضرو موسی علیهما السّلام حین استصحبه فقال: انک لن تسئطیع معی صبراء و کیف تصبر علی مالم تحط به خبرا. افهم یا ابراهیم و اعقل انکر موسی علی الخضر و استفظع افعاله حتّی قال له الخضر یاموسی ما فعلته عن امری انما فقلته عن امراللّه عزّوجلّ ، من هذا ویحک یاابراهیم قرآن یتلی واخبار توءثر عن اللّه عزّوجلّ من ردّمنها حرفا فقد کفرواشرک و ردّعلی اللّه عزّوجلّ.

قال اللّیثی: فکانّی لم اعقل الآیات و انا اقراء ها اربعین سنة الاذلک الیوم فقلت: یابن رسول اللّه مااعجب هذا توءخذ حسنات اعدائکم فتّرد علی شیعتکم و توءخذ سیّئآت مجبّیکم فتّرد علی مبغضیکم ؟ قال: ای واللّه الذّی لااله الاهو فالق الحبّة و باریٔ النسمة و فاطرالارض والسّماء مااخبرتک الّابالحقّ و ما اتیتک الّا بالصّدق و ما ظلمهم اللّه و مااللّه بظلّام للعبید وانّ ما اخبرتک لموجود فی القرآن کله، قلت هذا بعینه یوجد فی القرآن قال نعم یوجد فی اکثر من ثلاثین موضعاً فی القرآن ، اتحبّ ان اقراء ذلک علیک ؟ قلت : بلی یا بن رسول اللّه فقال: قال اللّه عزّوجلّ: و قال الذّین کفرو للذّین آمنوا اتّبعوا سبیلنا ولنحمل خطا یاکم و ماهم بحاملین من خطایاهم من شی انّهم لکاذبون

ولیحملّن اثقالهم و اثقالا مع اثقالهم . (۱)

ازیدک یاابراهیم قلت بلی یابن رسول اللّه قال : لیحملوا اوزارهم کاملة یوم القیامة من اوزار الذّین یضلّونهم بغیر علم الاساء مایزرون . (۲)

اتحّب ان ازیدک قلت : بلی یابن رسول الله قال : فاولئک یبدّل اللّه سیّآتهم حسنات و کان اللّه غفوراء رحیماء (۳) یبدّل اللّه سیّئآت شیعتنا حسنات و یبدّل اللّه حسنات اعدائنا سیّئات .

وجلال اللّه ووجه اللّه انّ هذا لمن عدله و انصافه لاراد لقضائه و لامعقّب لحکمه و هو السّمیع العلیم الم ابیّن لک امر المــــزاج والطینتین من القرآن ؟ قلت بلی یابن رسول الله قال : اقراء یـــا ابراهیم الذّین یحبتنبون کبائر الاثم والفواحش الّا اللّمم انّ ربک واسع المغفرة هو اعلم بکم اذا انشأکم من الارض یعنی من الا ر ض الطیّبة والارض المنتنة

فلاتزکّوا انفسکم هو اعلم بمن اتّقی ، یقول لایفتخر احدکم بکثرة صلاته و صیامه و زکاته و نسکه لانّ اللّه عزّوجلّ اعلم بمن اتّقی منکم فانّ ذالک من قبل اللّمم و هو المزاج .

---

۱ ــ العنکبوت ۱۲ ۲ ــ النحل ۲۵ ۳ ــ الفرقان ۷۰
۴ ــ النجم ۳۲

از یدک یاابراهیم ؟قلت : بلی یابن رسول اللّه قال :کما بد ئکم تعودون فریقاً هدی و فریقاً حقّ علیهم الضّلالة انّهم اتّخذوالشّیطان اولیاءمن‌دون‌الله[۱] : یعنی ائمّة الجور دون ائمّة الحقّ (و یحسبون انّهم مهتدون) خذها الیک یااباااسحاق فواللّه انّه لمن غرراحاد یثناو باطن سرائرنا و مکنون خزائنا و لاتطّلع علی سرّنااحدا الاّ مومناً مستبصرا فانّک ان‌اذعت سرّنا بلیت فی نفسک و مالک واهلکو ولدک[۲] صدق ولیّ اللّه صلوات علی آبائه وعلیه‌اجمعین

اقول : مضمون هذا الخبر بالغ حدّالتواتر المعنوی فراجع‌الی اخبار الطینة خصوصاً تعرف صدق قولنا والغرض من نقل هذاالخبر بطوله هوبیان حقیقة التّطائر و حیث کان‌الخبر الشریف مبیّناً مضمونه بآیات‌الکتاب فنحن فی غنی عن شرحه والاستدلال علیه لمن آمن بالکتاب المبین و ان کان‌له شرح‌طویل بالاصول الحکمّیة والقواعدا الفنّیة لیس هنا موضع ذکره معانّک لواحطت بماسبق من‌الابحاث فی‌البر زخ و غیره لاستطعت تطبیق تلک الا صول علی الخبر.

---

۱ ــ الاعراف ٢٩ ٢ ــ البحار ج ۵ الخبر ۶

ان قلت: بناء على تبديل السيّآت الى الحسنات يلزم ان يكون من هواكثر سيّئة اربح تجارة واحسن حالاً ولازم دلک هوتشويق النّاس و بعثهم على الاستباق الى المعاصي و السيّئآت و من المعلوم انّ تلک المزعمة هادمة لاسس النّبوة والتّشريعات فتوءدی الی الرج والمرج وهلاک الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .

قلت : انّ تبديل السيّآت الی الحسنات من منصوصات الکتاب المجيد کما صرّح به الخبر الشريف وبيانه بحيث يندفع الاشکال والسئوال يتوقف على ذكر امور.

احدها انّ کلّ واحده من الحسنة والسيئة ليست نفس الفعل الصار من الفاعل ، المتقوّم بالحرکات المتصرّمة لانّ الفعل بذاته مشترک بينهما کالوقاع فانّه بنفسه قابل لان ينطبق عليه الزنا والنکاح ، بل المقوّم کلّ واحدة منهما هو الفعل المتّصف بموافقه الشّارع و مخالفته بحيث يتأثّر به نفس الانسان ويلزم ذلک في عنقه و بعبارة اخرى المتحقّق لعنوان السيئة هو الفعل المخالف للشرع المتاءثّر به الانسان والحسنة بخلافها و عليه فتكون السيّآت لوازم العمل المخالف للشرع الحائقة باهلها .

ثانيها : انّ ظاهر الآية الشريفة و هو قوله تعالى : الّا من تاب وآمن و عمل صالحاء فاولئک يبدّل اللّه سياتهم حسنات و کان اللّه غفورا رحيما "[1] في مقام بيان تبديل السيّئات الى الحسنات بحسب

---

۱ ــ الفرقان ۷۵

الکیفیّة لمجیی "حسنات" علی هیئة النکرة فیکون الکمّیة مهملة فلا اطلاق لها بالنّسبة الیها ونظیره فی المحسوسات انّا اذا فرضنا شخصین قدا بتلیا فی جسمهما بامراض نتنة متعفنة لکن کمّیة مرض احدهما اکثر من کمیة مرض الآخر فعالجهما الطّبیب الحاذق باذن اللّه فقلنا انّ اللّه سبحانه بدّل عفوناتهما بید الطّبیب الی الطّراوات فلیس المراد انّ من کان اشدّ نتنا "فهو اکثر طراوة بل المراد تبدیل منایتنهما الی المعاطیر، والحاصل ان المنساق من الآیه هو التبدیل فی الکیفیة فلا نظر لها الی الکمّیّة فافهم

ثالثها . ان التبدیل قد اشترط فی الآیه بامور ثلاثه . هی التوبه والایمان والعمل الصالح فمن اکتمل تلک الشروط الثّلاثة یجری فی حقّه التّبدیل ومن فقدها او احدها فلا تبدیل فی حقّه علی ما یعطیه الاشتراط.

اذا عرفت تلک الامور فاعلم انّ لکلّ واحد من شروط التّبدیل حدودا مقرّرة فی محلّها و قد قرّر سبحانه تعالی حدود التّوبة : انّما التّوبة علی اللّه للذّین یعملون السّوء بجهالة ثمّ یتوبون من قریب فاولئک یتوب اللّه علیهم وکان اللّه علیما حکیما .[1]

---

١ ــ النساء ١٧

و حاصله انّ اللّه يقبل التّوبة عن عامل السّوء بجها لة اى لهوى نفساني وداعية شهوة و غضب ثمّ ندم عليه بعدزوال تلك الدّواعي و امّاالذّين يعملون السيّئآت عن استخفاف باللّه و آياته و عن لجاج وعناد فليست التّوبة لهم وهوقو له تعالى : وليست التوبة للذّين السيّئآت حتّى اذا حضراحدهم الموت قال انّي تبت الآن ولاالذّين يموتون وهم كفّار . [1]

ومن المعلوم ضرورة انّ من يتّخذ التوبة اولا نتساب الى اولياء اللّه تعالى ذريعة الى السيّئآت فقد استخّف بآيات اللّه واتخّذها هزواً اللّه يستهزى بهم و يمدّهم في طغيانهم يعمهون ، فالشّرط الاوّل من شروط التّبديل وهي التّوبة في حقّ هولا المستخّفين بآيات اللّه مفقود فهم محرومون عن التّوبة باستخفا فهم واستهزائهم بالآيات الالهيّة فانّى يكون التّبديل في حقّهم هذا كلّه بالنسبة الى الشرط الاوّل و امّا الشّرطان الآخران فليطلب حدود هما في محلّهما فانّ الطالب يجدهما مفقودين في حقّهم ايضاً فتدّبر .

وفي خبر آخر عن مولانا الباقر عليه السّلام قال : انّه اذا كان يوم القيامة وحاسب اللّه عبده المؤمن اوقفه على ذنوبه ذنبا "ذنبا" ، ثمّ

---

١ ـ النساء ١٨

غفرها له لایطّلع علی ذلک ملکاً مقرّباً و و لانبّیا " مرسلاً الی ان قال علیه السّلام : ویستر علیه من ذنوبه مایکره ان یوقفه علیها قال : و یقول لسیّآته :کوني حسنات قال وذلک قول اللّه تبارک وتعالی : اولئک یبدّل اللّه سیّآتهم حسنات وکان اللّه غفورا " رحیما " (۱)

وفی خبر آخر عنه علیه السلام : انّه تعالی یعرّفه ذنوبه حتّی اذا اقّر بسیئآته قال اللّه عزوجل للکتبة : بدّلوا حسنات واظهروها للنّاس.

اقول : تبدیل السّیئة قد یتصور علی طریق الغفران والستر وذلک یتحقّق بنحوین :امّا بالمحوو الاعدام ومرجعه الی الرحمة الّتي وسعت کلّ شیي ، وهی الّتی سبقت الغصب الّذی هو العارضی ، والعارضی بقائه بالفاعل والقابل ، والمفروض انّ الفاعل ذو رحمة والسعة ، واما القابل فبرجوعه وتوبته الی ستّار العیوب وغفّار الذنوب ، بطل قابلیته للغصب فلایبقی السّیئة سیّئة ولکن لم یّسد مسدّها شیئ .

وامّا بالتبدیل الی الحسنة وهو تبدیل الحقیقی الّذی اشار الیه الباقر علیه السلام "کوني حسنات" ، فبیانه فی غایه الصعوبة

---

۱ ــ البحار ج ۷ ص ۲۶۵

الاّ بنحو التمثيل ، فان الذهبه المستكنه في النحّاس اذا ورد عليها اكسير ارباب الصّناعة يتبدّل النحاس ذهبا " ويخرج الذّهب المكنون من الكمون الى البروز ، و كذلك اذا ورد اكسير عناية اللّه تعالى على السيّئآت يبدّلها حسنات ، فيجعل القبيح حسنا " والحسن احسن فيصير التمرة كاحد ويوجر من اتى بمعصية اجرمن اتى مقابلها من الحسنات فالقتل باالاحياء والغصب بالصدقه والتبييت بمالا يرضى من القول بتهجّد نوافل اللّيل وقس على ذلك واللّه تعالى هوا لاعلم بحقائق الامور .

ثمّ انّه قوله تعالى : وكنتم ازواجاً " ثلاثة فاصحاب الميمنة ما صحاب الميمنة واصحاب المشاءمة ما اصحاب المشأمة والسّابقون السّابقون ، صريح في تثليث النّاس يوم القيامة ولكن في موقف ايتاء الكتب ذكر الزوجين الاوّلين وهما اصحاب اليمين واصحاب الشمال فستظهر منه انّ السّابقين المقرّبين هم المخلصون المستثنون عن حكم الصعقة والفزع والاحضار على مااستظهرناه عند البحث عن نفخ الصور من انّهم عليهم السّلام بفنائهم في اللّه ، لايرون الخلق و لا ابليس لعنه اللّه فلا ينا لهم وسوسته ولا اغوائه واضلاله فلايشملهم حكم المواقف فافهم .

«موقف الحساب»

«موقف الحساب»

ومن المواقف موقف الحساب قال اللّه تعالى: فامّا من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا " يسيرا " وينقلب الى اهله مسرورا " (١)

قال في المفردات "الحساب استعمال العدد " يعنى استعمال العدد لتبيين ماهو المجهول وكشفه جمعا " اوتفريقا "، ضربا "اوتقسيما" اوغيرها، مثلا " اذا اردنا ان نعلم عدد ركعات الصلّات التّى صلّاها زيد في ثلثين سنة وضعنا عدد ٣٠ مضروبا " في ٣٦٥ وهى ايّام السّنة ثمّ الحاصل منه في ١٧ ركعة وهى عدد ركعات الفرائض اليوميّة، فالحاصل منه هى عدد الركعات المطلوب فالحساب فى متفاهم العرف هى اعمال القواعد العدديّة للكشف المطلوب المجهول نظير تحصيل المجهول التصوّرى والتّصديقى باستعمال الحدود

---

١ ــ الانشقاق ٩ ــ ٨

والقياسات ومن البديهيّ انّ هذاالعمل ليس له شأن الّا الطريقة والكشف عن المجهول لا ايجاد الواقع ، فالواقع واقع على ماهوعليه وموجود في ظرفه سواء قام عليه طريق املا ، فالطرق الحسابيّةو اعمال القواعد العدديّة ليست من علل وجود الواقع ، ومن هذا يتبيّن انّ الحساب بهذا المعنى انما يتطّرق في ظرف غيبوته الواقع ، والجهل به ، واما بالنسبة الى من عنده مفاتح الغيب وخزائن الاشياء فغير معقول فانه لايعزب عن علمه مثقال ذرّة في الارض ولافي السّماء ولا اصغر من ذلک ولااكبر الّافي كتاب مبين ،وكلّ موجود ، حضوره للّه تعالى اقوى من حضوره لنفسه كما قرّرفي محله ، فمعنى محاسبة اللّه تعالى للعباد هوعرض الواقع المحفوظ عليهم بكشف الغطاء عنهم ورؤية العبد ماعمله من مثقال ذرّة خيرا " اوشّرا " قال تعالى : يومئذ يصدر الناس اشتاتا " ليروا اعمالهم فقي تفسير القمّي ذيل الآية الشريفة : ليقفوا على ما فعلوه ، ونقل في البحار انّ الرؤية ها هنا المعرفة بالاعمال عندتلک الحال وهي رؤية القلب .

وعلى هذاالتّقرير فينطبق الحساب على قوله تعالى : "تبلى السّرائر " فالحساب حقيقة هوظهور الاعمال بصور غاياتها ونتائجها ، نظير بروز الحبّ والنّوى بصور السّنبل والشّجر المثمريوم الحصاد ، بتقدير فالق الحبّ والنّوى جلّ وعلا وبالجملة فموقف الحساب موقف

الكشف عن غايات العقايد والاعمال قال عزّوجلّ "لقد كنت فی غفلة هن هذا فكشفنا عنک غطائک فبصرک اليوم حديد (١)

قال الغزالي في كتابه المضمون الكبير الحساب جمع متفرقّات المقادير وتعريف مبلغها ومامن انسان الّاوله اعمال متفرّقة نافعة وضّارة ومقّربة ومبعدّة لاتعرف فذلكتها وقد لاتحصر آحاد متفرقّاتها فاذا حصرت المتفرقّات وجمع مبلغها كان حسابا "، فان كان فی قدرة اللّه تعالي ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقّات اعمالهم ومبلغ آثارها فهواسرع الحاسبين، ومعلوم انّ في قدرته ذلک فاذن هواسرع الحاسبين قطعا " وسئل اميرالموءمنين علي بن ابيطالب كرم اللّه وجهه: كيف يحاسب اللّه الخلق في لحظة من غير تشويش ولاغلط فقال رضي اللّه عنه: كما يرزقهم مع سائرالحيوانات بلا تشويش ولاغلط. انتهي كلامه.

اقول: غرضنا من نقل كلامه هوالتوطئة لنقل هذهالرواية اللطيفة الصادرة عن تالي النّبی ص المبينة للحساب وسرعته حيث جعل الحساب كالرزق الذّی هي العطية الالهيّة العامّة التّي بها يستمّد كلّ موجود في بقائه، فمامن دابّة فيالارض الّا علياللّه رزقها و

---

١ – ق ٢٢

يعلم مستقرّها و مستودعها كلّ ذلك في كتاب مبين فكما لايتطرّق تشويش الي جنابه تعالي في الرّزق فكذلك في الحساب فانّ الحساب الالهّي كما عرفت ليس الّاعرض الاعمال بصور غاياتها ونتائجها الاخرويّة، ومن المعلوم انّ تلك الغايات والنتائج لاتوجد بانفسها، بل هي من العطايا المفاضة منه عزوجل على بذور الاعمال فانّ الدّنيا مزرعة الآخرة، فيرجع الحساب الي العطيّة الالهيّة العامّة كالرّزق الذّي عرفت حاله وهذه الرواية في نهج البلاغه مع اختلاف ما في التعبير و هو قوله عليه السّلام بعد سئل كيف يحاسب اللّه الخلق على كثرتهم؟ كمايرزق على كثرتهم فقيل: كيف يحاسبهم ولايرونه فقال عليه السّلام: كمايرزقهم ولايرونه.[1]

وما ذكرنا يتبيّن معني قوله تعالي: اقترب للنّاس حسابهم وهم في غفلة معرضون[2]، وقوله سبحانه: والذّين كفروا اعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظّمآن ماءا "حتّي اذاجاءه لم يجده شيئا" ووجداللّه عنده فوفّاه حسابه وللّه سريع الحساب[3] فانّ التّدبرفي معنى اقتراب الحساب للنّاس وانّهم في غفلة وفي معنى توفيته يعطي ماذكرنا فتدبر.

---

١ ــ شرح عبده ص ٢٢٦ والخامس من شرح البحراني ٣٩٥ والبحار ٧ ص ٢٧١

٢ ــ الانبياء ٢ ٣ ــ النور ٣٩

ان قلت: وعلى ماذكرتم من معنى الحساب، فلامعنى لتحقّق السّئوال والتّكلم والحلف والكذب فيه وقيام الشهداء لاداء الشهادة و وضع الموازين القسط و نحوها في ذلك اليوم معانّ الآيات الكثيرة ناصّة بوقوعها، فمنها قوله تعالى: وقفوهم انّهم مسئولون[١] وقوله: يوم نحشر هم جميعا " نقول للذّين اشركوا اين شركائكم الذّين كنتم تزعمون، ثمّ لم تكن فتنتهم الّا ان قالواولله ربّنا ماكنّامشركين. انظر كيف كذّبواعلى انفسهم وضلّ عنهم ماكانوا يفترون[٢] وقوله: يوم يبعثهم اللّه جميعا " فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انّهم على شي الا انهم همالكاذبون[٣] وقوله : يوم يحشر اعداء اللّه الى النّار فهم يوزعون حتّى اذا ما جاوءاها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلود هم بماكانوا يعملون وقالو لجلود هم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا اللّه الذّى انطق كلّ شيي وهو خلقكم اوّل مرّة واليه ترجعون و ماكنتم تسرّون ان يشهد عليكم سمعكم ولاابصاركم و لاجلودكم ولكن ظننتم انّ اللّه لايعلم كثيرا " ماتعلمون[٤]

---

١ ـ الصّافات ٢٤
٢ ـ الانعام ٢٤
٣ ـ المجادلة ١٨
٤ ـ فصلّت ٢٢ ـ ١٩

فقي تفسير القّمي انّها نزلت في قوم يعرض عليهم اعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئا " فيشهد عليهم الملائكة الذّين كتبوا عليهم اعمالهم فقال الصّادق ع فيقولون للّه: ياربّ هولاء ملائكتک يشهدون لک ثمّ يحلفون باللّه مافعلوا من ذلک شيئا " و هوقول اللّه: يوم يبعثهم اللّه جميعا " فيحلفون له كمايحلفون لكم الى ان قال عليه السّلام فعندذلک يختم اللّه على السنتهم وينطق جوارحهم فيشهدالسّمع بماسمع ممّاحرّم اللّه، ويشهدالبصر بمانظربه الى ماحرّم اللّه وتشهد اليدان بمااخذ تا وتشهدالرجلال بماسعتا ممّا حرّم اللّه وتشهدالفرج بماارتكبت ممّا حرّم اللّه ثم انطق اللّه السنتهم فيقولون هم لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ " انطقنااللّه الذّى" والجلود: الفروج [1]

ومنها قوله عزوجل: واشرقت الارض بنورربّها و وضع الكتاب و جيئى بالنبيّين والشّهداء وقضي بينهم بالحقّ و هم لايظلمون [2] الى غيرهامن الآيات وهي كثيرة جدّا " والاخبار فی اصناف الشهداء على الاعمال و منهم الازمان كمامرّ، متكاثرة متعاضده.

قلت: كلّا "بل كلّما ذكر من السّئوال والتكلم والحلف الكاذب

---

۱ ــ البحار ج ۷ ص ۳۱۲   ۲ ــ الزمر ۶۹

وقيام الشّهداء ووضع الموازين و نحوها ، امّا من مبادی الحساب اومن محققّاته ولوازمه وتوابعه و توضيح ذلک انّا قدبيّنا فی اوّل الکتاب انّه تکّرر فی القرآن العظيم رجوع الاشياء عموما " الی اللّه تعالی وانّه الغاية المترّتبة علی الخلق والايجاد وقرّر سبحانه انّ سيرالانسان فی عوده علی حذوبدئه و رجوعه الی اللّه تعالی علی شاکلة نزوله الّا ان بين البدء والعود فرقا " ، حيث انّ البدء ليس الّا دارسعادة عامّة منزّهة عن الاکدار ، مطّهرة عن الاقذار ، ساکنوها فی اهناء الاحوال وارغدالمعايش لايمسّهم فيها نصب ولالغوب .

واماّ العود فما تيّسر للانسان من الاهتداء والضلال ، ينشعب الی دار سعادة ودارشقاء وهوقوله تعالی " کما بدئکم تعودون فريقا " هدی وفريقا " حقّ عليهم الضّلالة . (١) .

ويستنتج من ذلک انّ الانسان بجميع خصوصيات ذاته وصفاته وافعاله وما احتّف به من لوازم وجوده و مقارناته وغيرها متعلّق الهوّية بمباديه وان کان فی غفلة من هذا مادام فی حجاب الطبيعة ، فعند بروز الحقايق من مکامن الغيب وکشف الغطاء واجتماع کلّ مستفيض بمفيضه ورجوع کلّ شيی الی اصله وسنخه ، ينقلب الخبر

---

١ ــ الاعراف ٢٩

عيانا "، فيعاين انّ الشّهداء على الاعمال قائمون للاداء ، فيرون معاينة نصب الموازين القسط فعندئذ يجدون انفسهم موقوفين عند ربّهم للسّئوال فلا تكلّم نفس الاّ باذن اللّه تعالى ، فباذنه و سئواله عزّ اسمه تبرز الملكات ، فلولاالسّئوال والاذن منه تعالى لامتنع بروز الملكات وظهور النتائج وترتّب الغايات كما اشرنا آنفا " الى انّ النّتائج لاتظهر با نفسها بل بافاضته تعالى ، فهولاء المشركون والمنافقون حيث تمرنوا على الكذب والاضلال والخديعه والاحتيال في حياتهم الدّنيا عندالاشراف على ورطة الموءاخذة و شفاخفرة النّكال تظهر منهم تلك السّريرة الكاذبة والملكة الخادعة يوم تبلى السّرائر ، فيحلفون له تعالى كاذبين محتالين على حذو سنّتهم في الحياةالدّنيا ، نعم بين الحلفين فرق ، حيث انّه كان يقع منهم في الدّنيا بالاختيار ، وهنالک بالاضطرار فتبلوا كل نفس مااسلفت ولايستطيعون ان يستترو اعلى انفسهم كما انّهم يومئذ يدعون الى السّجود فلا يستطيعون هو قوله تعالى : يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السّجود فلايستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلّة وقدكانوا يدعون الى السّجود وهم سالمون [١] ، فعدم استطاعتهم للسجود

---

١ ـ القلم ٤٣

لاستحکام ملکة الاستکبار فی نفوسهم لالمنع جدید من اللّه تعالی فانّ قوله تعالی: " وهم سالمون" یدّل علی انّ عدم استطاعتهم للسجود انمّا یکون لعدم سلامتهم وابتلاء نفوسهم بمرض الاستکبار وعاهة الاعراض عن اللّه تعالی.

ففی التّوحید عن زرارة عن ابی عبداللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزوجل: (یدعون الی السّجود) قال علیه السلام: " صارت اصلابهم کصیاصّی البقر یعنی قرونها " وفی العیون عن الرّضا ع فی قوله تعالی: (یوم یکشف عن ساق) قال علیه السلام: حجاب من نور فیقع المومن سجّدا " وتدمج ـ ای تستقیم وتستحکم اصلاب المنافقین فلایستطیعون السّجود.

وبالتّامل فیما مّر من معنی الحساب تبیّن معنی سوء الحساب و شدّته ویسره وعسره ونظائرها ممّا نطق به الکتاب و ورد فی السّنة و ذلک لانّ وقوع الحساب اذا کان هو ظهور نتائج العقائد و الاعمال فمن کان اشدّ اعتناقا " بالکلم الطیب والعمل الصالح واقرب من الصّراط المستقیم کان الحساب علیه ایسر.

فبحسب اختلاف مراتب التّمکن و القرب من الصّراط المستقیم والزّلة والبعد عنه یختلف مراتب یسر الحساب وعسره وطوله و قصره ونحوها، فتلک المعانی انمّا یتحّقق بالقیاس الی ادراک المحاسّب

لاالمحاسِب فلذایکون یوم القیامة مع طوله خفیفا " علی المؤمن
حتّی یکون اخفّ علیه من صلاة مکتوبه یصلّیها فی الدّنیا کمامرّفی
الخبر المرّوی عن المجمع ، والحاصل انّ ثبوت تلک المعانی المختلفة
من جهة اختلاف النّاس فی القرب منه تعالی والبعدعنه .

«موقف الثقافة»

موقف الشّفاعة

قال في مقابيس اللّغة : (شفع) الشين والفاء والعين اصل ـ صحيح يدّل على مقارنه الشيئين ، ومن ذلک الشّفع خلاف الوتر ، تقول كان فردا " فشفّعه .

قال في المفردات : الشفع ضّم الشّيي الى مثله ، قال في معجم الفاظ القرآن الكريم ، شفع له عند آخر : طلب ان يتجاوز عن سيئّته كانّه ضّم نفسه اليه معينا " له فهو شافع و شفيع ومنه الشّفاعة عند اللّه .

قال قاضي عبدالجبّار في شرح الاصول الخمسة : الشفاعة في اصل اللّغة ماخوذة من الشفع الذّى هو نقيض الوتر فكاّن صاحب الحاجة بالشفيع صار شفعا " واماّفي الاصطلاح فهو مسألة الغير ان ينفع غيره او ان يدفع عنه مضرّة ولابّد من شافع ومشفوع له و مشفوع فيه و مشفوع اليه .

اقول : انّ اصل ثبوت الشّفاعة ممّا لامساغ لانكاره و قد ادّعى

المتصدّون في البحث عن العقائد الاجماع والاتفاق عليه و هاك شطرا " من كلامهم في المقام .

قال المحقق الطّوسى في التّجريد : والاجماع على الشّفاعة ، فقيل لزيادة المنافع و يبطل منّافي حقه ص ، قال العلاّمة في شرحه : اتفقت العلماء على ثبوت الشّفاعه للنبى ص واختلفوا فقالت الوعيديّةانّها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب آه و يقرب منه مافي المواقف .

وقال ابن تيميّة في رسالة الشّفاعة الشرعيّة : اجمع المسلمون على انّ النبى يشفع للخلق يوم القيامة بعدان يسئله النّاس ذلك وبعد ان ياذن اللّه له في الشّفاعة ثمّ انّ اهل السّنةوالجماعة متفقّون على مااتفقت عليه الصحابة ، واستفاضت به السّنن من انّه يشفع لاهل الكبائر من امّته ويشفع ايضا " لعموم الخلق ، واما الوعيّدية[١] من الخوارج والمعتزلة فزعموا انّ شفاعته انمّا هي للمؤمنين خاصّة في رفع الدّرجات ومنهم من انكر الشّفاعة مطلقا " .

ويقرب منه ماذكره ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) ثمّ قال بعد كلام : وهما شفاعتان احداهما الموقف وهو

---

١ ــ انّهم قائلون بانّ الذنب صغيرا "كان اوكبيرا "كفر فالمذنب كافر ، والكافر مخلد في النار .

المقام المحمود الذّی جاءالنصّ به فی القرآن وهکذا جاء الخبر الثّابت ایضا " ، .

والشّفاعة الثانیه فی اخراج اهل الکبائر من النّار طبقة طبقة علی ماصحّ فی ذلک الخبر ، وقال القاضی عبدالجبّار فی کتابه المذکور آنفا ": لاخلاف بین الامّة فی انّ شفاعة النّبی ص ثابتة للامة ، وانّما الخلاف فی انّها تثبت لمن؟ فعند نا انّ الشّفاعة للتّائبین من المؤمنین وعندالمرجئة انّها للفسّاق من اهل الصلاّة .

قال الرّازي فی تفسیره : اجمعت الامّة علی انّ لمحمّد شفاعة فی الآخرة ثمّ اختلفوا بعد هذا فی انّ الشّفاعة ص لمن تکون؟ اتکون للمؤمنین المستحقّین للثواب ، ام تکون لاهل الکبائر المستحقّین للعقاب؟ فذهبت المعتزلة علی انّها للمستحقّین للثواب و تأثیر الشّفاعة فی انّ تحصل زیادة من المنافع علی قدر ما استحقّوه و قال اصحابنا ـ یعنی الاشعّریة ـ تأثیرها فی اسقاط العذاب عن المستحقّین للعقاب ، امّا بانّ یشفع لهم فی عرصة القیامة حتّی لایدخلوالنّار ، وان دخلوا النّار فیشفع لهم حتّی یخرجوامنهاو یدخلوا الجّنة ، واتفقّوا علی انّهالیست للکفّار ـ ثمّ ذکرا دلّة المعتزلة وانها ها الی احد عشر کلّها نقلیّ من الکتاب والسّنة ، ثمّ ذکرادلّة اصحابه فانها ها الی احد عشر کلّهانقلیّ ایضا "

وفي الختام ذكر كلاما " من الفلاسفة في ثبوت الشّفاعة وحقيقتها [١]

قال السّيد السّندوالحبر المعتمد السّيد محسن الامين قدّس سره :

شفاعة النبيّ ص يوم القيامة لاينكرها الوهابيّة فلاحاجة الى اكثار الادّلة عليها وانمّا منعوا من جواز طلبها منه ص في الدّنيا وان كانت ثابتة له وقد اعطاه اللّه الشّفاعة وهو الشفيع المشّفع ، وجعلوها شركا " وكفرا " ومرجع شبهتهم في ذلك على مايستفاد من مجموع كلماتهم الى انّ طلب الشّفاعة من النّبي ص عبادة له وكلّ عبادة لغير اللّه شرك [٢] ، اقول : عمدةادّلتهم في ذلك ونحوه قوله تعالى : فلاتدعوا مع اللّه احدا " [٣].

وكيف كان فاصل الشفاعه ثابتة لاتقبل الانكار للآيات الكثيرة المثبتة لها ، فمنها : قوله تعالى : من ذا الذّى يشفع عنده الّا باذنه [٤] ومنها قوله : يومئذ لا تنفع الشّفاعة الّا من اذن له الرّحمن و رضى له قولا " [٥] و منها قوله : لايملكون الشّفاعة الّا من اتّخذ عندالرحمن عهدا " [٦] ، ومنها قوله : ولايملك الذين يدعون من دونه الشّفاعة

---

١ ــ ج ٣ ص ٦٥ ــ ٥٥
٢ ــ كشف الارتياب ٢٤٥
٣ ــ سبا ٢٢
٤ ــ البقرة ٢٥٥
٥ ــ طه ١٠٩
٦ ــ مريم ٨٧

الّامن شهد بالحقّ وهم يعلمون (١).

ومنها قوله عزوجل: ولا تنفع (٢) الشّفاعة الّالمن اذن له

---

١ ــ قبله قوله تعالى: قل ادعواالذّين زعمتم من دون اللّه لايملكون مثقال ذرّة في السّموات ولافي الارض ومالهم فيهامن شرك وما له منهم من ظهير. فالمراد بالذّين زعمتم امّا معبوداتهم الباطله من الاصنام اوالاعمّ منهاومن الملائكة فامررسول اللّه ص ان يقول للمشركين تحديا " وتوبيخا ": ادعوا هولاءالذين زعمتم انّهم الهتكم من دون اللّه في قضاء حوائجكم ودفع المضّار عنكم ، فاعلموا انّهم لايملكون مثقال ذرّة في السّموات ولافي الارض وليس لهم مشاركة في امورهما ، و ليس للّه تعالى منهم ظهير ومعين ولاتنفع هولاءالمشركين وغيرهم الشّفاعة الّتي تقع في موطنهاالّا لمن اذن اللّه ان يشفع له وهوالذّى ارتضاه اللّه ديناوقولا " وذلك الى صدور الاذن منه عزاسمه بعد ترقّب وانتظار من المشفوع لهم الذّين فزعوا من ذلك اليوم الذى يجعل الولدان شيبا " حتى اذا فزع اى ازيل وكشف الفزع عن قلوبهم بصدور الاذن منه جلّ جلاله في الشّفاعة للشّافعين قالوا ــ اى الشّافعون يستنطقون المشفوع لهم عقائده ــ ماذا قال ربكم؟ قالوا ــ اى المشفوع لهم في الجواب

حتی (١) اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربّکم قالوا الحقّ وهوالعلّی الکبیر (٢) ومنها قوله: فما تنفعهم شفاعة الشّافعین (٣) الی غیرها من الآیات المثبته لها و لکنها کماتری تثبتها باذن اللّه تعالی تارة فی جانب الشفیع کقوله تعالی: من ذاالذّی یشفع عنده الّاباذنه، واخری فی جانب المشفوع له کقوله: یومئذ لا تنفع الشّفاعة الّامن اذن له الرحمن ورضی له قولا".

ومن المبرهن علیه انّه لایاء ثرلشیئی من الاشیاء ولالسبب من

عقیب ذیل صفحه القبل

الحقّ وهوالعلی الکبیر، هذا هوالذی یختلج بالبال وللّه سبحانه وتعالی هوالاعلم بحقیقة الحال.

١ – لایخفی علیک ان المغیّاهنایستفاد من نفس الغایة نظیر قول الفرزدق:

فواعجبا "حتی کلیب تسبّنی" ای واعجبا "یسبنی الناس حتی کلیب، والتقدیر فی الآیة لاتنفع الشفاعة الّا لمن اذن له فیحزنهم الفزع الاکبر الی ان انکشف الفزع عن قلوبهم قالوا....

٢ – سباء ٢٣

٣ – المدثر ٤٨

الاسباب الّا باذن اللّه تعالى ومشيّته ،ولكنّ النّاس الّا القليل منهم يركنون الى الاسباب والاوساط ويزعمون استقلالها في التاءثير وينسون اللّه الذّى بلطفه اوجد الاسباب ، بل ربّما سلكت بهم تلك المزعمة الفاسدة الى اتخاذ اولي السّطوة والقوّة من الرّوءساء والزعماء اربابا " من دون اللّه بل تهوى بهم الى العكوف للتماثيل والاصنام ، وتلك العقيدة كانت ناشية في عصر نزول القرآن المجيد حيث كان المشركون يعتكفون على عبادة آلهتهم المنحوتة ويزعمون لها التأثير وكانوا يقولون : هولاء شفعاء ناعنداللّه وانّه لامجال لردّ شفاعتهم ،ولقدا ضرّت هذه العقيدة باكثر الاديان فاتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا " وانداد " من دون اللّه ، وجاء القرآن الكريم فافصح عن تلك الخرافة المفسدة للفطرة و اجهربانّه لااستقلال لشيي من الاشياء ولاتأثير لسبب من الاسباب ولاشفاعة لوسط من الاوساط الّا باذن اللّه تعالى ومشيّته وانّه مالم ياذن اللّه ومالم يشاء لاتأثير لاىّ سبب ولا وساطة لاىّ وسط و لاشفاعة لاىّ شفيع وعنت الوجوه للحىّ القيّوم وكلّ له قانتون وكفى بذلك تبعيدا " عن الشرك وتقريبا " من التوحيد ومن هنا تعرف ماترمي اليه الآيات النّافية للشفاعة مطلقا " مثل قوله تعالى : واتقّوا يوما " لاتجزى نفس عن نفس شيئا " ولايقبل منها شفاعة و لايوخذ منها عدل و لا هم ينصرون [1] ، وقوله : واتقّوا يوما "

١ ـ البقرة ٤٨

لاتجزى نفس عن نفس شيئا " ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون (١) ، و قوله وانذرهم يوم الآزفة اذاالقلوب لدى الحناجز كاظمين ماللظّالمين من حميم ولاشفيع يطاع غافر (٢) ، وقوله : ياايّها الذّين آمنوا انفقوا ممّا رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لابيع فيه ولاخلّة ولاشفاعة والكافرون هم الظّالمون ٣ و قوله : افمن حقّ عليه كلمة العذاب افأنت تنقذ من في النار (٤) ، الى غيرها من الآيات النافية للشّفاعة المزعومة لاهل الشّرك والضلال وليس بين هذا النفي وذلك الاثبات تدافع و تعارض كما لايخفى .

واماّ انكار المعتزلة للشفاعة من حيث تاثيرها في اسقاط العقاب مع اعترافهم و اعتقادهم بتاثيرها في رفع الدّرجات ـ فهو مبني علي اصل لهم مذكور في كتب الكلام من وجوب عقوبة اهل الكبائر وعدم جواز العفو عنهم اذاماتوا بلاتوبة ، فيعذّبون في النّار خالدين

واحتجّوا علي ذلك عقلا " و نقلا " بامور ، اما النّقل فتمسّكوا بآيات كثيره منها قوله تعالي : ومن يعص اللّه ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارا " خالدا " فيها (٥)

---

١ ـ البقرة ١٢٣ ٣ ـ الغافر ١٨ ٣ ـ البقرة ٢٥٤

٤ ـ الزّمر ١٩ ٥ ـ النّساء ١٤

ومنها قوله ' ومن يعص اللّه و رسوله فانّ له نارجهنّم خالدين فيها ابدا " (١) ، هذه الآية اوضح دلالة لعدم قيد " ويتعدّحدوده " فيها .

ومنها قوله عزّاسمه: و من يقتل مومنا " متعمّدا " فجزاءه جهنّم خالدا " فيها (٢) ، ومنها قوله: ليس باما نيّكم ولااماني اهل الكتاب من يعمل سوءا " يجزبه (٣) ، و منها قوله تعالى : انّ المجرمين في جهنّم خالدون لايفتّر عنهم وهم فيه مبلسون (٤) و منها غير ما ذكر على ماهومذكور في محلّه من الآيات والروايات .

واماّالعقل: فمنه قولهم انّ الفاسق اذاعلم انّه لايعاقب وان ارتكب الكبيرة كان ذلك مغرى على القبيح ويكون في الحكم كان قيل له: افعل فلابأس عليك ، كذافي قول القاضي .

واجيب في شرح العقائد النسفيّة عن الآيات : انّها على تقدير عمومها انّما تدّل على الوقوع دون الوجوب وقد كثرت النّصوص في العفو . فيخصّ المذنب المغفور عن عمومات الوعيد ، وزعم بعضهم انّ الخلف في الوعيد كرم فيجوز من اللّه تعالى والمحققّون

---

١ ــ الجّن ٢٤ ٢ ــ النّساء ٩٣

٣ ــ النّساء ١٢٤ ٤ ــ الزّخرف ٧٥ــ٧٤

على خلافه كيف وهو تبديل للقول وقد قال اللّه تعالى: مايبدّل القول لدّى انتهى كلامه (١).

اقول: من النّصوص المشار اليها في العفو قوله تعالى: ان اللّه يغفران يشرك به ويغفرمادون ذلك لمن يشاء (٢) حيث ليس المراد منه المغفرة بعدالتوبة لانّ الاشراك بعدالتّوبة ايضا" كذلك فيلزم تساوى، مانفي عنه الغفران وماثبت له.

ومنها قوله تعالى: وانّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم (٣) حيث ان كلمة" على" للحال يقال راءيت الامير على اكله اى حال اكله فالآية تقتضي حصول المغفرة حال اشتغال العبد بالظّلم، فتدّل على حصول المغفرة قبل التّوبة، ومنها انّ اللّه يغفرالذنوب جميعا" (٤) وما الى ذلك من الآيات والروايات.

واجيب في الشرح المذكور عن العقلى المذكور بانّ مجردجواز العفولايوجب ظنّ عدم العقاب فضلا "عن العلم، كيف والعمومات الواردة في الوعيد المقرونة بغاية من التّهديد ترجّح جانب الوقوع

---

١ ــ ق ــ ٢٩
٢ ــ النساء ١١٥
٣ ــ الرعد ٦
٤ ــ الزمر ٥٣

بالنّسبة الى كلّ واحد وكفى به زاجرا " انتهى كلامه.

قال في المحصّل: اجمع المسلمون على كونه تعالى عفوّا "و العفولايتحقّق الّاعنداسقاط العذاب المستحقّ وعندالخصم ترک العقاب على الصغيرة قبل التّوبةوعلى الكبيرة بعدها واجبة لايبقى للعفومعنى الّا اسقاط العقاب على الكبيرة قبل التّوبة (١)

اقول امّا قول البعض: انّ الخلف في الوعيد كرم فيجوز من اللّه تعالى فقريب من التحقّيق مع تفسير الخلف بالصفع عن مقتضى الوعيد.

وامّا قول الشارح التفتازاني: والمحقّقون على خلافه كيف و هو تبديل للقول، فبعيد عن التحقّيق. توضيح ذلک على سبيل الاجمال انه قدبيّنا في رسالة النّبوة: انّ الانسان حيث يتوقف بقاء ه على العيشة الاجتماعيّة فلاجرم يحتاج الى القوانين الموضوعة المتعلّقة بافعاله الاختياريّة، وعليه فلوسع كل احدان يخالفها و هذه النقيصة قداستلزمت تتميمها بوضع القوانين الجزائيّة الوعيديّة كي يتأتى منها الغرض.

ثم انّ اجراء الجزائيات حقّ لوليّ الامر الذّى بيده زمام امور

---

١ ـ المحصّل ١٧٣

المجتمع وليس من الواجب ان يتّصرف المالک الملحق في ملکه و حقّه دائما "، بل ربّما يجد المصلحة في العفو و الصفح، بخلاف الوعد فانّه من حقّ المطيع المّولى عليه على وليّ الامر و عهدته فيجب عليه ايفائه نعم الخلف في الوعيد بمعنى الصّفح وترک المجازات دائما " فلا يجوز "، لانّ قانون الجزاء كما علمت ممّا تستدعيه الفطرة ومن مغروساتها ولامعنى لتاصيل اصل و تغزيز غريزة معسورة عن مقتضياتها وآثارها دائما " لبطلان القسر الدّائمي بل الاكثرىّ كما برهن في محله.

واما قوله تعالى: ما يبّدل القول لدىّ" فالمراد بالقول غير المبّدل لديه تعالى ' هو القضاء المحتوم على من مات كافرا " بد خوله جهنّم بقرينة قوله تعالى قبل ذلک ' القيافي جهنّم كلّ كفّار عنيد (١)

ومعذلک لايسلب ذاک القضاء المحتوم عنه تعالى قدرته فانّه عزّوجل قدير على الاطلاق يغفر لمن يشا " ويعذّب من يشاء ولايسئل عمّايفعل وهم يسئلون.

ثّم انّه سبحانه مضافا " الى تعليق الشفاعة باذنه وانّ الشافع

---

١ ــ ق ٢٤

لابّدوان يكون ماذوناله منه تعالى في الاقدام على الشّفاعة قدعرّف الشّافع بقوله: " لايملك الذّين يدعون من دونه الشّفاعةالاّمن شهد بالحقّ وهم يعلمون (١)

فبيّن لهوصفين: احدهما: الشهادةبالحقّ والاعتراف بالتّوحيد ومايتعلّق به، ويقابله التّكذيب بالحقّ وهو قوله تعالى: بل كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم (٢)

ثانيهماكونهعالما "ولايخفى انّ جملة "وهم يعلمون" في موضع الحال فيكون تقديرالكلام، لايملك الذّين يدعون من دون اللّه الشّفاعة الاّالشاهدين بالحقّ حالكونهم اولي العلم، فقيّد بهاالشاهدين بالحقّ فيتبيّن بذلك انّ مطلق اهل التّوحيد ليسوا بشفعاء بل الشّفعاء اولواالعلم منهم، فينطبق ذلك على اولى العلم في قوله تعالى: شهداللّه انّه لااله الا هو والملائكة و او لوا العلم (٣)

ومن المعلوم انّ هولاء الذّين قرنت شهادتهم بالتّوحيد بشهادة اللّه وملائكته وليسوا مطلق اهل العلم بل الذّين شهادتهم بالتّوحيد تلو شهادة اللّه وملائكته به فعلمهم غير العلم المتعارف فلذاورد في

---

١ ــ الزّخرف ٨٦ ٢ ــ ق ٥

٣ ــ آل عمران ١٨

تفسیر اولی العلم المذکورین: انّهم الانبیاء والاوصیاء.

ففی تفسیر البرهان عن العیاّشی عن جابر قال ساءلت اباجعفر علیه السّلام عن هذه الآیة: شهد اللّه انّه لا اله الاّ هو و الملائکة واوا العلم قائما " بالقسط لااله الاّ هوالعزیز الحکیم: قال ابو جعفر علیه السّلام بعد کلام ـ واما قوله: " اوا لواالعلم قائما " بالقسط" فانّ اولی العلم الانبیاء والاوصیاء وهم قیام بالقسط والقسط العدل فی الظّاهر و العدل فی الباطن امیرالموٴ منین علیـــــه السّلام

وفیه ایضا " عن مرزبان القمّی قال: ساءلت اباالحسن علیه السّلام عن قول اللّه: شهداللّه انه لااله الاّهو والملائکة واوا للعلم قائما " بالقسط قال هوالامام.

وایضا " عن سعدبن عبداللّه القمی بالسّند المتّصل الی عبدالملک بن عطاء قال: سمعت اباجعفر علیه السّلام یقول: نحن اولوا الذّکر ونحن اولواالعلم وعند ناالحرام والحلال.

وفیه ایضا " عن محمدبن الحسن الصّفار بالسّند المتّصل الی حسن بن علی الوشاعن ابیالحسن علیه السلام قال علیالائمّة من الفرائض ما لیسعلی شیعتهم وعلی شیعتنا ما امرهم اللّه مالیس علینا انّ علیهم ان یسئلونا " و اولوا العلم قائما " بالقسط"

الامام (١)

ان قلت: قوله تعالى: يوم يجمع اللّه الرّسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انّک انت علّام الغيوب (٢) يناقض ما اشهدتم من الآية المذكورة من كون الشّفعاء الشّاهدين بالحقّ او لوا العلم حيث انّ صريحه نفيهم العلم عن انفسهم بقولهم: لاعلم لنا انّکانت علّام الغيوب.

قلت: قداجاب عنه سيّد نا الاستاذ روحي فداه في الميزان بقوله: انّ نفيهم العلم عن انفسهم واثبات جميع علوم الغيب له سبحانه على وجه الحصر يدّل على انّ المنفى ليس اصل العلم فانّ قولهم انک انت علام الغيوب فى مقام تعليل النفى المذكور ومن المعلوم انّ المسئول عنه ــ وهي كيفيّة اجابة النّاس للرّسل ــ من قبيل الشّهادة لاالغيب فقولهم: لا علم لناليس نفيا " لمطلق العلم بل الحقّ العلم الّذى لايخلوعن التعلّق بالغيب ، فانّ من المعلوم انّ العلم انّما يكشف لعالمه من الواقع على قدر مايتعلق بامرمن حيث اسبابه و متعلّقاته والواقع فى العين مرتبط بجميع اجزاء الخارج ممّايتقدّم على الامر الواقع وما يحيط به ، فالعلم بامر من الامور الخارجيّة

---

١ ــ تفسير البرهان ج ١ ص ٢٧٣ ٢ ــ المائدة ١٠٩

بحقيقه معنى العلم لايحصل الّاباالا حاطة بجميع اجزاء الوجود ، ثمّ بصانعه المتعالي من ان يحيط به شيي وهذاامر وراء الطّاقة الانسانيّة ، فمايتعلّق به علم الانسان ناشب بوجوده متعلّق بواقعيته باطراف ثمّ باطراف اطراف وهكذا كلّ ذلك غيب من ادراک الانسان فهذاالجواب منهم عليهم السّلام نحوخضوع لحضرة العظمة واعتراف بحاجتهم الذاتيّة رعاية لادب الحضور واظهارا " لحقيقهالامر وليس جوابا " نهائيّاً " لاجواب بعده .

امّا اوّلاً " فلانّ اللّه سبحانه جعلهم شهداء على اممهم ، وامّا ثانيا " فلانّ اللّه سبحانه اثبت العلم بطائفة من مقرّبي عباده يوم القيامه قال اللّه تعالى : وقال الّذين اوتواالعلم والايمان لقد لبثتم في كتاب اللّه الى يوم البعث (١)

و امّا ثالثا " فلانّ القرآن يذكرالسئوال عن المرسلين والمرسل اليهم جميعا " كمافي الآية ٦ من الاعراف ثمّ ذكر عن الامم المرسل اليهم جوابات كثيره ،والجواب يستلزم العلم واذا كانت الامم و خاصّةالمجرمين على علم فكيف يتصوّر ان يعدمه الرسل الكرام . (٢)

ثمّ انه قدتواترت الآثار من الفريقين في قوله تعالى : ومن الليل

---

١ ــ الروم ٥٧

٢ ــ الميزان ج٦ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٤

فتهجّد به نافلة لک عسی ان یبعثک ربّک مقاما " محمودا " (ع) علی انّ المراد بالمقام المحمود هو مقامه ص الّذی یحمده الاولّون والآخرون وهو مقام الشّفاعة الکبری له ص فی الآخره.

ففی کتاب التوحید عن امیرالموءمنین علیه السلام فی حدیث طویل بعد ذکرالمحشر یقول (ع) ثمّ یجتمعون فی موطن آخر یکون فیه مقام محمد ص وهوالمقام المحمود فیثنّی علی اللّه تبارک وتعالی بمالم یثّن علیه احد قبله، ثّم یثّنی علی کلّ موءمن و موءمنة یبدء بالصّدّیقین والشّهداء ثّم بالصّالحین فتحمده اهل السّماوات واهل الارض فذلک قوله عزّوجلّ: عسی ان یبعثک رّبک مقاما " محمودا "

وفی تفسیرعلیّ بن ابراهیم مسندا " الی سماعة عن ابی عبداللّه علیه السّلام قال: سألته عن شفاعة النّبی ص یوم القیامة فقال: یلجم النّاس یوم القیامة العرق فیقولون: انطلقوا بنا الی آدم یشفع لنا فیأتون آدم فیقولون: اشفع لنا عند ربّک فیقول: انّ لی ذنبا " و خطیئة فعلیکم بنوح فیأتون نوحا " فیردّهم الی من یلیه ویردّهم کلّ نبی الی من یلیه حتّی ینتهواالی عیسی فیقول: علیکم بمحمّد رسول اللّه ص فیعرضون انفسهم علیه ویسألونه فیقول: انطلقوا فینطلق بهم الی باب الجنّة ویستقبل باب الرحمن (۱)

الذیل فی الصفحه البعد

ويخّرساجدا " فيمكث ماشاءاللّه فيقول: ارفع رأسک و اشفع تشفع وسل تعطو ذلک قوله تعالي: عسي ان يبعثک ربّک مقاما " محمودا ".

وفيه ايضا " بالسّند عن‌ابن ابي عمير عن معاوية و هشام- عن‌ابي عبداللّه عليه‌السّلام قال قال رسول‌اللّه ص: لوقد قمت- المقام المحمود لشفعت في ابي وامي‌وعمي واخ کان لي في‌الجاهلّية الي غيرها من الرّوايات وهي کثيرة مذکورة في تفسيرالبرهان ونور الثقلين و جمعها في البحار في مبحث الشفاعة و غيرها يعثر عليها المتتّبع و يقرب منها روايات القوم کمافي الدّرالمنثور.

قوله عليه‌السّلام في خبر سماعة " ويستقبل باب‌الرحمن " يوءمي ظاهرا " الي قوله تعالي: ومارسلناک الّارحمةللعالمين (٢). ويستشّم منه انّ الاذن بالشّفاعة يرتبط ارتباطا " ماّبهذه‌الرّحمةبل يقوّي ذلک بملاحظة قوله تعالي: رحمتي‌وسعت کلّ شيي (٣) فله ص مقام‌الرّحمة الّتي منها الاذن بالشفاعة ويتبيّن بمامرّ انّه صلي

---

١ ــ هذه‌اللّفظ وردفي‌اخبار منهاالخبر ۴۶ ــ ۴۵من‌ج۸من‌البحار

٢ــ الانبياء ١٠٧

٣ ــ بل‌هوموضوع‌الآيات‌الشريفه کقوله في‌طه‌الامن‌اذن‌له‌الرحمن‌ورضي له‌قولا " و في‌النباء تا الامن‌اذن‌له‌الرحمن

اللّه عليه وآله اوّل من يقرع باب الجنّة فيفتح له و هو اوّل شافع واوّل مشفّع بل هو ص شفيع الشّفعاء كما قال ص بيدى (١) لواء الحمد آدم و من دونه تحت لوائـــى و لايخفى انّ الخبر وامثاله هو المستفاد من نفس الآية الشريفة وقد سبق في البحث عن آية الشّهداء انّه صلّى الله عليه وآله شهيدا لشهداء فالكّل محتاجون يوم القيامة الى شهادته ص و هو قوله تعالى: فكيف اذا جئنا من كلّ امّة بشهيد وجئنا بک على هولاء شهيدا " (٢) والى شفاعته ص و هو قوله عزّوجلّ: عسى ان يبعثك ربّك مقاما " محمودا " وزد عليه قوله تعالى: وما ارسلناك الاّ رحمة للعالمين.

وقد عرفت مضمون الرّوايات في المقام وفي كثير من الرّوايات تصريح باحتياج الكلّ يوم القيامة اليه ص فمنها قول الصّادق ع: ما من احد من الاوّلين ولآخرين الاّ وهو يحتاج الى شفاعة محمد

---

١ ـ روى الزندى عن ابي سعيد الخدرى قال . قال رسول الله (ص) انا سيد ولد آدم يوم القيامه ولا فخر وبيدى لواء الحمد لافخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الاّ تحت لوائي ـ تفسير المراغى ج١٥ و مضمون الخبر ورد في اخبارنا .

٢ ـ النساء ٤٢

صلّى الله عليه وآله يوم القيامة (١) و منها قول ابي جعفر عليه السّلام : مامن احد من الاوّلين والآخرين الّا وهو محتاج الى شفاعة محمد ص يوم القيامه (٢) .

ان قلت : انّ شفاعته صلّى الله عليه وآله لامّته معلومة واضحة وامّا شفاعته ص للانبياء والامم الماضين كماهوالمستفاد من الآية الشّريفة و منصوص الرّوايات فمما يابى عنه البرهان وينبوا عن قبوله الوجدان لعدم الرّبط تكوينا "اوتشريعا" بين الانبياء السّابقين واممهم وبين رسول اللّه ص حتّى يتجلّى ذاك الربط بصورة الشّفاعة يوم القيامة فانّ الدّنيا مزرعة الآخرة و ليست الشّفاعة الّا ظهور الرّبط بين الشافع والمشفوع له في ذلك اليوم كما سياتي بيانه !!

قلت : انّه قد ثبت في محلّه انّ للغاية بوجودها السّابق عليه للمغيّى وبهذا الاعتبار يطلق عليها اسم العلّية الغائية و بوجودها اللّاحق للمغيّى يقال لها الغاية ، وقد سبق عند البحث عن شهداء الاعمال انه صلّى اللّه عليه وآله مجرى الفيض وعلمت آنفا " انّه رحمة عظيمة واسعة للعالمين وانّ الانبياء صلوات الله عليهم واممهم مقدّمات لوجوده الشّريف وظهوره في هذا العالم وهو الغاية الوحيدة من الايجاد

---

١ ــ البحار ج ٨ ص ٤٢ ٢ ــ البحار ج ٨ ص ٣٨

وشيعته هم الوارثون منه: قل هذه سبيلي ادعو الى اللّه على بصيرة انا ومن اتّبعني (١) فكلّما افاض اليه تعالى على السّابقين من التّكوين والتّشريع كان رسول اللّه وسطا "و شفيعا" و فهذا الرّبط هو الّذى يتجلّى في صورة الاياب والشّفاعة .

هذا هو الكلام في الشّافع اجمالا " و امّا المشفوع لهم فقد قال اللّه تعالى : يومئذ لا تنفع الشّفاعة الّا من اذن له الرّحمن ورضي قولا "٢ .

وقال عزّ وجلّ : لا يشفعون الّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٣) فالمشفوع له حسب ما يدّل عليه كلامه تعالى مضافا "الى كونه ما ذونا " له لا بّد وان يكون مرضّى القول والاعتقاد فانّ القول هنا بمعنى الرأى والعقيدة نظير ما في قوله تعالى يثّبت اللّه الذّين آمنوا بالقول الثّابت (٤) وقوله يضاهئون قول الذّين كفروا من قبل (٥) وانّما حملنا القول هنا على الاعتقاد لانّ مصّب الشّفاعة هو الاعمال والقول اللّفظى من سنخ الاعمال فاذا كان مرضّيا "فلا معنى لتعلّق الشفاعة به كما لا يخفى ومنه تعلم انّ الارتضاء وان اطلق في قوله : " الّا لمن ارتضى " انمّا اريد به

---

١ ــ يوسف ١٠٨ ٢ ــ طه ١٠٩

٣ ــ الانبياء ٢٨ ٤ ــ ابراهيم ٢٧

٥ ــ التوبة ٣٠

المقّيد بالقول ای المرتضي دينه وعقيدته وبذلک فسّر فی الرّواية : قال الحسين بن خالد : فقلت للرضا عليه السّلام يابن رسول اللّه فما معنی قول اللّه عزوجل : ولا يشفعون الا لمن ارتضي ؟قال عليه السلام لا يشفعون الّا لمن ارتضي اللّه دينه (۱)

ثّم انّ کتاب اللّه المجيد قد اجهر بانّ اجتناب الکبائر من الذّنوب مکفّرة للصغائر وانّ اقامة الصلّواة الخمس مُذهبه ومُبطله للسيّئات وانّ علی اللّه تعالی ان يتوب علی التّائب و يقبل توبته فقال سبحانه وتعالی : ان تجتنبوا کبائر ماتنهون عنه نکّفر عنکم سيّئاتکم (۲) وقال عّزوجلّ : اقم الصلّاة طرفی النّهار و زلفا " من اللّيل انّ الحسنات يذهبن السيّئات (۳) وقال تبارک وتعالی : انمّا التوبة علی اللّه للذّين يعملون السوء بجهالة ثّم يتوبون من قريب فاولئک يتوب اللّه عليهم (۴)

فيستنبط من ذلک کلّه انّ الموعود بالشّفاعة هو المرضّی القول والذّين المبتلی بالکبائر الذّی مات بلاتوبة و قدروی الفريقان مضمونه عن رسول اللّه ص : انمّا شفاعتی لاهل الکبائر من امتّی و

---

۱ ــ البحار ج ۸ص ۳۴ ۲ ــ النساء ۳۱

۳ ــ هود ۱۱۴ ۷ ــ النساء ۱۷

امّا المحسنون فما علیهم من سبیل ، وامّا قول الوعیدیّة والمعتزلة فقد عرفت فساده .

ثم انّه ممّا یجب ان یعلم انّ المعصیة والسیّئة لیست هی نفس العمل الصّادر من عامله فانّ العمل من حیث هی حرکات مخصوصة مشترک بین عنوانی الحسنة والسیّئة، کضرب الیتیم فانّه من حیث هو امر مشترک بین العنوانین لانّه بطبعه قابل لان ینطبق علیه الایذاء والتّادیب وکاالقتال المشترک بین عنوانی الجهاد والمحاربة، فمن العمل من حیث هوهو مالم یتحیّث بحیثیّة اخری لاینطبق علیه احدمن العنوانین فانطباق السیّئة علیه انمّایکون من حیث مخالفته لولّی الامر بماانّ نفس العمل تنفعل به انفعالا ، فالسیّئة صفة للعمل المخالف لمراد اللّه تعالی من حیث انّ نفس العامل تتأثّر به یحفظ علیها وتلک الهیئة الانفعالیّة للنفس تسّمی خطیئة .

قال فی فرائد ا اللغه : السیّئة تطلق علی مایقصد بالذّات ، و — الخطیئة علی ما یقصد بالعرض لانّها من الخطاء

اقول : انّ الزّانی مثلا " انمّا یقصد بالذّات بعمله اللّذة الجنسّیة ولم یقصد اولاّ " وبالذّات حصول تلک الهیئة الانفعالیّة ولکن نظام الوجود وقانون العلّیة والمعلولّیة یستتبع تلک الهیئة النفسانیّة المظلمة فهی مقصودة لعامله لکن بالعرض وقال عزّاسمه : کلّ انسان

الزمناه طائره في عنقه [١] وقال تعالى بلى من كسب سيّئةً واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النّارهم فيها خالدون [٢] وهذه الآية الشريفة كما ترى في صدد بيان لميّة الخلود في النّار فبيّنت انّ احاطة الخطيئات بعامل السيّئات قد قطعت طريقه عن الخلاص وجعلت نارجهنّم محيطة به، وقال عزّ اسمه: انّ جهنّم لمحيطة بالكافرين [٣] وقال عزّ وجلّ: نار اللّه الموقدة التّي تطلّع على الافئدة انّها عليهم موٴصدة في عمد ممدّدة [٤] ويستنبط من هذه الكلّيّة هي كلّ محاط بالخطيئة فله الخلود في جهنّم وهي به محيطة ــ بحكم عكس النقيض ــ وهي انّ كلّ غير خالد في جهنم غير محاط بالخطيئة انّ غير المحاطة بالخطيئات فله الطّريق الى الخلاص فينطبق ذلك على قوله تعالى: كلّ نفس بما كسبت رهينة الّا اصحاب اليمين [٥] فاصحاب اليمين هم الذّين لم يحط بهم الخطيئات فلم توٴصد عليهم نار اللّه الموقدة في عمد ممدّة، فلهم النوافذ المفتوحة الى عالم الانوار فيفكّون عن الرهانة وليس المراد من اليمين الجارحة

---

١ ــ الاسراء ١٣
٢ ــ البقره ٨١
٣ ــ التوبة ٤٩
٤ ــ همزة ٩ ــ ٦
٥ ــ المدّثر ٣٩

المخصوصة بل المراد منها هي السّعادة واليمن لقوله تعالي : اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة حيث قابل بين الميمنة والمشئمة فيفهم انّ المراد منها مايقابل الشّوم و الشّقاوة وقد اومی القرآن الكريم الى بعض صفات اصحاب اليمين بقوله تعالى حكاية عما اجاب به المجرمون عن تسائل اصحاب اليمين قالوا لم نک من المصلّين ولم نک نطعم المسکين ، وکنّا نخوض مع الخائضين وکنّا نکذب بيوم الدّين حتّى اتانا اليقين (۱) .

فتلک الصّفات الاربع ثنتاهما السلبيّتان و ثنتاهما الايجابيّتان للمجرمين المحرومين عن الشفاعة بنّص الكتاب فيدّل ذلک بدلالة الايماء علي انتفاء تلک الصفات المجموعة عن اصحاب اليمين فاصحاب اليمين اهل الخضوع للمبدء تعالي والتّصديق بيوم الدّين فبالنتيجة هم اهل التّوحيد المفكوكون عن الرهانة .

ان قلت انّ قصاری دلالة آيات المذكورة انّ المجرمين الذّين لم تحط بهم الخطيئات لم تحط بهم جهنّم فلهم النوافذ الى خارجها من عوالم النّور والحبور وذلک لايستلزم الفکّ عن رهانة السيّئات المكتسبة الاتری انّ المحبوس في السّجن ذی كرّة وان

---

۱ ــ المدّثر ۴۷ ــ ۴۰

شاهد منها خارج السّجن ولكن صرف ذلک لايستلزم الخروج و الخلاص بل ربّما تصير تلک المشاهدة سببا " لزايد همّه والمه فانّ اللّذة والالم يدوران مدار الادراک فكما ان اللّذة هى ادراک ونيل لماهوعندالمدرک کمال وخير من حيث هوکذلک من غير شاغل و لاضّد کذلک الالم بحکم المقابلة عبارة عن الادراک والنّيل لما هوعنده آفة و شرّمع تلک القيود ومن المعلوم انّ الحيلولة بين المدرک و بين مايشتهى من الخيرو الکمال عذاب اليم ويصدّقه قوله تعالى : وحيل بينهم وبين مايشتهون (١) ومقتضى ذلک ان يکون المجرمون المذکورون اشدّ عذابا " من الذّين اطبقت عليهم جهنّم واوصدت عليهم النّار .

قلت مع الغضّ عن المناقشة فيما ذکر ، انه قدتبيّن ممّاقرّرنا عندالبحث عن الاشکال فى عالم المثال والبرزخ انّ الحسنات بما لها من الاصوال الثابتة الالهيّة غالبة على السيّئات فالکلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه (٢) وتلک المبادى الطّيبة هى وسائط الفيض النزولى وقال تعالى : کمابدئکم تعودون فريقا " هدى وفريقا " حقّ عليهم الضّلالة انهم اتخذّوا الشياطين اولياء من دون الله

---

١ ـ ١ ـ السباء ٥۴ ٢ ـ الفاطر ١٠

ويحسبون انّهم مهتدين [1] ،فهذه الكريمة كما ترى تجعل كيفيّة العود الى المبادى على حذو البدء وتقسيم النّاس في العود الى فريقين : احدهما الفائزون بهداية اللّه فاللّه تعالى مولاهم فيما لهم الكلم الطّيب وصالح العمل يصعدون وثانيهما الضّالون المكذّبون فلا مولى لهم الّا الشّياطين فيكونون لهم قرناء اعاذنا اللّه تعالى وجميع اهل التّوحيد منه .

ثّم انّ رهائن الكبائر من الفريق الاوّل حيث كانت لهم النّفوس المرتضاة والاعتقاد الصّالح فلهم اتّصال ما بتلك المبادى العالية والانوار الطيّبة و قد وعدهم سبحانه بالاتّصال الكامل و اللّحوق التّام بهم في كتابه : والذّين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بايمان الحقنا بهم ذريّتهم وما التناهم من عملهم من شيي كلّ امرء بما كسب رهين [2]

ولعلّ هذا الاتّصال واللّحوق هو الشّفاعة عند الصّعود كما يساعده اللّغة ايضا " وحيث انّ الايمان والاعتقاد ذو تشكيك ودرجات فاللّحوق يكون بحسب ذلك فيتأتي لطائفة في الموقف ولطائفة بعد دخول النّار وفي كلّ من الموردين ايضا " تفاوت سرعةً وبطئاً " ، تقديماً "

---

١ ـ الاعراف ٣٠ ـ ٢٩ ٢ ـ الطور ٢٧

وتاخیرا "کما اشیر الی ذلک کلّه فی الرّوایات المرویّة من الفریقین وقد سبق بعض الرّوایات المفسّرة للمقام المحمود الواردة من طریق الشّیعة فی شفاعة الموقف.

واما الرّوایات الواردة فی طریقنا فی الشّفاعة بعدد خول النّار فهی کثیرة ایضا " فمنها ماروا فی العیون فیما کتب الرّضا علیه السّلام للمامون من محض الایمان: و مذنبوا اهل التوحید یدخلون النّار و یخرجون منها و الشّفاعة جائزه لهم (١)

ومنها ماروا فی العلل عن الصّادق علیه السّلام: اصحاب الحدود مسلمون لاموءمنون ولاکافرون الی ان قال علیه السّلام: فاصحاب الحدود فسّاق لاموءمنون ولاکافرون ولایخلدون فی النّار و یخرجون منها یوما " والشّفاعة جائزة لهم وللمستضعفین اذاارتضی اللّه عزوجل دینهم (٢)

ومنها ماروا عن حمران انّه قال: سمعت ابا جعفر علیه السّلام یقول: انّ الکفّار والمشرکین یرون اهل التوحید فی النّار فیقولون مانری توحید کم اغنی عنکم شیئا " وماانتم ونحن الّا سواء قال: فیاءنف لهم الرّب عزّوجلّ فیقول للملائکة اشفعوا فیشفعون لمن

---

١ ــ البحار ج ٨ ص ٤٥ ٢ ــ البحار ج ٨ ص ٤٥

شاء اللّه ويقول للموٴمنين مثل ذالک حتّى اذا لم يبق احد تبلغه الشّفاعة قال اللّه تبارک وتعالى انا ارحم الرّاحمين اخرجوا برحمتي فيخرجون كما يخرج الفرش قال ثمّ قال ابوجعفر: ثمّ مدّت العمد واعمدت عليهم وكان واللّه الخلود (١)

وقد افرد في المجلّد ٨ البحار بابا " في ذكر من يخلد في النّار و من يخرج منها فراجع اليه

واما العامّة فلهم الرّوايات الكثيرة في الموردين تقرب في الدّلالة من رواياتنا ونحن ننقل بعضها الوارد في المورد الثاني.

فمنها ما رواه المسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدرى في حديث طويل عن رسول اللّه و قد ذكر فيه دخول طائفة في النّار ثمّ قال ص: فوالّذى نفسي بيده مامنكم من احد باشدّ منا شدة للّه في استقصاء الحق من الموٴمنين للّه يوم القيامه لاخوانهم الّذين في النّار يقولون ربّنا كانوا يصومون معنا و يصلّون ويحجّون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صور هم على النّار فيخرجون خلقا " كثيرا " قد اخذت النّار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ــ الى ان قال: ص يقول ــ يعني اللّه ــ ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من خير

---

١ ــ البحار ج ٨ ص ٣٦١

فاخرجوه وكان ابوسعيد الخدرى يقول ان لم تصدقّوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم: ان اللّه لايظلم النّاس مثقال ذرّة وان تك حسنة يضاعفها ويوءت من لدنه اجرا " عظيما " (١)

الى ان قال ص و لم يبق الّا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النّار فيخرج منها قوما " لم يعملوا خيرا " قط قدعادوا حمما " (٢) فيلقيهم في نهرفي افواه الجنّة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبّة في حميل السيل (٣)

ومنها مارواه فيه عن الخدرى ايضا " : انّ رسول اللّه ص قال يدخل اللّه اهل الجنّة الجنّة يدخل من يشاء برحمته ويدخل اهل النّار النّار ثمّ يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبّة من خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون منها حمما " (٤)

وفيه عن انس عنه ص في حديث طويل ذكر فيه شفاعته واخراجه المذنبين عن النّار طبقة بعد طبقة قال ص فاقول ياربّ مابقى في النار الّا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود (٥) وفى خبر طويل عن

---

١ ــ النساء ٤

٢ ــ ٣ ــ صحيح البحارى ج ١ ص ١١٦ ــ ١١٧

٤ ــ ٥ ــ صحيح ج ١ ١٢٧ ــ ١٢٦

انس عنه ص بعد ذكرا خراجه ص طبقا " عن طبق النّار: فاقول يا ربّ ائذن لي فيمن قال لااله الّا اللّه قال ليس ذاك لك افقال ليس ذلك اليك ولكن وعزّتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجّن من قال لااله الا اللّه (١)

هذا ماتيّسرلي من البحث عن المعاد في الكتاب و السّنة مع تشويش البال وصعوبة الحال وقلّة البضاعة و حضور الباع وفرغنا من تحريره في العشر الاوسط من شهر جمادى الاولى عام واحد واربعمأة بعد الالف من الهجرة النبّوية على هاجرها الصلّاة والسّلام سنة فتنة المنافقين الالتقاطييّن واهل الردّة الشّيوعيّة في بحبوبة محاربة حزب البعث العراقي مع الجمهورّية الاسلاميّة الايرانيّة، و قد بقي بعد مباحث منه لايسعني المجال من التحقّيق فيها ولعلّ اللّه يحدث بعد ذلك امرا "

اللّهم فرّج عن المسلمين ماهم فيه بحق لااله الّا انت وانت المستعان وهب لي من لذنك وليّاً " يرثني ويرث من آل بيت نبّيك واجعله ربّ رضيّا انّك انت سميع الدّعا وانا عبدك المحتاج محمّد بن محمّد جعفر محمّدي الجيلاني عفي عنهما .

---

١ ـ صحيح البحارى ٣٧ ـ ١٢٤

" فهرس الموضوعات

المدارک بعد القرآن المجید

بحار الانوار

توحید صدوق

معجم المفهرس

الشّفاء بحقوق المصطفی

المفردات

صحیح بخاری

تفسیر المیزان

تفسیر طبری

تفسیر نیشابوری

تفسیر آلوسی

تفسیر مجمع البیان

کشّاف زمخشری

تفسیر قمی

تفسیر نور الثّقلین

شرح التّجرید

التّجرید

شرح المواقف

گوهر مراد

المقاصد العلیّة

الفرائد

علل الشّرایع

امالی

جامع قرطبی

المضمون الکبیر

نهج البلاغة بحرانی

نهج البلاغة عبده

مقابیس اللّغة

الاصول الخمسه

تفسیر برهان

تفسیر رازی

تفسیر مراغی

وفاء الوفاء

موطأ مالک

اسدالغابة

اسفار

شفا

مرآة العقول

کشف الغطاء

صحیح مسلم

تفسیر قرطبی

اکمال الدّین

مصباح الهدایة الی الخلافة والولایة.

الشفاعة الشّرعیه

الفصل فی الملل والنحل

معجم الفاظ القرآن الکریم

المحصّل

عیون اخبار الرضا

الاصابة

الانتصار

الفتن والملاحم

کافی

الذکری

"پایان"